obeikandl.com

المسلمون المعاصرون
الوهم و الجمود

المسلمون المعاصرون
الوهم و الجمود
تصميم الغلاف: محمد عيد
تدقيق لغوي:
رقم الإيداع:2874 /2015
I.S.B.N: 978-977-488-355-2

دار اكتب للنشر والتوزيع

الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،
المرج الغربية، القاهرة.
المدير العام: يحيى هاشم
هاتف: 01144552555701147633268 –
E – mail:daroktob1@yahoo.com
Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، 2015م
©جميع الحقوق محفوظة
دار اكتب للنشر والتوزيع

obeikandl.com

المسلمون المعاصرون

الوهم و الجمود

د. محمد الملّاح

دار اكتب للنشر والتوزيع

obeikandl.com

obeikandl.com

"ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم"

obeikandl.com

obeikandl.com

الی روحی أبی وأمی

"رب ارحمهما کما ربیانی صغیرا"

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

القصد من هذا الكتاب التنبيه بالاثبات أن تخلف المسلمين ليس مقصودا لهم، ولكنه مقصودا منهم.. فقد حمل المسلمون فى تاريخهم موروثات الحزبية، والقبلية، والعصبية القومية، وحمّلوا بها الدين، أو بالأحرى جعلوها دينية، وجعلوا يؤلوون النصوص كى تخضع للحزبية، والقبلية، والعصبية القومية، واذا لم يجدوا راحوا يضعون نصوصا، وأحداثا تدعم هذه الاتجاهات، وتعطيها دعما شرعيا بوضع الأحاديث، لتعذر ذلك فى القرآن الذى لم ينج من محاولات توفيق نصوصه بالتأويل مع الأحاديث الموضوعة، حتى أصبحت هذه الأفكار أوهاما دخلت بالعقلية الاسلامية كهوف الجمود، التخلف بجدارة، وأصبحوا والعياذ بالله يصدون الناس عن دين الله.. بدلا من أن يكونوا دعاة مبلغين عن رسولهم صلى الله عليه وسلم، وقدوة صالحة لخلق الله التائه هذه الأيام..

وقد أورثتهم هذه الأوهام غرورا أدخلهم جحور اليهود الذين أخذوا عنهم كل شيء حتى فسروا القرآن بالتوراة الذى وصموه هم شخصيا بالكتاب المحرف، والموضوع.. فأورثهم اليهود أحط معتقداتهم بأنهم "شعب الله المختار".. فتجاهلوا الاسلام الذى بعث الله به كل الأنبياء، ووحدة هؤلاء الأنبياء فى العقيدة، والتوحيد - وهومانص عليه القرآن صراحة - وجعلوا أنفسهم متفردين بهذا الدين، واقتطعوه من سياق الرسالات ليكون لهم وحدهم، رغم أحاديث رسولهم الصريحة بأنه جاء ليتمم، وأنه صلى الله عليه وسلم الخاتم لسلسلة الأنبياء الذين كرمهم الله تعالى، وأكرم بهم البشر بتبليغ وحى السماء للناس.. ومن ثم راحوا يفسرون النصوص، ويضعون بعضها لاثبات أن المسلمين هم شعب الله المختار أيضا– كما فعل اليهود بالضبط – وأنهم جميعا سيدخلون الجنة، ولو بعد حين فقط لأن حجته على الله تعالى أنه مسلم، ولو ضرب الناس، وشتمهم، وسرقهم، وهتك أعراضهم، ونسوا الحديث القدسى الذى يحاجج من دخل النار من الذين قالوا كنا نحسن الظن بالله، لتجيبهم الملائكة:

"-لو أحسنتم الظن لأحسنتم العمل.."

والحديث الشريف:

>> -نحن الأنبياء أولاد علات ديننا واحد ..<<

وكأنهم أعطوا رخصة للأشقياء، وسيىء السيرة فى الحياة الدنيا، وبرروا كل أفعالهم المشينة فقط لأنهم مسلمين.. ونسوا أنهم يكررون مزاعم اليهود الغبية بأنهم أبناء الله وأحباؤه، ولاأدرى كيف يجيبون بذرة من عقل على السؤال الحائر:

-كيف جعلكم الله أقل شعوب الأرض فى كل شيء.. رغم عددكم، وثرواتكم؟!.. وأكثرهم هوانا عليه، وعلى الناس؟!.. وكيف أن أى أمة ناشئة فى أى مكان من العالم لاتستطيع أن تؤكد ثقتها بنفسها، ومركزها فى العالم الا اذا أهانت أى شيء يمت للاسلام، والمسلمين بصلة، لأنهم يوقنون تماما بأن هذا البغاث، وغثاء السيل الذى يملأ جنبات الأرض لايملك حتى الرد بالكلام، لأنهم مشغولون بأنفسهم، وبدنياهم.. يعبون منها حتى الثمالة، وحتى يضرب بعضهم رقاب بعض.. حتى دخلوا فى قوله تعالى عن من سبقهم من اليهود:

"-بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى" الحشر 14 ..

وقد ناقشنا أوهام المسلمين المعاصرين فى المسائل التالية :

-رسالة الاسلام(التوحيد..(

فكل الأنبياء جاءوا بالتوحيد (رسالة الاسلام) منذ خلق الله آدم عليه السلام، وحتى محمد صلى الله عليه وسلم، وهو النبى الخاتم لهذه الرسالة حتى يوم القيامة التى هى يوم الدين، وقد سميت هذه الرسالة بالحنيفية السمحة منذ ابراهيم عليه السلام؛ عندما لج الناس بالشرك، وتاهو بين الآلهة المتعددة، والأوثان، وحادوا عن التوحيد..

-الاختلاف..

تحديد معنى الاختلاف بين البشر، وبين المسلمين أنفسهم..

-الكتاب..

تحديد معنى الكتاب، وتتبعه فى القرآن الكريم من أول اللوح المحفوظ، ثم نزوله، وتاريخه عبر العصور..

-الدين..

تحديد معنى الدين، ثم تحديد معنى الاسلام فى القرآن..

-الشرك، والكفر..

تحديد مسيرة الشرك، والكفر فى القرآن، ودعوى الكافرين، وتشابه الكفر، وادعاءاته على مر العصور فى القرآن..

-قضية التطور، وفتنة الاستنساخ ..

هل يتصور أن يتخذ الله سبحانه وتعالى خليفة له فى أرضه منحنى القامة، محدود العقل.. ويتحدى به الملائكة فى العلم، ويسجدهم له تحية، واكراما.. ويباهى بعد ذلك بعبادته التلقائية له بينهم دون اجبار؟!.. واذا رضى الغرب أن يكون أصلهم بهائم عجماء.. فهذا شأنهم .. أما نحن فلماذا لم ننأ بأصلنا، ونترفع عن هذا الأصل الردىء، ونعلن أننا من نسل آدم عليه السلام – كما أخبرنا الخالق – ولذا فنحن أشرف من الغرب..فقد كرمنا الله، وأهنا أنفسنا مرتين.. مرة ببيع عقولنا للغربيين بأن رضينا بما يقولون، ومرة عندما أجزنا هذا الغثاء، وتبعناهم فى هذا الادعاء..

-نهاية بنى اسرائيل..

وتتبعها فى القرآن الكريم، وتتبع تاريخها كأمة رئيسية من أهل الكتاب سبقوا المسلمين أهل الكتاب المهيمن(القرآن).. وبيان أوهام المفسرين نحو تفسير بداية الحشر فى القرآن.. حيث اقترنت درايتهم بالتاريخ بما لم يخرج عن اطار التوراة، وبرز كل من الطبرى، وابن كثير اللذين جمعا بين التفسير، والتأريخ ..

-الله.. هل علمه كعلمنا؟ ..

-فهل انتهى عمله سبحانه بالخلق كما يدعى البعض؟..!

-الأرض ..

-هل هى تدور فعلا كما تدعى وكالة ناسا، وحوارييها من مشايخ المسلمين؟ ..!

فقد تبعهم المسلمون فى ذلك.. بل دافعوا عنه بكل شراسة رغم اعلان القرآن، والسنة خلاف ذلك؟ ..!

-ولماذا؟ ..!

-هل لدى المسلمين أزمة فى العقل، والفهم، والادراك السليم؟..!

-هل سقطوا فى براثن الدونية، ومن ثم الانبهار بكل ماهو غربى؟..

-أم صاروا ببغوات عجماء؟!.. وأراحوا عقولهم بالوراثة كما أراح أسلافهم عقولهم، وراحوا يتتبعون التوراة نقلا، وتفسيرا، وقد كرمهم الله بالكتاب الصادق المهمين، وتعهد لهم بحفظه دونهم.. بعد أن انثدرت الكتب السابقة، أو حرفت، وأخذت معها الدين لنفس المصير..

-المعاملات(الأموال والثروات) فى الاسلام..

تخلوا أذهان المتحمسين لتطبيق الشريعة تماما من ابراء ذمتهم المالية مما علق بها السلب، والنهب، وأكل الحقوق، ولايحدثون اطلاقا عن واجباتهم المالية لأقرب الناس اليهم ..

-حقائق تاريخية مغلوطة ..

كشفها القرآن، وأماط عنها اللثام، ومع ذلك هجرها المسلمون، وساروا خلف من سبقهم من اليهود أول الاسلام.. وعندما تبعهم النصارى المعاصرون.. سار المسلمون المعاصرون خلفهم أيضا.. فكأن المسلمين قد خلطوا بين قدسية نصوص الوحى، وقدسية نصوص البشر.. حتى نال هذا الخلط من العقيدة الصحيحة للاسلام دون دراية، وهو ماتجلى فى ثلاث حوادث كبرى:

-1نبى الله المبكر والمعلم ادريس عليه السلام ..

دور النبى ادريس عليه السلام فى تبليغ الدين للبشر منذ بداية نزولهم الى الأرض بعد موت أبيهم آدم عليه السلام، وتتبع آثار هذا الدين فى معتقدات الحضارات القديمة على ضفاف النيل، ودجلة، الفرات، وفى الفلسفة القديمة،

وبالتالى نفى ادعاء الجهلة، والأغبياء بأن المصريين القدماء اخترعوا الدين من أمثال هنرى برستيد فى كتابه "فجر الضمير"، الذى دعمه كبار أغنياء اليهود الأمريكيين للرحلة الى مصر، وتأليف هذا الكتاب، واستشهاد المسلمين به فى اختراع البشر للدين، واكتشاف الاله، وكأن الاله صنم يعبد.. وساهم أئمة المسلمين – قديما، وحديثا- فى بخس حق هذا النبى، ودوره ..

ففى كلمة للكاتب"جمال بدوى" مثلا بجريدة الجمهورية، وغيره فى مواضع أخرى عن وصول القدماء المصريين الى الدين، فهل يعقل مايقولون؟ ..

أم أنهم يبغبغون بكلام الأجانب بلا فهم، ولاتمحيص ..

فهل خلق الله المصريين أنبياء لأنفسهم؟.. أو على الخلق؟ ..

ولماذا لم ينشروا دينهم، وعقائدهم خارج مصر؟ ..

وماهو الدين الذى وصلوا اليه؟.. وبما كان يأمرهم؟..

هل كان تعالى سيخلق البشر – ومنهم قدماء المصريين – ويتركهم لهداية أنفسهم.. مثل الأب الذى يلد أطفالا ثم يلقى بهم الى الشارع ليلقوا حتفهم؟.. هل هذا أب؟.. وهل هؤلاء أولاده الذين ينتسبون اليه؟.. ويحملون اسمه؟.. أم أنهم خلقوا من غير اله؟.. أو خلقوا أنفسهم؟..

-2فرعون موسى ..

-هل كان من قوم موسى؟ ..

-أم كان أحد ملوك المصريين القدماء؟ ..

والخطأ الذى وقع فيه المؤرخون، والمفسرون المسلمون باستسهال الأخذ من التوراة فى التاريخ، والتفسير، وكذلك الخطأ الذى وقع فيه المؤرخون الغربيون باقحام روايات التوراة - كتاريخ عنصرى لليهود - وتعميمه كتاريخ عام للمنطقة العربية(منطقة الرسالات السماوية)، واعتمادهم على المؤرخين اليهود بعنصريتهم الفجة..

-3قوم عاد ..

-من هم؟ ..

-وهل كانوا سلالة خاصة من البشر؟ ..

-وما هو دورهم فى التاريخ؟..

obeikandl.com

طريق الاسلام

"-قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أرباب من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(64) ياأهل الكتاب لما تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون(65) هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلما تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنت لاتعلمون(66) ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين(67) ان أولى الناس يابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين(68)" آل عمران.. لخصت الآيات الاسلام فى كلمات بسيطة هى:

"-1ألا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا.."

"-2وألا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله.."

وكما قال عن دعوة الرسل جميعا:

"-وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون" الأنبياء 25..

"-ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" النحل 36

فينسحب الاسلام أيضا على كل الأنبياء، ومنهم ابراهيم عليه السلام؛ الذى نسبه كل من اليهود، والنصارى لأنفسهم رغم بعثه تاريخيا قبل اليهود، والنصارى.. ولهذا فكونه مسلما ككل الأنبياء فأولى به هذا النبى، والمؤمنون: -"واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول

مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين" آل عمران 81..

مابعث الله نبيا من الأنبياء الا وأخذ الله عليه العهد منذ آدم عليه السلام بالايمان بآخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم- وهو شرط الاسلام على النبى

المرسل فى أى زمان- وينصره وذلك بتوصية أتباعه بالايمان به أيضا - كشرط للاسلام- فى الايمان بمنظومة الرسل كافة.. على أن تتتابع التوصية حتى النبى الذى يليه وهكذا حتى النبى محمد صلى الله عليه وسلم، الذى أكد فى أكثر من حديث من أنه لو كان موسى، أو عيسى، أو كلاهما حيين ماوسعهما الى اتباعه..

ولم يكن الحدث الأعظم فى حادث الاسراء من اجتماعهم كلهم عليهم سلام الله فى بيت المقدس كى يصلى بهم اماما الا تأكيدا لمعنى الآية الكريمة، وتفسيرا عمليا لها، واتحادهم كذلك فى كيفية الصلاة، واتجاهها يؤكد وحدة دينهم جميعا :

"-انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا" النساء 163..

يصل الوحى فى الآية كل الأنبياء فيما بين نوح، ومحمد صلى الله عليه وسلم.. الذى أوحى اليه القرآن، كما أوحى الزبور- وهو من الكتاب- الى داود عليه السلام:

"-لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا" النساء 166..

وكفى به تعالى شاهدا على هذا الوحى، والذى نزل بعلمه ليطلع عليه العباد من بينات، وهدى، وفرقان، كما تشهد الملائكة أيضا بهذا التبليغ:

"-ومأأرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون(43) بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون(44)" النحل..

"-وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون" الأنبياء 7..

تؤكد الآيات دخول النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم زمرة المنذرين، والمبشرين الذى يحذرون الناس، ويرشدونهم الى الطريق الصحيح الذى خلقهم الله تعالى من أجله:

"-وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" الذاريات 56..

والعبادة فى الآية هى العمل الوحيد الذى سيقوم به الانسان، لأنها لله وحده دون شرك بغيره لم يخلق، ولم يرزق، ولايملك لهم ضرا، ولانفعا.. فاذا انتفت الغاية التى خلق من أجلها الانسان وهى العبادة، أو التوحيد فقد سار فى الطريق الذى لايعلم مداه الا الله تعالى، من التخبط، والاحباط بلا معين سوى الهوى:

"-أفرأيت من اتخذ الهه هواه و أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون" الجاثية 23..

"-ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق" الحج 31..

ويختص الخمسة أولى العزم منهم بالميثاق الغليظ:

"-واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" الأحزاب 7..

"-شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب(13) وماتفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب(14) فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير(15)" الشورى..

تذكر الآيات هنا الأنبياء الخمسة أولى العزم، ولكنها تؤكد على الدين الواحد الذى جاءوا به جميعا، والذى وصاهم بابلاغه للناس جميعا كل فى زمانه، ومكانه، وهو:

"-أنه لااله الا أنا فاعبدون" الأنبياء 25..

والحديث الشريف:

>>-نحن الأنبياء أولاد علات ديننا واحد..<<

"-يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بم تعملون عليم(51) وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون(52)" المؤمنون ..

بمعنى أنهم أسرة واحدة.. دينها التوحيد على الرغم من أنه:

"-لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" المائدة 48..

فيتفرع من الدين "الشرعة"، و"المنهاج" ليعالج أمراضا دبت فى الأقوام.. مثل اشتهاء الذكور من دون النساء الذين أرسل اليهم "لوط" عليه السلام.. وهو مناف للفطرة، ولابد أن النساء كانت لديهن هذه المثلية أيضا، فلايمكن أن يتعايشن مع رجال لايشتهينهن :

"-ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين(80) انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون(81)" الأعراف..

وينقطع النسل فى الأمة فتنقرض:

"-أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر" العنكبوت 29..

علاوة على مافيه من النجس، وتوابعه، والذى يفضلونه عن الطهر:

"-أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون" النمل 56..

"-أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون" الأعراف 82..

ومثل بخس الناس، وتخسير الميزان عند قوم شعيب عليه السلام الأمر الذى يقضى على النشاط التجارى فى نهاية المطاف:

"-والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم" الأعراف 85..

ومن ثم النشاط الانسانى كله، لأن التجارة هى مناط هذا النشاط.. حيث تتركز الأموال لدى قلة تكدسها، ومن ثم تتحكم فى رقاب العباد:

"-كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم" الحشر 7..

أو يحدث زواج المال، والسلطة لقهر العباد:

"-ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون" البقرة 188 ..

فلا بد أن يتفرع المنهج، والشرع ليتطرق لمعالجة هذه الآفات وإلا فما فائدة الرسالة إن لم تتفاعل مع البشر، وظروفهم، وأمراضهم لتعالجها ..

وضرب الله لنا مثلا فى القرآن عن زواج المال، والسلطة بين قارون، وفرعون لقهر قوم موسى عليه السلام:

"-ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم" القصص 76..

"-ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله" آل عمران 64..

وقال عن دعوة الرسل جميعاً :

"-وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" الأنبياء 25 ..

فلخصت الآية الإسلام فى كلمات بسيطة ..

"-ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.."

وينسحب الإسلام أيضاً على كل الأنبياء؛ ومنهم إبراهيم عليه السلام الذى نسبه كل من اليهود، والنصارى لأنفسهم رغم بعثه تاريخياً قبل اليهود، والنصارى، ولذا فكونه مسلماً ككل الأنبياء فأولى به هذا النبى، والمؤمنون به:

"-ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين" آل عمران 68 ..

"-ياأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون" آل عمران 65 ..

والآية تصف كل منهما(اليهود، النصارى) بالشرك الذى تنفيه عن إبراهيم عليه السلام، عندما ينسبونه لأنفسهم :

"-ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين" آل عمران 67..

وليس الإسلام للأنبياء، والرسل فقط من البشر،ولكنه لكل من فى السموات، والأرض.. ومن هنا للعاقل الذى يعى الإسلام لأى أمة من الخلق من جنس الملائكة، وحتى الكائنات الدنيا.. أما "الطواعية" فهى للمستطيع أن يقوم بهذا الدين ، و"الكره" لم يتبعه بالرغم من عدم تهيؤه بخلقته للقيام بهذا الدين كسجود الشمس مثلاً تحت العرش، وهى قد تهيأت أصلاً لمهمة شاقة وهى الدوران حول الأرض.. ناشرة الضوء، والحرارة بإنتظام فى كل وقت.. فهى بهذه المهمة داخلة فى الإسلام، والإستسلام لربها، ولما أمرها به، وخلقها من أجله.. ولكنها مع ذلك تقوم بأمر السجود أيضاً، وكذلك المسلم الذى أمر بالقتال وهو مكره لما فيه من مشقة، وتعرض لفقد النفس، والمال.. وهو من مقومات الإسلام لله :

"-أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون" آل عمران 83 ..

ومن هنا أيضاً فالنبى مرتبط بمن قبله فى الاسلام.. كما أنهم أيضا مرتبطين به :

"-قل أمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى عيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" آل عمران 84 ..

كما قال للمسلمين جميعاً :

"-قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" البقرة 136 ..

وبصفة عامة، ومطلقة:

"-ومن يبتغ غبر الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين" آل عمران 85 ..

والإسلام هو الدين الذى أرسل الله به جميع الرسل، وما جاءوا متتابعين حين آتوا إلا لتخليصه مما علق به من شوائب وضعها الواضعون، أما ما عداه من

أديان فما هى إلا مااندثر منه مضافا اليه مجموع أقوال الكهنة، ورؤساء المعابد علقوها شرحاً على الوحى الآلهى، أو كتبوها بأيديهم وزعموا أنها وحى من عند الله :

"-فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله"البقرة 79 ..

وبين أيدينا كتابين من كتب الأديان التى كانت من كتب الإسلام المترلة، وقد اشتمل عليها القرآن:

"-وانه لفى زبر الأولين" الشعراء 196..

"-وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه" المائدة 48 ..

"-نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل (3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (4)" آل عمران..

ولكن الكتابين نالهما عبث البشر.. فهذه التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، وجاء فيها ذكر وفاته، مما يدل على أنها كتبت بعده، وقد اشتملت أيضاً على تاريخ "المصريين"،و"البابليين"، و"الأشوريين"، و"الفنيقيين"، و"الكلدانيين" من الأمم التى اختلط بها اليهود، ولا يعقل أن يترل الله كتاباً يروى تاريخ الأمم بطريقة تحقرهم بلا سبب سوى معاداة اليهود لهم.. فليس من أجل هذا يترل الله الكتب، ويجدد الدين لهداية الناس ..

أما الأنجيل فهو ليس الأناجيل الأربعة الموجودة بين النصارى اليوم.. بل توجد أناجيل أخرى، فما هى إلا ترجمة حياة عيسى عليه السلام كتبها تلاميذه، وهى ليست ما أنزل على عيسى، وكلها تختلف عن بعضها البعض ..

"-فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" الروم 30 ..

"-كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من

بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه" البقرة 213 ..

-1أمة واحدة(متصلة بالسماء ..(

-2أنبياء + الكتاب عند انقطاع الإتصال، أو هوانه ..

-3اختلاف لاختلاف الفهم، والبغى، والهوى.. ورد الأحكام على الله..

-4تجديد الهداية من الله تعالى ..

وكانت البداية :

"-شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً" الشورى 43 ..

والحديث موجه لمحمد صلى الله عليه وسلم، وأمته المسلمة منذ نوح عليه السلام.. الذى نزل أيضا بالاسلام، وهو يقر بذلك فى القرآن:

"-ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين" يونس 72..

أى أن هذا الإسلام هو الدين الأول، والأخير الذى فطر الله الناس عليه، وهو ما ذهب إليه "ماكس موللر" الألمانى فى كتابه "أصل الدين وارتقاؤه" سنة 1889 ..

والاسلام دين الفطرة، والفطرة لغة "الخلقة"، والخلقة فى اللسان العصرى "الطبيعة".. ومعناه أن الإنسان يحيا بمحض ما وهب من القوى العقلية بدون إرشاد ولا تعليم.. وهو ما أوحاه تعالى خالق الطبيعة إلى الناس من أول عهدهم بالوجود، ثم مازال يجدده ويطمس معالمه الجاهلون حتى أوحاه إلى محمد الخاتم، فوعد بحفظه من التحريف:

"-يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً" النساء 174 ..

"-إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" الحجر 9 ..

ولما كان الإسلام دين الفطرة فهو لا يكلف الإنسان إلا بما هو مطبوع على البحث فيه، واعتقاده بما لا يقف حجر عثرة فى سبيل تقدمه وترقيه؛ لأن غرضه الأول تخليص النفس الإنسانية من تلك الكسف الظلماتية التى أسدلها عليها حفظة

obeikandl.com

العقائد، وسدنة المعابد، والزاعمون بأن لهم حق الوساطة بين المخلوق، والخالق، وليطهر الأفئدة مما ران عليها من آثار الموروثات والتقاليد، وما تراكم عليها من غلف التعصبات والجمود، أما ذلك الدين فهو الإسلام لله، بمعنى الإستسلام إلى أحكامه بالقيام على صراط الفطرة المجردة عن الأوهام، والأفكار البشرية التى هى داعية الخلاف:

"-إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم" آل عمران 19 ..

"- فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" آل عمران 20 ..

"-الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (52) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (53)" القصص..

ثم يلتفت إلى أولئك الذين خضعوا لسلطان الأوهام، وحصروا عقولهم فى مضايق الخرافات :

"-إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس" النجم 23..

فيطالبهم بالدليل على ما حملت عقولهم فيقول :

"-ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين" الأحقاف 4 ..

"-هل عندكم من علم فتخرجوه لنا أن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون" الأنعام 148 ..

"- هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" البقرة 111 ..

"- ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً" النجم 28..

ثم يتجه إلى الذين أسلموا:

"-ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى"لقمان 23 ..

"-ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهومحسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً" النساء 125 ..

ويلقن القرآن النبى المرسل مبادئ الإسلام فى هذه الآيات الموجزة بلا فلسفة، ولا تعقيد :

"-قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين(161) قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين(162) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(163) قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون(164)" الأنعام ..

وليس فى الإسلام كهنوت، ولا كهانة، ولا وساطة، ولا هياكل.. بل ان المسلم شفيع نفسه تجاه خالقه.. يرجوا رحمته وغفرانه، والإتصال المباشر به، فلا كاهن، ولا رجل دين فى الإسلام بل ان رسول الإسلام يقول:

>>-بلغوا عنى ولو آية..<<

بمعنى كلنا رجال الدين ..

ان من أهم أسباب انحطاط المسلمين فى العالم هو ترك المسلمين الدعوة إلى الإسلام، وانشغالهم بالسياسة فيما أسموه اصطلاحا "الخلافة".. والدعوة تحتاج الى العلم، والحكمة، والموعظة الحسنة من المسلمين.. فذاب الإسلام.. واندحر فى بلاده، وانقرض فى أخرى بالحركات التبشيرية فى الفلبين، وجنوب السودان.. رغم وجود الخلافة(العثمانية)، ولم يقف المسلمون عند هذا الحد، بل تركوا دينهم أصلاً لغيرهم؛ يعبث به كيف يشاء حتى امتد العبث إليهم..وقد ابتليت الأمة بذهاب رجالها إلى جامعات أوروبا، وأمريكا للحصول على الدرجات العلمية(الدكتوراه) فى العقيدة الاسلامية، والمواد الشرعية، ممن لا يدينون بها؛ بل واللغة العربية ممن لا يتكلمون بها، واستمرأ الغرب ذلك، وتلقى أول الأمر هؤلاء المسلمين ليجعلوهم

فى طليعة رجال الدين فى بلاد المسلمين ممن يسمونهم "المعتدلون" وكأنهم يؤكدون للغرب بأن الإسلام دين الإرهاب فعلاً..

ولكن لأنه كما قال صلى الله عليه وسلم:

>>-الخيرفى وفى أمتى إلى يوم القيامة<<.. فقد رفض هذه الدكتوراه الغربية أجلاء العلماء من المسلمين الذين كان لهم أكبر الفضل فى الدعوة لهذا الدين من أولئك الدكاترة الغربيين مثل أصحاب الفضيلة المشايخ "محمد متولى الشعراوى"، و"محمد الغزالى"، و"السيد سابق"، و"عبد اللطيف مشتهرى"، و"سعيد حوى"، وغيرهم.. والأدهى، والأمر أنهم يحسبون هذا تقدماً، وهم على هذا الحال قرونا، ولم نجد منهم من تقدم قيد أنملة.. إنما هو تقهقر، وفقر، وذل ..

وعلاوة على ذلك ترك المسلمون البقية الباقية من دينهم لقلة منهم يدعونهم رجال الدين.. كان من جرائه أن أصبح الدين لا يعنى البعض فى شئ.. فالدين رجاله.. وما شأن الحياة بالدين؟!.. وما شأنه بالحياة؟!.. فالدين آخرة، وموت؛ ونحن أبناء الحياة.. حتى أصبح منهم من يقول:

"-للبيت رب يحميه .."

واستشرى الأمر على الساحة هذه الأيام فى الصراع على لقب "دكتور" بدلا من "شيخ" خاصة تلك الطبقة التى يطلق عليها الآن "مشايخ الفضائيات"، فاقتصر الأمر الآن على اللقب الذى يشترونه شراء من تلك الأكاديميات الداخلية، أو الخارجية التى اتخذها تجارة رابحة للباحثين عن هذا اللقب من منازلهم.. فلاسفر، ولادراسة، ولابحث، ولارسالة، ولاأساتذة مانحين.. فقط تحويل المبلغ المطلوب، كما أنهم أيضا لاينتسبون الى جامعات، أو معاهد متخصصة فى تدريس الدين كالأزهر مثلا، ولكن الأمر لايعدو قراءة حرة فى كتب لايعلم بعدها، أو قربها من الدين، ثم يلقى خطبة فى مأتم، أو مسجد لتصبح هذه الخطبة هى اجازته الى الدعوة.. رغم أن بعضهم لايحفظ القرآن، ولا يطلع على الأحاديث النبوية، وشرحها فى المتون المعروفة، وبعضهم لايعرف طريقا لكتب فقه المذاهب الأربعة مثلا، بل ان بعضهم لايعيرها اهتماما؛ فيدعى أنه لايعترف بها ليخفى جهله التام بها، أو لعله قرأها ولم يفهمها، ومن هنا جاءت الطامة الكبرى عن طريق من يدعون العلم بالدين،

ويتعرضون للدعوة.. فالدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى ليس له هيئة، أو نقابة لها مواصفات محددة، وتمنح شهادات لمن يتصدر للدعوة..لكنها تركت للهواه، وأنصاف المتعلمين.. بل هناك من لم يتلق أى تعليم بالمرة، ومن القرآن الكريم نفهم أن المتصدر للدعوة لاينبغى أن يكون عالما فقط.. بل لابد أن يتخطى العلم الى الحكمة، وحسن الجدل.. والا فلا يتصدر للدعوة أصلا:

"-ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن" النحل 125..

لقد اتبع المسلمون فى عهد الإزدهار نظاماً تعليمياً، وتثقيفياً يتناسب مع هذا الإزدهار.. فيحفظ الناشئ القرآن منذ نعومة أظافره، ثم ما قدر عليه من حفظه للنصوص الدينية؛ من أحاديث نبوية، وقواعد اللغة، والصرف .. ثم ينطلق محصلاً فى سائر العلوم دون خوف عليه من الإنسياب، والشطط ، وفى النهاية يخصص لنفسه العلم، أو المهنة التى ارتضاها، ووافقت مزاجه؛ واجتهاده، ولهذا نجد الإنسجام، والتآلف فى كتب التراث الحضارى الإسلامى.. تتجلى فى نظرتهم الشمولية للكون وللأشياء، ونظرتهم إلى العلوم ككل متكامل لا فرق بين طب، وفلسفة، ودين.. ولايضطلع بعلم، أو مهنة الا بعد أن يكون قد قرأ كتبها على عدد من مشايخ العلم، أو المهنة المتخصصين فيهما ..

والقاعدة الأساسية أنه لاكهنوت، ولا رجل دين فى الإسلام.. لنرى أن الفقهاء قد جعلوا الدين فى مرتبة أعلى من الناس، مع أن رب الناس انزله على قلب رجل منهم ليعيش الدين معهم، ولم يتطاول به على أحد:

"-فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر" آل عمران 159 ..

فجعل رجال الدين ممن تسموا بالفقهاء يصنفون، ويؤيدون، وينقضون حتى دخلوا بالناس فى دهاليز سبقوا بها الفلسفة اليونانية، وجدلياتها قبل ترجمتها الى العربية، واختفوا بالدين فى فراغ الكهوف المظلمة.. فقسموا الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، حتى أنهم انقسموا أيضاً، وغرهم العلم فجعلوه عالياً

على البسطاء، وهم غالبية الأمة، التى يخرج منها القيادات الدينية، والدنيوية، ولا أرى إلا أننا نحتاج الى ثورة ثقافية، إسلامية تعرف الناس بالقرآن، وصحيح السنة فقط دون الدخول فى مسارب الفقهاء العميقة الغور؛ والتى لا ينظر إلى أقوالهم، واجتهاداتهم سوى أهل الإختصاص، والنظر ، والاستنباط فقط، ولا يطلع منهم على الناس إلا من له القدرة على العرض والإيضاح(يعتبر الشيخ الشعراوى رحمه الله نموذجاً التف حوله الناس لبساطته، وجلوسه معهم).. فإذا أردنا قياس مسألة جدت فى حياتنا، أو استنباط حكم، فحينها نحتاج إلى الرجوع إلى مجلس الفقهاء – وليس واحداً فقط – للدراسة، واستقراء المناهج المختلفة المتعلقة بالتشريع، واستنباط الأحكام ..

فقد كان الفقه فى بداية عهده يهدف إلى الترجيح بين الروايات(روايات الحديث الشريف).. ولكن تغير الظروف حدا بالفقهاء إلى استخراج أحكاماً جديدة بناء على الأحكام المعروفة السابقة، فبدأ عهد التخريج من الأحاديث، والآثار.. وبهذا أصبح الدين "فناً" ذا مصطلحات معقدةً لا يعرفه، ولا يجيده إلا خبير الفقه.. فذهب الخشوع من القلوب، وتفرع الفن الى "فنون" تورثناها عبر عصر الاجتهاد؛ مثل "التصوف"، و"علم الكلام" .. أصبح الالمام بها جميعا مستحيلا على أى مسلم، ومن هنا تسرب الينا اهمال الدين، والفرقة فيه، وهى الفنون التى كانت مجهولة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يهتموا بالهيئات، والحركات، والتعريفات، والتفريعات، قدر اهتمامهم بالجوهر، والخشوع، ومايحدثه فى النفس من تغيير.. فكانوا يفهمون معنى الحديث:

>>-ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن لم تنهه صلاته فلا صلاة له..<<

فكم من المسلمين يصلون، ولاتنهاهم صلاتهم عن الفحشاء، والمنكر، والبغى، قولا، وعملا ..

ثم نشأ جيل التابعين، وتابعى التابعين، واختلفت الروايات صحة، وضعفاً، وتشعبت الآراء، وظهر الإجتهاد فى العبادات، وانقسم العلماء إلى فريقين: محدثين(ملتزمين) بحديث رسول الله، وفقهاء(يهتمون بالقياس، والإجتهاد،

والرأى).. فهل كان الصحابة يعلمون أن الوضوء يشتمل على 4 فرائض، 13 سنة، 8 مستحبات.. ومن هنا كثر الكلام فى العبادات، وأهمل فقه المعاملات حتى نسيه الناس، وقد أهدى فقه العبادات للمسلمين رذيلتين هما "الجمود"، و"الإختلاف"، أما "التصوف" فقد أحدث فى الإسلام مالم يحدثه "الخوارج"، و"الشيعة"، و"المعتزلة" من قولهم أن للقرآن ظاهراً، وباطناً.. والمراد هو "الباطن".. فسموا بالباطنية(من باب الإستعلاء على الأمة)، وقد اجتمع الرأى على اتهامهم بالزندقة، وأن هذه الباطنية لإخفاء إباحيتهم وفسقهم، وزاد الطين بلة "علم الكلام"، وأشياعه، وقد صدق فيهم قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة:

>>-تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله، وبرهة بسنة رسوله، ثم يعملون بالرأى.. فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا..<<

كان ينبغى على المسلمين مثلاً القضاء على الرقيق – كما أمرهم دينهم – خلال جيل، أو جيلين كما يقول الأستاذ العقاد، ولكن المحاربين منهم مدوا هذا الزمن بجلب مزيد من الرقيق فى الفتوح الإسلامية، ولم يبذل الفقهاء أى جهد فى هذا السبيل؛ بل عززوه بتقنين أحكام خاصة بالرقيق، وأخرى خاصة بالحرائر، وهو ماكان من وسائل تفريق الأمة.. بل آثروا حياة العزلة عن السلطة؛ ربما بدافع الخوف منها، أو ايثارا للسلامة كما يقول الدكتور حسين مؤنس.. حتى أن الامام أبا حنيفة النعمان قد رفض القضاء أيام أبى جعفر المنصور، وبشدة مع أنه لم يطلبها، ولكنها جاءته كما وصى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومات أبو حنيفة دون ذلك؛ وهو خطأ غير مبرر.. فإن لم يكن أبو حنيفة أهلاً لذلك فمن يكون إذن من الأمة؟!.. انه تخل عن المسئولية وكيف يتعلم الناس العدل، والإحسان إلا بقدوة كهذا، ولكنها العزلة التى فرضوها على أنفسهم، ولم يكن صلى الله عليه وسلم امامهم فى الدعوة كذلك، ولا أصحابه الكرام.. فكم تزوج صلى الله عليه وسلم مثلاً زيجات مختلفة لا ثراء اختلاطه بالناس.. من أجل الدعوة، وتأكيد أنه منهم، ولهم، وتعزيزاً لدور المرأة فى هذا المجتمع، فلم يعتزلهم قط فى مرحلة من مراحل حياته، ودعوته..

جاء أحدهم الى الامام أحمد بن حنبل يستفتيه ان كان عمله مع الخليفة اعانة على الظلم.. فأفتاه بأنه ليس معينا على الظلم.. بل هو نفسه ظالم، ولاأدرى لما لم يحاسب هذا الامام نفسه ليعتبر نفسه ظالما أيضا؟!.. أو على الأقل مشاركا فى هذا الظلم الذى ابتليت به الأمة التى حكم عليها بالظلم، وهو فيها، لأنهم رضوا بالخليفة الظالم.. ألم يقرأ قول الرسول الكريم:"مثلكم يولى عليكم".. ولكنه الهروب من المسئولية، واستسهال ادانة الناس بالباطل.. وأن هذا الامام، وأتباعه حرموا على الناس الخروج على الحاكم، ولو كام ظالما.. فماذا يفعل الناس؟ ..

يقول الغربيون بسطحيتهم المعتادة فى الدراسات الدينية، أو نيتهم السيئة؛ ان الإسلام انتشر بالسيف.. فقد حمله الفاتحون على الخيول، وأسنة الرماح، فكان لهم الدور الأكبر فى نشر الإسلام، ولم يتعمقوا فى الدراسة أكثر من ذلك كالعادة ليتعرفوا على دور التجار، وأهل الزهد من الطرق الصوفية فى نشر الإسلام فى بقاع، وأقوام أبعد، وأكثر جداً من تلك التى انتشر بها الإسلام بالسيف كما يدعون، وقد يكون لهم بعض العذر حيث لا عذر للجهل، والكسل بالقعود عن الدراسة، والإستقصاء قبل إطلاق الأحكام ..

وقد غفل المسلمون تلك الأيام عن كتاب الله، ومن ثم غفلوا عن تعريفات كثيرة فى القرآن تركوها وتغافلوا عنها، وتاهوا فى تعريفات من هنا وهناك، وأصبح كتاب الله تعالى كالوثن الذى يعبد من دون الله، فأصبح يقتنى فقط للتبرك، والتداول كتحفة فنية ثمينة تفننت المطابع، ووسائل النشر فى تنميقه وتزيينه كى يتحقق لهم أكبر قدر من البيع، والتوزيع.. وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لازال يشكونا الى الله:

"-وقال الرسول يارب انى قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا" الفرقان 30 ..

فهناك مفاهيم فى القرآن الكريم يجب ألا يغفلها المسلم العادى، فضلاً عن العلم بكتاب الله الذى أصبح لا يتحدث فيه منهم إلا الظاهر المشهور منه، ولايسمع منهم كثيراً من يتحدث عنه سوى الراحل الشعراوى فى خواطره حول القرآن، والإسلام.. الذى يظن كثير من المسلمين أن الله أنزله فى سياق القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقط ..

وقد أفلح الغربيون أبان إستعمارهم للعالم الإسلامى فى الحد من نظر المسلمين فى كتابهم بكافة الوسائل.. فقاوموا تدريس اللغة العربية.. لغة القرآن، ثم بدأوا مرحلة تالية بصرفهم عن كتابهم بما تعلموه منهم من علوم تخالف صريح القرآن، فى الخلق، وبدايات الخلق.. فأصبح المسلمون أنفسهم يعزفون عن كتاب الله دون جهد من أحد من غير المسلمين، فليس لديهم وقت لقراءته، أو حفظه حيث انشغلوا بالعلوم الأخرى، ولغات الآخرين، أو حتى النظر فيه، لأن كل معارفهم عن الكون، والحياة؛ وحتى التاريخ استقوها من مصادر غربية تخالف كتاب الله مخالفة صريحة، فيصدقون أساتذتهم الغربيين، ولا يصدقون القرآن.. فمنهم من هو مصاب بالفصام، ومنهم من نحى القرآن جانبا كمصدر صادق للعلم، والتاريخ مدعيا - جهلا – أنه فقط كتاب للمواعظ..

ولعلى أشفق على الجيل الذى عاصر حركة الإستعمار الغربى للعالم الإسلامى بقوة السلاح الذى مثل المادية، والمدنية فى عنفوانها.. ولا أقول الحضارة بالمعنى الكلاسيكى لها.. لأن الحضارة هى مجموعة من القيم التى هى بمعنى الشئ القيم، وليست هى سلبيات المدنية التى بدأت تظهر الآن، والتى بدأوا يعانون منها، ويشركونا معهم فى هذا العناء؛ مع أنهم لم يشركونا فى مدنيتهم إلا بقدر انتفاعهم منا مثل تصدير السلع لنا من الطائرة حتى المخللات، والمشيهات، وبعض نفاياتهم، ومبازلهم ..

نزل القرآن مدعما للغة العربية، ومتحديا للعرب فى ثروتهم الوحيدة.. وهى اللغة، وفوق ذلك جعلهم الاسلام أمة ذات حضارة، ومكن لها دورا بارزا فى التاريخ.. فاحتلت أجزاءا محسوبة فى الزمان، والمكان.. بيد أننى أرى أنه رغم نفع الاسلام للعرب؛ الا أنهم أضروه كثيرا، ولانراهم منذ فجر الاسلام، وحتى هذه الأيام الا أسوأ أمثلة المسلمين اذا ماقورنوا مع الأمم التى دخلت الاسلام من غيرهم.. رغم مااشتهر عنهم من استعلائهم على الأمم المسلمة من غير العرب فى عصر الدولة الأموية، حتى سموا مادون العرب "بالموالى".. رغم قول النبى صلى الله عليه وسلم:

"-لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى".. فاتخذوا منهم عبيدا، ومماليك يحمونهم، وقد أدى هؤلاء الموالى من خدمات للاسلام تفوق ما أداه العرب..

كان "أحمد لطفى"، و"عبد العزيز فهمى"، و"طه حسين"، وغيرهم من أبطال الخط اللاتينى للغة العربية فى مصر(كما حول الفرنسيون أهل المغرب العربى- تونس، والجزائر، والمغرب- الى لغتهم الفرنسية) معتقدين - جهلا، واستخفافا- أن تغيير حروف الكتابة هو طريق التقدم، وماهو الا هدما لأحد الأركان التى تصنع هوية الدولة.. وهى اللغة العربية.. ومن ثم قرآنها المكتوب بالعربية..

obeikandl.com

الاسلام.. دعوة الرسل

"-وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون" الأنعام 153..

والسبل دون الاسلام(الطريق المستقيم) تأخذ الانسان بعيدا، ومن ثم فلا تقوى.. وقد استهل الله تعالى كتابه بتعريف شامل للتقوى التى هى:

"-الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3) والذين يؤمنون بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك وبالأخرة هم يقنون(4)" البقرة..

ودعوة الرسل هى:

"-ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" النحل 36..

والطاغوت الشيطان.. ويقول لرسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم موضحا له أزلية هذه القضية منذ بداية الخلق:

"-واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى" الأعراف 172..

"-فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الذى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" الروم 30..

"-صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" البقرة 138..

فالدعوة واحدة، وأزلية..وليست جديدة كما بين لرسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم:

"-ومأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون" الأنبياء 25..

فى صحيح البخارى عن ابن عباس:

"-كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام.."

فمضى من الأنبياء "آدم" عليه السلام، ومن بعده "شيث"، ثم "ادريس" عليه السلام، وماكانوا الا معلمين لكيفية الحياة الجديدة على الأرض بوحى من الله تعالى، ولم يترك الله تعالى مخلوقه الذى فضله على العالمين لكى يكتشف، ويخترع بالصدفة، أو غيرها.. كما يتوهم الضالين، المضلين من ذوى الحضارة الحديثة، وتابعيهم من جهلة المسلمين..

لقد كان الانسان دائما موضع عناية الله سبحانه، وتعالى(كما يفعل الانسان مع أولاده؛ لأنه رب).. فقد خلقه، وكان عليه تعالى تعهده بالهداية، والعلم.. ولم يكن ليتركه للجوارح، والضوارى تنهى حياته.. فقد هيأ تعالى له الأرض، ولم يتركه نهبا للعوامل الجوية يصارعها كما يدعون؛ من عصور ثلجية، أو مطيرة اجتاحت الأرض.. فما المبرر اذن لوجوده فى الأرض والوضع هكذا، وعادة مايتحرك الانسان فى اتجاه صفاء الجو، واعتداله، وتهيئة الظروف المعيشية لنفسه، ولنسله)فالحشرات، والحيوانات، والنباتات تفعل ذلك.. فما بال الانسان ذو العقل، والتمييز).. ولماذا لايعيش الانسان حاليا- ان كان مايدعونه حقا- فى القطبين الشمالى، والجنوبى بوسائله الحديثة، وحضارته التى ذللت سبل العيش؛ مادام قد استطاع الحياة فى عصور الجليد الأولى؟!.. ان كل نظريات نشأة الأرض ظهرت غالبا بعد داروين:

"-ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" الاسراء 70..

ثم تلهى الناس بالحياة، وأخذتهم هنا، وهناك.. فنسوا ماذكروا به، وأدخل عليهم الشيطان الشرك بالله، وماكان تعالى ليدعهم وشأنهم يتخبطون.. فأرسل الرسل:

"-لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" الأعراف 59..

"-واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم

عليكم غمة ثم اقضوا الى ولاتنظرون(71) فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين(72)" يونس..

وجاء نوح عليه السلام بالاسلام فى الآية المذكورة.. وهو من طلائع الرسل:

"-ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين(25) أن لاتعبدوا الا الله (26)" هود..

"-ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون" المؤمنون 23..

وفى سورته التى سميت باسمه عليه السلام:

"-قال ياقوم انى لكم نذير مبين(2) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون(3)" نوح..

"-قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا" نوح .. 21

وهم الكهنة، وعلية القوم.. المترفون، أو الملأ بلغة القرآن..

"-ومكروا مكراً كبارا(22) وقالوا لا تذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا(23)" نوح..

وقد كانوا آلهة أدخلوا فيهم هؤلاء المذكورين لصلاحهم، وهى عادة بشرية خلفتها الكهانة التى أضلت الناس واستعبدتهم بآلهة اختلقوها، وخلطوا فيها الجيد بالردئ كى يصدقهم الناس، ويغدقوا عليهم كما فعل الكهنة المصريون بإدريس عليه السلام :

"-واذكر فى الكتاب إدريس أنه كان صديقاً نبياً(56) ورفعناه مكاناً علياً (57)" مريم ..

ويبدو أن الرفع كان بناء على مؤامرة كما نشتم ذلك من قصة أوزوريس التى قصها الكهنة، فانتهزوا مسألة الرفع هذه واستفادوا منها لصالحهم، كما استفادوا من صدقه، ونبوته، وتعاليمه، وما علم للناس، ولبسوه من أجل مصلحتهم.. كما لبس الشياطين مانزل به الملكين ببابل هاروت، وماروت من صحيح السحر الذى استغله الكهنة لقلب حال الناس، وعلموه لهم بمقابل :

"-فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه" البقرة 102..

إذا ماذا سيستفيد بالتفرقة بين المرء، وزوجه إلا المنفعة الزائلة لأنفسهم، والتعالى على الناس بغير الحق، ومن هنا أخذ الكهنة أيضاً مسألة الرفع هذه لتأكيد الملك، وجعلهم الملك الحاكم من نسل الألهة كما ألهوا إدريس نفسه، وحرفوا اسمه الى "أزوريس"، وانتزعوا تعاليمه لأنفسهم – بعد أن حرفوها - كى يضلوا بها الناس، ويستغلونهم، ويقاسموهم أرزاقهم الزهيدة.. فهم يرهبون الناس بالآلهة ..

ولكنهم يستطيعون جلب منافعهم للناس، وكان الآلهة أتباعهم وليس العكس.. فكان على الناس أن تدفع للكهنة كى تتجنب غضب الآلهة،أو غضب هؤلاء اللصوص، وقد دخلوا على الملك بهذا، وجعلوه إلهاً يعبده الناس، ويقدسونه ليستبعدهم، والإله لا يموت كما يعرف الناس، وكذلك الملك لا يموت.. ولكن الإله الأكبر، أو والده الإله قد رفعه إلى السماء.. لقد تحالفوا هم أيضاً مع الشيطان؛ كما فعل البابليون بعد ذلك، وكما فعل النصارى حين ألهوا المسيح بعد أن رفعه الله ..

وكان الملك، أو الحاكم فى مصر القديمة، وفى غيرها من البلاد القديمة مثل بلاد الرافدين تجبى اليه الضرائب لتملأ خزانته، وتقوم الحروب اعلاء لذكره، وتنشأ العمائر تكريما له، وكانت الرعية ملكا له يتصرف فى حياتها، وأورواحها كيفما يريد، ويقوم مستشاروه الى جواره؛ الى جانب طائفة الكهنة، والأسرات الغنية من النبلاء، والقواد الذين كان لهم نفوذهم.. وكان الملك يغدق عليهم على حساب الشعب فى الوقت الذى يؤلب فيه طائفة ضد أخرى ليستقيم له الأمر، وليضمن لنفسه حكما طويلا مملؤا بالخير، والبركات..

ولم يكن الاله - اله المدينة – يرعى شئون المملكة، أو المدينة شخصيا.. بل يختار وكيلا يعهد اليه برعاية شئون شعبه.. فكان الملك، أو رجل الدين - وكثيرا ماكان الملك هو الكاهن الأعظم للاله - يستغل الشعب باسم الهه المعبود، وكان الملك هو المشرف على الادراة المدنية، والدينية لايلبث أن يؤله نفسه فيصبح المتصرف فى المعابد، وأملاكها، وخيرات البلاد، وفى شعبه المسكين..

"-والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون" الأعراف 65..

"-والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" هود 50..

وقال تعالى عن قوم عاد، ونبيهم هود بعد ذكر قوم نوح فى سورة المؤمنون:

"-ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين(31) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون(32.."(

وفى سورة الشعراء :

"-كذبت عاد المرسلين(123) اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون(124) انى لكم رسول أمين(125) فاتقوا الله وأطيعون(126.."(

وفى الأحقاف – الآية 21:

"-واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله.."

"-والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" الأعراف 73..

"-والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" هود 61..

"-كذبت ثمود المرسلين(141) اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون(142) انى لكم رسول أمين(143) فاتقوا الله وأطيعون(144)" الشعراء..

"-ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله" النمل 45..

"-وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (16) انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون(17)" العنكبوت..

ومرة أخرى لقومه :

"-قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين" الأنبياء 56..

ومرة ثالثة يعرف أبيه، وقومه بالاههم الحق، والهه؛ بعد أن يسفه استسلامهم لعبادة الأصنام:

"-اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون(70) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (71) قال هل يسمعونكم اذ تدعون(72) أو ينفعونكم أو يضرون(73) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون(74) قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون(75) أنتم وآباؤكم الأقدمون(76) فانهم عدو لى الا رب العالمين(69) الذى خلقنى فهو يهدين(70) والذى هو يطعمنى ويسقين(71) واذا مرضت فهو يشفين(72) والذى يميتنى ثم يحيين(73) والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين(74)" الشعراء ..

ويدعو ملكهم الذى ادعى الالوهية، وراح كهنته يروجون هذا الادعاء بين رعيته كى يتحكموا فى رقابهم، وأرزاقهم.. فما كان منه الا سفسطة الجهل، وسفه الجبروت:

"-ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر" البقرة 258 ..

"-واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود(26) وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق(27)" الحج..

"-وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود" البقرة 125..

"-واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم(127) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم(128) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم(129)" البقرة..

ويخبر القرآن عن اسلام ابراهيم عليه السلام، ثم بنيه:

"-اذ له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين(131) ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون (132) أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون(133)" البقرة..

"-كذبت قوم لوط المرسلين(160) اذ قال لهم أخوهم لوط آلا تتقون(161) انى لكم رسول أمين(162) فاتقوا الله وأطيعون(163)" الشعراء..

وعن القرية التى أمطرت مطر السوء.. التى كان فيها القوم الفاسقين الذين أرسل فيهم لوط عليه السلام :

"-فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين(36) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين(37)" الذاريات..

وهم لوط عليه السلام، وأهله.. ماعدا زوجته التى شايعت الفاسقين..

درس إبراهيم عليه السلام علوم القوم التى كان منها علم الهيئة، أى الفلك من كواكب، ونجوم:

"-فنظر نظرة فى النجوم(88) فقال إنى سقيم(89)" الصافات..

بمعنى أنها أصيب بالمرض سخرية منهم، ومن معقداتهم، اذا كانوا لايدرسونها كعلم نافع، ولكنهم كانوا يربطونها بمصير الانسان، ومستقبله، وهو ماأنكره عليهم ابراهيم عليه السلام.. فأطلعه الله تعالى على الملكوت كله ليثبت ايمانه، ويقينه فى الله :

"-وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين(75) فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين(76)" الأنعام ..

ويرجح أنها كوكب "الزهرة" من الكواكب السيارة مثل: عطارد، والمريخ، والمشترى، وزحل ، ولكنها من ألمع الكواكب، وهو تشرق، وتغرب حتى تغيب فى

آخر الليل، لتشرق فى الليلة القابلة على هذا المنوال؛ فهداه الله أن الأفول ليس من شيم الرب، والإله الصمد.. فجرب الأكبر، والأظهر، والأكثر نورا :

"-فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الظالمين" الأنعام 77..

طلب الهداية، والمدد من الاله الحق الذى خلق من وراء هؤلاء، وإلا سيكون ظالماً لنفسه مثل قومه؛ وهنا يدخل الإله معه فى هذه التجربة الأخيرة التى جاوز بها المدى، فقد وقف القوم عند عبادة الشمس، أو أى مظهر لها، فما من أمة فى التاريخ إلا عبدت الشمس لأنها>>- :تخرج بين قرنى الشيطان..<<

والشيطان قد توعد بنى آدم بالضلال،والإضلال..ولكن إبراهيم عليه السلام قد إلتجأ إلى الكبير المتعال :

"-فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برئ مما تشركون(78) إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين(79)" الأنعام..

فلم يقف إبراهيم عند هذا من إكبار للشمس وتأليهها مثل قومه.. ولكنه تجاوزها إلى خالقها فلا يصح للخالق الصمد أن يأفل، وهو كبير، وساطع هكذا.. ولذا قال عنه ربه:

"-إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً وما كان من المشركين" النحل 120 ..

فقد تجاوز أفكار قومه العقيمة، السقيمة، المتبوعة بلا تفكير، أو تدبر، ويزخر التاريخ بما قالوه عن الشمس، وما وقفوا به عندها..

"-والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" الأعراف 85..

"-والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" هود 84..

"-كذب أصحاب الأيكة المرسلين(176) اذ قال لهم شعيب ألا تتقون(177) انى لكم رسول أمين(178) فاتقوا الله وأطيعون(169)" الشعراء..

والصبر من الاسلام؛ وهو من شيم الأنبياء دائما حال البلاء، والابتلاء.. مثلما حدث لابراهيم، وابنه الأكبر اسماعيل النبيين عليهما السلام:

"-فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين" الصافات 102..

ولهذا يذكره القرآن فيمن أدخلهم الله تعالى فى رحمته، وفى عباده الصالحين

"-واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين(85) وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين(86)" الأنبياء..

وعن صفات الاسلام؛ والدعوة اليه.. التى كانت فى اسماعيل عليه السلام:

"-واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا(54) وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا(55)" مريم..

ولايثنيه السجن عن الدعوة الى الاسلام..فيقول يوسف النبى عليه السلام لصاحبيه:

"-ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون(36) واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون(37) ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (38) ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون(39)" يوسف ..

وكما حدث لابراهيم عليه السلام عند مناظرته لطاغية بابل بأرض الرافدين، كانت هذه المناظرة بين موسى عليه السلام مع أخيه هارون، وبين طاغية مصر بأرض النيل برغم مابينهما من زمن، وكلاهما دولة ذات حضارة، وجند؛ سأل فرعون الطاغية وقد بدأ يهتم بما يقوله موسى النبى عليه السلام :

"-قال فمن ربكما ياموسى" طه 49..

يجيب عليه السلام:

"-قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى" طه 50..

ثم يستفسر فرعون:

"-فما بال القرون الأولى" طه 51 ..

وسواء يسأل عن تاريخهم، أو أخلاقهم، أو مصائرهم الأخروية؛ فيجيبه النبى عليه السلام دون خوض فى فرعيات لا تجدى شيئاً فى الدعوة إلى الله، أو إدعاء العلم :

"-قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولاينسى" طه 52..

دون الرجم بالغيب، والخوض فيما لايعلم إلا ظناً، أو ترجيحاً ممن يسردون التاريخ، وكأنهم قد اطلعوا عليهم، وليس مما بقى عنهم إلا آثاراً وصوراً ..

وعندما كان فرعون فى النزع الأخير:

"-حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين" يونس 90..

ومع تكبره عن ذكر اسم الله صراحة.. فقد كان يعرف الاسلام الذى نسب نفسه اليه فى لحظاته الأخيرة، وكان يعرف أن بنى اسرائيل مسلمين فى زمنه..

ولكن السحرة الذين جلبهم فرعون من مدائن وادى النيل كما نصحه ملأه من علية قومه كانوا أحسن فهما للاسلام، وادراكا للاله الحق، وهم من أركان دولة وادى النيل الذى تحكم فيها فرعون، وكانوا بحكم علمهم، ووظيفتهم على صلة بعامة الناس، وكذلك على صلة بكهنة وادى النيل ويقول القرآن عن هؤلاء الملأ، ومن شايعهم من بنى اسرائيل فى بلاط الفرعون، وفى حضور موسى عليه السلام :

"-قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم(109) يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون(110) قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين (111) يأتوك بكل ساحر عليم(112)" الأعراف..

فهم يروجون بين الناس أن فرعون هو الاله، أو ابن الاله، وأنه قدرهم على الأرض، وهذا مايعطيه شرعية حكمه، ودولته بين الناس فى الداخل، والخارج..

فى مقابل أن يمنحهم فرعون المزايا، والعطايا من اقطاعيات، وهبات، وتحكم فى مقدرات الناس، وأرزاقهم؛ فكانوا أغنى من فرعون نفسه(مثل قارون)، والا انقلبوا عليه، ومعهم الناس أيضا.. ولذا كان السحر من أهم علوم وادى النيل التى لاينالها الا الخاصة من المختارين من سدنة النظام، ولم يكن علما نظريا.. بل كان علما تجريبيا يمارس أمام الناس، ولذا كانت هذه الطبقة تحصل على أسباب معيشتها اعتمادا على الناس من هذا العلم، يقول القرآن عنهم:

"-وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا أجرا ان كنا نحن الغالبين(113) قال نعم وانكم من القربين(114)" الأعراف..

فكان السحر هو كل شيء فى حياة المصرى آنذاك فى دنياه من زواج، وانجاب، وزراعة، وصناعة، وغير ذلك، وحتى فى آخرته.. فهو لايستطيع أن يلقى الآلهة فى العالم الآخر الا بالسحر، والتمائم كى يدلس عليهم مافعله من ذنوب فى حياته الدنيا.. يقول القرآن الكريم عن قوة سحرهم:

"-فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم" الأعراف 116..

حتى أن قوة سحرهم أدهشت موسى نفسه، وأخافته رغم نبوته، واتصاله بالوحى.. فيصف لنا القرآن الكريم هذا المشهد من مناظرته عليه السلام لهؤلاء السحرة العلماء الأقوياء أمام فرعون:

"-قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى(65) قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى(66) فأوجس فى نفسه خيفة موسى(67) قلنا لاتخف انك أنت الأعلى(68) وألقى مافى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى(69)" طه..

"-فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون(118) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (119)" الأعراف..

وكانت المفاجأة للجميع، وبداية انهيار ركن من أركان الدولة.. دولة فرعون، وهم هؤلاء العلماء الذين كان فرعون متحكما فى دولتهم بظلمه،

وجبروته، وقد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام فى أنحاء وادى النيل.. فهم يعرفون السجود، وقبل السجود يعرفون رب العالمين:

"-وألقى السحرة ساجدين(120) قالوا آمنا برب العالمين(121) رب موسى وهارون(122)" الأعراف..

ويتوالى الامهيار أيضا بدخول رسالة موسى عليه السلام بيت فرعون نفسه، بعد أن ربى موسى فى بيته، وذلك بايمان واحد من أهل فرعون، وأصبح يؤازر موسى، وأخيه فى دعوتهما لفرعون، وملئه، وقومه:

"-وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد(38) ياقوم انما هذا الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار(39) وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار(40) تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار(41)" غافر..

وبلغت الدعوة زوجته أيضا.. فتستغيث بالله من فساد فرعون، وجنوده:

"-وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين" التحريم 11..

ومن رسل القرآن أيضا الياس عليه السلام:

"-وان الياس لمن المرسلين(123) اذ لقومه ألا تتقون(124) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين(125) الله ربكم ورب آباؤكم الأولين(126)" الصافات..

وفى دعوة سليمان عليه السلام لملكة اليمن:

"-قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم(29) انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم(30) ألا تعلوا على واتونى مسلمين(31)" النمل..

يتلاحظ عدم ذكر كثير من أنبياء بنى اسرائيل وهم كثيرون لأنهم كانوا يعرفون الله، ولهم خبرات حية بهذه المعرفة، فكانت الرسل للتذكير، وحل ماحرم عليهم من قبل من كثرة زلاتهم، واعتمادهم على أرباب الدول التى دخلوها.. فنسوا الههم الحق.. ولكننا ذكرنا الرسل الذين كانوا يأتون أقواما رانت على

قلوبهم الوثنية، وتفننوا فى الشرك، والابتعاد من رحمة الله بعباده طبقا للقاعدة الأزلية:

"-وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا" الاسراء 15..

وفى ذلك اتبعنا ماذكره القرآن..

أما قافلة الايمان الخاتمة فيذكرها بالعهد، وأمم الايمان التى خلت:

"-قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا وماأنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وماأوتى موسى وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" البقرة 136..

ثم يعرف هذا بقوله:

"-ومن يبتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين" آل عمران 85..

"-أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون" آل عمران 83..

"-ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا" النساء 125..

"-ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين" آل عمران 68..

وأيضا لرسوله الخاتم عليه الصلاة والسلام:

"-قل آمنا بالله وماأنزل علينا وماأنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وماأوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" آل عمران 84 ..

"-انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط" النساء 163..

"-ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين" النحل 120..

"-ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين" النحل 123..

"-قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين(161) قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين(162) لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(163)" الأنعام ..

"-واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعبسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" الأحزاب 7..

ونلاحظ أن الأنبياء أولى العزم بعثوا فى دول كبيرة، أو على حدود دول كبيرة، وهم: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة، والسلام:

-1 نوح.. الدولة كانت قبل الطوفان، واندثرت نهائيا، ولم يبق منها أى أثر، ولكن خبر الطوفان ظهر فقط فى أساطير الدولة البابلية فيما بعد، وهى التى عاصرت ابراهيم عليه السلام..

-2 موسى.. وقت تجبر فرعون على مصبات النيل الشمالية فى مصر..

-3 عيسى.. الدولة الرومانية فى أوج مجدها..

-4 محمد.. على حدود الدولتين الكبيرتين المتناطحتين.. الرومانية، والفارسية.. والرومانية امتدت من عيسى حتى محمد ..

"-واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين" آل عمران 81..

عن ابن كثير.. قال على بن أبى طالب، وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما: مابعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه؛ وفى بعض الأحاديث:

>>لو كان موسى وعيسى حيين ماوسعهما الا اتباعى ..<<

فهو الرسول الخاتم، والامام الأعظم الذى أم الأنبياء ليلة الاسراء- كما ذكرنا - عندما اجتمعوا له فى بيت المقدس باذن الله تعالى - وهو حدث له دلالة تؤكدها هذه الآية، ولو غفل عن ذلك المسلمون – ونضيف الى هذا التفسير أن هذا الميثاق من الايمان، والنصر قد كان من دعوة الأنبياء لأتباعهم من المسلمين الذين ينبغى أن يؤمنوا بكافة الأنبياء- من أول آدم حتى محمد عليهم السلام جميعا - ، وليس نبى زمنهم فقط حتى يكتمل ايمان المسلم منذ آدم وحتى محمد عليهم السلام.. وهو مايفسر الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن عن الصفوة المؤمنة من أهل الكتاب بالذات، والتى نعتقد أنها لا تقتصر فقط على القلة التى عاصرت النبى محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود، والنصارى أمثال عبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وابن كعب من اليهود، والنجاشى، وأتباعه من أهل الحبشة من النصارى، فلعلهم لايقتصرون على هذه الأعداد البسيطة، ولكنها كثيرة على مدى العصور الى عصرنا هذا، ولايعلمهم الا الله تعالى، وتلك الآيات الكثيرة نسبيا لانعتقد أنها تنزل لتخليد هؤلاء النفر فقط الذين تواجدوا فى عصر واحد:

"-وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عن ربهم ان الله سريع الحساب" آل عمران 199..

"-الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون(52) واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين(53) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون(54) واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلم عليكم لانبتغى الجاهلين(55)" القصص..

"-الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به" البقرة 121..

"-ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" الأعراف 159..

"-ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون(113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين(114) ومايفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين(115)" آل عمران..

"-قل آمنوا به أو لاتؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا(107) ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا(108)" الاسراء ..

obeikandl.com

أصل الاسلام فى الأزل

"-هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا" الانسان 1..

الاجابة: - نعم..

-هل كان هناك اسلام، ودين قبل الانسان؟..!

الاجابة: - نعم..

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3)" الرحمن ..

ويقول لرسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم موضحا له أزلية هذه القضية منذ بداية الخلق:

"-واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى" الأعراف 172..

والآية توضح أصل التوحيد فى الأزل، وتبدأ بحقيقة علمية أن ذرية آدم تخرج من ظهره:

"-فلينظر الانسان مما خلق(5) خلق من ماء دافق(6) يخرج من بين الصلب والترائب(7)" الطارق..

والصلب هو العمود الفقرى فى الظهر الذى يقيم الانسان، ويجعله مستقيما الى أعلى .. ليتميز عما هو دونه من الحيوان، أو ربما هو صلب الرجل المنتصب ليودع الماء المهين، أو النطفة بالدفق فى قرار مكين:

"-ألم نخلقكم من ماء مهين(20) فجعلناه فى قرار مكين(21) الى قدر معلوم(22)" المرسلات..

ويشرح القرآن ملامح الخلق، وعلاقاته التى لاتنتهى:

"-يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة" الحج 5 ..

ويجمع فى علاقة لطيفة بين التراب، والماء الذى خلق منه هذا الانسان.. فيأتى بالتراب الذى تمثله الأرض فى أول الآية، ثم فى آخرها:

"-وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من زوج بهيج" الحج 5..

وكأن المرأة مثل الأرض التى يحييها الماء(ماء الرجل) فينتشر البشر، ويعمرون، وهى تلد الأزواج من الأولاد، والبنات، كما تنبت الأرض النبات فى أزواج من أجل التكاثر الذى هو سر الحياة، والنماء.. وهو تعالى لايخلق فقط، والا أصبحت خلقة بلا هدف، ولامعنى، ولكنه يسوى، ويعدل:

"-ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم(6) الذى خلقك فسواك فعدلك(7)" الانفطار..

والحامض النووى الذى كان أصله فى ظهر آدم عليه السلام، وانتقل الى ذريته لايزن الجرام على طول عمر، وكثرة هذه الذرية، وهو الذى نقل الميثاق منذ آدم بأنه ليس من خالق الا هو.. فهو تعالى كصانع ابتكر، ثم سجل اسمه على الابتكار.. بيد أن الاعجاز أن هذا الابتكار يدرك ماهية نفسه، ولابد أن يدرك مبتكره، وصانعه أيضا:

"-ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" الزخرف 87..

أى يشهدون بالصانع الأوحد، والأعلى بفطرتهم التى ركبت فيهم منذ الأزل..

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

>كل مولود يولد على الفطرة..<

والفطرة هى دين التوحيد.. وهو الاسلام:

"-فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" الروم 30..

وفى صحيح مسلم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة (حديث قدسى :(

>>-انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم.. وحرمت عليهم ماأحللت لهم..<<

"-انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا" الانسان 2..

والأمشاج هى الطور الجينى للحيوان المنوى، أو البويضة ثم يبتليه منذ هذه المرحلة المبكرة – مرحلة الأمشاج – فينظر كيف هو – حافظا للميثاق منذ كان فى ظهر أبيه آدم أم نسى ولم يهتم – قبل أن يشق فيه سمعه، وبصره، ويكون أعضاءه فى الرحم..

ولكن للأسف لم يحفظ كثير من الناس عهد الله، وميثاقه.. رغم الرسل، والكتب:

"-وماوجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين" الأعراف 102..

وكان الناس أمة واحدة

opelkandl.com

"-كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وماختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الي صراط مستقيم" البقرة 213..

"-ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" المائدة 48..

"-و ماكان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون" يونس19..

"-وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" الانبياء 92..

"-ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم (51) وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون(52) فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون(53)" المؤمنون..

رواية ابن عباس:"كان بين نوح، وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا.. فبعث الله النبيين مبشرين، ومنذرين".. بما يعنى أن الشرك حادث فى الناس، وأن الناس كانوا على دين واحد، وهو الاسلام.. ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعبدت الأصنام، والأنداد، والأوثان(البقرة 213).. فبعث الله الرسل بآياته، وحججه البالغة، وأحكامه الظاهرة فى كتابه(المائدة 48).. ولولا وعد الله أن لايعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه، وأنه أجل الخلق الى أجل معدود لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه، ومأأصبحوا فيه من زبر، وأحزاب(يونس 19، والمؤمنون53 ..(

"-ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين(118) الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين(119)" هود ..

"-ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون" النحل 93..

"-ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون مالهم من ولى ولانصير" الشورى 8..

"-ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون" الزخرف 33..

ولايزال الاختلاف قائما بين الناس، والى يوم القيامة، وهذا خلقهم الذى فطرهم الله عليه، وهو الاختيار، وحرية الاختيار فيما يدينون، ويعتقدون، ومن هذه الفطرة الحرة فى الاختيار يأتى الاختلاف.. ولو اجتمع الناس كلهم على الكفر ليتعجلوا طيبات الدنيا، ويتنافسوها.. وهذا لايكون مادامت رحمة الله قائمة فى الدنيا يرحم بها المتقين، والذين تسابقوا فى الأعمال الصالحة، والخير، والذين تواصوا بالحق، والصبر.. وقد أنبأنا تعالى بأنه ستكون فتنة عندما يعطى الكافرين الزينة، والزخرف حتى يوم القيامة، وهم الآن يمتلكون السماء بالطائرات، والنفاثات، وأقمار التجسس، وراجمات الصواريخ، والقنابل التى يظهرون بها على الناس جميعا، ومنهم المؤمنين..

"-ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى الحياة الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون" الأحقاف 20..

الكتاب

يتلاحظ فى القرآن افراد كلمة الكتاب دائما دلالة على أن الكتاب واحد، ولم تتغير سوى الأسماء منذ آدم عليه السلام، وحتى محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك لم تتغير سوى الشرعة، والمنهاج من قوم لقوم:

"-وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" المائدة 48..

ونتابع سرد الآيات الواردة فى هذا الشأن:

"-واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون" البقرة 53..

ونفس الوصف للقرآن الكريم..

"-ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم" البقرة 89..

وهو القرآن الكريم.. ولما أيقن كفار أهل الكتاب، والمشركين أن هذا القرآن هو خبر السماء الذى كان يتزل من قبل، وامتدادا له.. نقموا عليهم، وحسدوهم على هذا الخير:

"-مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولاالمشركين أن يتزل عليكم من خير من ربكم" البقرة 105..

ولما أدرك الكفار، والمشركين أن القرآن مصدق للتوراة سخروا منهما، فقالوا عن القرآن أساطير الأولين، وعن التوراة افك قديم، وأعلنوا للذين آمنوا أن التوراة لو كانت خيرا لهم لسبقناهم نحن اليه ليبرروا عدم قدرتهم على اتباع هذا، ولاذاك :

"-وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم" الأحقاف 11..

وقد كشف الله مداهنتهم، وكذبهم:

"-أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها" الأنعام 157..

"-أفبهذا الحديث أنتم مدهنون(81) وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون(82)" الواقعة ..

ومن دعاء ابراهيم عليه السلام لهم - للعرب- وهم من ذريته:

"-ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة" البقرة 129..

ويقول تعالى أيضا:

"-كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون" البقرة 151..

ولما كان الكتاب واحد.. كان الناس أيضا أمة واحدة؛ ولكنهم اختلفوا، ومن هنا تتابع الكتاب فى النزول ليرد الناس الى جادة الصواب؛ ويوحدهم بعد الاختلاف؛ فهم أمة واحدة.. دينهم واحد- الاسلام- وكتابهم واحد.. من رب واحد..

"-كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه" البقرة 213..

وللأسف لم يختلف فيه الا الذين آمنوا به، وكلما نزل عليهم الكتاب ليزيل الاختلاف.. ازدادوا اختلافا ليبغى بعضهم على بعض:

"-وماختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم" البقرة 213..

"-وماختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم" آل عمران 19..

"-ومأأنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه" النحل 64..

ويقول تعالى أيضا:

"-ومأأنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به" البقرة 231..

"-نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل (3)من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان(4)" آل عمران..

وحتى أهل الكتاب يعرضون عن كتابهم جهلا، وريبة :

"-ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون" آل عمران 23 ..

وعن عيسى عليه السلام يقول الكتاب:

"-ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل" آل عمران 48..

"-واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل" المائدة 110..

ويقول تعالى:

"-واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة" آل عمران 81..

وعن كفار أهل الكتاب يقول تعالى:

"-هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله" آل عمران 119..

محبة الداعى الى الله، وأما التعبير بالكتاب كله لهو دليل على وحدة الكتاب المنزل من الله ..

كما تشتمل الآية التالية على عموم أهل الكتاب المؤمنون به:

"-ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون(113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين(114)" آل عمران..

"-وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ومأأنزل اليكم ومأأنزل اليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا" آل عمران 199..

وهم الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم، فعرفوه، وصدقوه.. فلم يفتهم الايمان به كما بشرهم موسى، وعيسى عليهما السلام به من قبل، وهم الذين وصفهم الله بالرسوخ فى العلم، والايمان:

"-لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك" النساء 162..

"-الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون(52)واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين(53) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون(54) واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين(55)" القصص..

ونلاحظ ضيقهم الفطرى من الجهل، والجاهلين.. والذين أسلموا يأمرهم:

"-وقولوا آمنا بما أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون(46) وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به(47)" العنكبوت..

ويقول تعالى:

"-فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة" النساء 54.

"-وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب" العنكبوت 27..

"-وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم" النساء 113..

"-ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل" النساء 136..

"-قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" المائدة 15..

"-قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل" المائد 68..

"-مافرطنا فى الكتاب من شيء" الأنعام 38..

وعن الأنبياء يقول تعالى:

"-أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة" الأنعام 89..

"-قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس" الأنعام 91..

"-وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه" الأنعام 92..

"-أفغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك الحق" الأنعام 114..

"-ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيء" الأنعام 154..

"-وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه" الأنعام 155..

"-ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة" الأعراف 52..

"-وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين" يونس 37..

"-فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" يونس 94..

"-ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة" هود 17..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه" هود 110، فصلت 45..

"-والذين أتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك" النحل 64..

"-ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة" النحل 89..

"-وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل" الاسراء 2..

"-ياىحيى خذ الكتاب بقوة" مريم 12..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون" المؤمنون 49..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب" الفرقان 35..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ماأهلكنا القرون الأولى" القصص 43..

"-جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير" فاطر 25..

"-والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه" فاطر 31..

"-ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" فاطر 32..

ولموسى وهارون عليهما السلام:

"-وآتيناهما الكتاب المستبين" الصافات 117..

"-ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب" غافر 53 ..

"-وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب" الشورى 14..

"-وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب" الشورى 15..

"-الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان" الشورى 17..

"-ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة" الجاثية 16..

"-ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا" الأحقاف 12..

"-لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" الحديد 25..

"-ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب" الحديد 26..

"-هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة" الجمعة 2.

القرآن

هذه الآيات تتحدث عن القرآن، ونزوله، ومن أنزله؟.. ولغته.. ولاتحتاج لشرح، أو تعليق.. حيث أنها بالغة الوضوح.. ظاهرة البيان ..

obeikandl.com

"-الم(1) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(2)" البقرة..

"-وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله" البقرة 23..

"-شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" البقرة 185..

"-الم(1) الله لا اله الا هو الحى القيوم(2) نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل(3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (4)" آل عمران..

"-هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات" آل عمران 7..

"-أفلا يتدبرون القران ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" النساء 82..

"-ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم" النساء 170..

"-ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا" النساء 174..

"-وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه" المائدة 48..

"-وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ" الأنعام 19..

"-وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها" الأنعام 92..

"-وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون(155) أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين (156) أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة(157)" الانعام..

"-المص(1) كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين(2) اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون(3)" الاعراف..

"-ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون" الأعراف 52..

"-واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون" الأعراف 204..

"-الر تلك آيات الكتاب الحكيم(1) أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين(2)" يونس..

"-وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين(37) أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله(38)" يونس..

"-ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين" يونس 57..

"-فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" يونس 94..

"-الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير(1) ألا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير(2)" هود..

"-أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين(13) فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون(14)" هود..

"-وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين" هود 120..

"-الر تلك آيات الكتاب المبين(1) انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون(2) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين(3)" يوسف..

"-لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" يوسف 111..

"المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون" الرعد 1..

"-ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا" الرعد 31..

"-وكذلك أنزلناه حكما عربيا" الرعد 37..

"-الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد" ابراهيم 1..

"-الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين" الحجر 1..

"-انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" الحجر 9..

"-ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم" الحجر 87..

"-فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" النحل 98..

"-واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون" النحل 101..

"-قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين(102) وقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين(103)" النحل..

"-ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا" الاسراء 9..

"-ونترل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا" الاسراء 82..

"-قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بهذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا(88) ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا(89)" الاسراء..

"-وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك ال مبشرا ونذيرا(105) وقرآنا فرقناه لتقرآه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا(106)" الاسراء..

"-الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا(1) قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا(2) ماكثين فيه أبدا(3) وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا(4)" الكهف..

"-ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا" الكهف 54..

"-طه(1) ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى(2) الا تذكرة لمن يخشى(3) تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى(4)" طه..

"-وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا" طه 113..

"-وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون" الأنبياء 50..

"-ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين" النور 34..

"-تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" الفرقان 1..

"-وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا(32) ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفصيلا(33)" الفرقان..

"-طسم(1) تلك آيات الكتاب المبين(2)" الشعراء..

"-وانه لتنزيل رب العالمين(192) نزل به الروح الأمين(193) على قلبك لتكون من المنذرين(194) بلسان عربى مبين(195) وانه لفى زبر الأولين (196) أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل(197) ولو نزلناه على بعض الأعجمين(198) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين(199)" الشعراء..

"-طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين(1) هدى وبشرى للمؤمنين(2)" النمل ..

"-ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين" النمل 76..

"-طسم(1) تلك آيات الكتاب المبين(2)" القصص ..

"-ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" القصص 85..

"-أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون" العنكبوت 51 ..

"-ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون" الروم 58..

"-الم(1) تلك آيات الكتاب الحكيم(2) هدى ورحمة للمحسنين(3)" لقمان ..

"-الم(1) تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين(2) أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون(3)" السجدة..

"-والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير(31) ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا(32)" فاطر ..

"-يس(1) والقرآن الحكيم(3) انك لمن المرسلين(3) على صراط مستقيم (4) تنزيل العزيز الحكيم(5) لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون(6)" يس..

"-وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين(69) لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين(70)" يس..

"-ص والقرآن ذى الذكر" ص 1..

"-كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب" ص 29..

"-تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم(1) انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين(2)" الزمر..

"-ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون(27) قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون(28)" الزمر..

"-حم(1) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم(2)" غافر..

"-حم(1) تنزيل من الرحمن الرحيم(2) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون(3) بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون(4)" فصلت..

"-ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز(41) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد(42)" فصلت..

"-ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد" فصلت 44..

"-حم(1) والكتاب المبين(2) انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون(3) وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم(4)" الزخرف..

"-حم(1) والكتاب المبين(2) انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين(3)" الدخان..

"-حم(1) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم(2)" الجاثية..

"-هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون" الجاثية 20..

"-حم(1) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم(2)" الأحقاف..

"-وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم(11) ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين(12)" الأحقاف..

"-واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين(29) قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم(30)" الأحقاف..

"-ق والقرآن المجيد" ق 1..

"-فذكر بالقرآن من يخاف وعيد" ق 45..

"-ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " القمر 17، 22، 32، 40..

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3) علمه البيان(4)" الرحمن ..

"-أفلا أقسم بمواقع النجوم(75) وانه لقسم لو تعلمون عظيم(76) انه لقرآن كريم(77) فى كتاب مكنون(78) لا يمسه الا المطهرون(79) تنزيل من رب العالمين(80)" الواقعة..

"-لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" الحشر 21..

"-فلا أقسم بما تبصرون(38) وما لا تبصرون(39) انه لقول رسول كريم (40) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون(41) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون(42)" الحاقة..

"-قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا(1) يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا(2)" الجن..

"-لا تحرك به لسانك لتعجل به(16) انا علينا جمعه وقرآنه(17) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه(18) ثم انا علينا بيانه(19)" القيامة..

"-انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا" الانسان 33..

"-فلا أقسم بالخنس(15) الجوار الكنس(16) والليل اذا عسعس(17) والصبح اذا تنفس(18) انه لقول رسول كريم(19) ذى قوة عند ذى العرش مكين(20) مطاع ثم أمين(21)" التكوير..

"-بل هو قرآن مجيد(21) فى لوح محفوظ(22)" البروج..

"-انا أنزلناه فى ليلة القدر" القدر 1..

وللقرآن أسماء أخرى مثل :

"-ص والقرآن ذى الذكر" ص 1..

"-قل هو نبأ عظيم" ص 67 ..

"-فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا" الكهف 6..

"-إنا نحن نزلنا الذكر" الحجر 9..

obeikandl.com

اختلاف أهل الكتاب

أهل الكتاب هم نقيض الأميين.. والأميون هم بنوا اسماعيل عليه السلام.. لم يترل عليهم كتاب الا عندما بعث نبى منهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان دعاؤه هو، وأبيه ابراهيم عليهما السلام عند الكعبة المشرفة - بيت الله الحرام بمكة – حيث يستجاب الدعاء:

"-واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم(127) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم(128) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت الحكيم العزيز(129)" البقرة..

وقد تمركز الأميون بمكة حتى بعث فيهم رسولهم صلى الله عيه وسلم، أما أهل الكتاب من يهود، ونصارى فكانوا خارج مكة فى يثرب، وغيرها..

وأهل الكتاب من يهود، ونصارى نزلت فيهم التوراة، والانجيل.. فنزلت التوراة على موسى عيه السلام نبى اليهود، ونزل الانجيل على عيسى عليه السلام نبى النصارى:

"-وأنزل التوراة والانجيل(3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان(4)" آل عمران..

والتوراة منوط بها الأحكام، والشرائع، والانجيل لايتضمن أحكاما، ولايستبطن حلالا، ولاحراما.. ولكنه رموز، وأمثال، ومواعظ، ومزاجر.. ومن هنا لم ينقاد اليهود للمسيح عليه السلام لأنهم اعتبروا أنفسهم أصحاب الشريعة؛ فادعوا عليه أنه كان مأمورا بمتابعة موسى عليه السلام، وموافقة التوراة فغير، وبدل؛ ومنها: تغيير السبت الى الأحد، وتغيير أكل احك الخنزير الذى كان محرما فى التوراة، والختان، والغسل، وغير ذلك.. قال المسيح عليه السلام فى الانجيل:

)ماجئت لأبطل التوراة.. بل جئت لأكملها.. قال صاحب التوراة: النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص، وأنا أقول: اذا لطمك أخوك على خدك الأيمن، فضع له خدك الأيسر)، وقد أدمج النصارى التوراة مع انجيلهم، وتعارفوا على تسميته <بالكتاب المقدس>، وأطلقوا عنوان <العهد القديم> على التوراة، و<العهد الجديد> على الانجيل، ومن هنا أسماهم القرآن <أهل الكتاب>، ومع ذلك فقد احتدم بينهم الخلاف حتى خاضوا فى بعضهم البعض:

"-وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" البقرة 113..

وقد ادعوا قتل المسيح عليه السلام لكل هذه الأسباب التى تقدمت؛ بيد أن الله تعالى كذبهم بنص القرآن:

"-وقولهم أنا قتلنا المسيح ابن مريم وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم" النساء 157 ..

ولم يتبع اليهود محمدا أيضا، وقد أمرهم أئمتهم، وأنبياؤهم، وكتابهم بذلك.. بل بنى أسلافهم الحصون، والقلاع بالقرب من المدينة لنصرة رسول آخر الزمان صلى الله عليه وسلم؛ فأمروهم بهجرة أوطانهم بالشام الى تلك القلاع، والبقاع؛ حتى اذا ظهر النبى المنتظر، وهاجر الى دار هجرته بالمدينة هجروه، وتركوا نصرته، وقد سجل لهم القرآن هذه الردة التى تشى بأهوائهم، وخلل عقولهم فى قوله تعالى :

" -وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علي الكافرين" البقرة 89..

"-ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين(145) الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريق منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون(146)" البقرة..

" -ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" البقرة 174..

" -يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" المائدة 15..

" -يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون" آل عمران 71..

" -وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون" آل عمران 78..

" -واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون" آل عمران 199..

" -وقالوا كونوا هودا أو نصاري تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين" البقرة 135..

" -قل يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(64) يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم زما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون(65) ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون(66) ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين(67) أن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين(68)" آل عمران

..ولذا كان الحنفاء خير أمة خرجت للناس:

" -كنتم خير أمة أخرجت للناس تآمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" آل عمران110..

ومن هنا يأتي تحذير الحنفاء منهم جميعا:

" -يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين" المائدة 51..

وذلك لأنهم لا يلتزمون كتابا، ولا منهجا.. حتي كتبهم:

" -قل يا أهل الكتاب لستم علي شئ حتي تقيمة التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس علي القوم الكافرين" المائدة 68..

يتركونها ويتبعون شياطينهم:

"-ألم تر إلي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا" النساء 51..

ولا يعلمون أنهم يصدون عن السبيل، ويبغونها عوجا:

"-قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون" آل عمران 99..

وبدلا من أن يكون لهم تأثير علي فيما حولهم، والذين عاشوا بينهم بالقدوة الصالحة.. تأثروا هم بوثنية هذه الأمم، وأخلاقهم الوضيعة.. فضلوا معهم:

"-قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل" المائدة 68..

"-وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضائهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون (30) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله والمسيح أبن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحدا لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون(31) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" التوبة..

وأخذوا الكهانة عن هذه الأمم ليستعبدوا العامة، والبسطاء، ويعيشون رغدا علي أقواتهم الهزيلة، وعرق جبينهم وشقاؤهم في الأرض:

"-يا أيها الذين أمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" التوبة 34..

والخلاصة.. أن الفرقة، والاختلاف لا تأتي إلا بعد البينات، والرسل دائما، وكأن هناك تصميم علي ذلك:

"-لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتي تأتيهم البينة(1) رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة (2) فيها كتب قيمة(3) وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة(4) وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة(5)" البينة..

اليهود:

هاد بمعني رجع، وتاب.. وقد لزمهم هذا الأسم لقول موسي عليه السلام:

" -أنا هدنا اليك" الأعراف 156..

وهو أول ما اختلفوا فيه من حيث تغيير الأسم من "المسلمين" إلي "اليهود"، وهو ما لم يخفيه أنبياؤهم، وآباؤهم الأوائل، ووصوهم به أيضا:

"-ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد أصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين(130) اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين(131) ووصي بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون(132) أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون(133)" البقرة..

وكتاب اليهود التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، وما سبقه علي الانبياء مثل إبراهيم عليه السلام مثلا كان "صحفا".. وقد اشتملت التوراة علي دلالات، وآيات ورد ذكرها في القرآن، ولكن شابه التحريف، والتبديل، والتغيير من حيث الكتابة، والصورة، أو من حيث التفسير، والتأويل.. حتي أن بعض مفسري القرآن

جاءوا ببعض تفاصيل القصص القرآنى من التوراة.. لاسيما بعد ترجمتها الى اللغة العربية فى القرن الثانى الهجرى، ودخول بعض الأحاديث الموضوعة عن طريق اليهود الذين دخلوا الاسلام لتتحدث بما قيل فى التوراة تفصيلا، وقد اختلف اليهود على احدى وسبعين فرقة أشهرها، وأظهرها: "العنانية"، و"العيسوية"، و"المقاربة"، و"اليوذعانية"، و"السامرة"، وسوف لانذكر شيئا عن أمور اختلاف هذه الفرق، اكتفاءا بما ورد عنهم فى القرآن اجمالا، وكان من أمور الاختلاف الآتى:

-1التباس الأمور بقصد، مع حجب الحقائق:

"-ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون" البقرة 42..

-2وعظ الناس، ونسيان أنفسهم من هذا الوعظ:

"-أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" البقرة 44..

-3عبادة العجل مثل قدماء المصريين الذين عاشوا بجوارهم:

"-واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون" البقرة 51 ..

-4المادية المفرطة التى أخذوها عن الأمم التى عاشوا معها، أو بجوارها:

"-واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون" البقرة 55..

-5استبدال الأمر استهزاء؛ فدخلوا الباب دون سجود، وقالوا حنطة بدلا من حطة:

"-واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم ستزيد المحسنين(161) فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون(162)" الأعراف ..

"-واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم وستزيد المحسنين(58) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى

قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون(59)" البقرة..

-6التراخى فى تنفيذ ماأمروا به، واستدراكهم على الله، وعلى نبيه، واعراضهم عن حكم الله:

"-واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين(67) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا قال انه يقول انها بقرة لافارض ولابكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون(68) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين(69) قالوا ادع لنا ربك ماهى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون(70) قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الأرض ولاتسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئتنا بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون(71) واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون(72) قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون(73)" البقرة ..

"-ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منه وهم معرضون" آل عمران 23..

-7نقد المواثيق، ومأمرهم به الله:

"-واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون(83) واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون(84) ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض(85)" البقرة ..

-8نقد العهود، ونبذ الكتاب، وكتمان مافيه، واتباع السحر، والشعوذة:

"-أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريقا منهم بل أكثرهم لا يؤمنون(100)ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب

الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون(101)واتبعوا ما تتلو الشياطين علي ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا(102)" البقرة..

"-ولما جاءهم كتاب عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون" البقرة 101 ..

"-إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" البقرة 159 ..

"-إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" البقرة 174..

"-وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم" الأنعام 91..

-9نقض المواثيق، والكفر، وقتل الأنبياء، واتهامهم السيدة العذراء ، وادعائهم قتل المسيح:

"-فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقلوبهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا(155)وبكفرهم وقولهم علي مريم بهتانا عظيما(156)وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسي بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا(157)بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما(158)" النساء..

-10الصد عن سبيل الله، واكلهم الربا:

"-فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا(161)وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما(162)" النساء..

-11ويحرفون كلام الله حسب أهوائهم، ومصالحهم:

"-فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به" المائدة 13 ..

"-فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون" البقرة 79..

-12الجبن، وكراهة الشهادة، ولقاء الله تعالي:

"-يا قوم أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علي ادباركم فتنقلبوا خاسرين(21)قالوا يا موسي أن فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتي يخرجوا منها فأن يخرجوا منها فأنا داخلون(22)" المائدة..

-13الأثم، والعدوان، والسحت:

"-وتري كثيرا منهم يسارعون في الأثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون" المائدة 62..

-14المعصية، والأعتداء علي حرمات الله، وولايتهم للذين كفروا حتي لعنهم أنبياؤهم:

"-لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان داود وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون(78)كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون(79)تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون(80)" المائدة..

-15التحايل علي أوامر الله تعالي:

"-وأسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون" الأعراف 163..

-16يأخذون عرض الدنيا، ويمنون أنفسهم بالمغفرة، وينسون الآخرة مع أنهم الصفوة من العلماء، ودارسي الكتاب:

"-فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق المتاب الا يقولوا علي

الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون" الاعراف 169..

-17الاختلاف علي الله، ومأمرهم به بعد ما آتاهم العلم ارتيابا، وبغيا:

"-ولقد بوأنا اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتي جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" يونس 93..

"-وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضيبينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" الجاثية 17..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب" هود 110..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب" فصلت 45..

"-ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الإ أمانى وإن هم إلا يخرصون" البقرة 78 ..

"-ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد" البقرة 176 ..

"-كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم" البقرة 213 ..

ومن كل ما تقدم أراد الله أن يطهرهم من الخزي، والعار الذي لحقهم من استعباد فرعون، وقومه لهم، بعد ان أذل الله فرعون، وجنوده أمامهم، ودالت دولته بعد غرقه، وذلك بأن يعودوا لدينهم بعبادة الله الواحد، والتحلي بالأخلاق الكريمة ليكونوا قدوة للعالمين بما فضلهم من الكتاب ، والحكمة، والقدوة من الأنبياء.. ولكنهم ركنوا إلي الماديات، وأعراض الدنيا الزائلة، ومنوا أنفسهم بالاماني الكاذبة التي زينها لهم الشيطان، وعادوا إلي طبائعهم الرديئة حتي لعنهم أنبياؤهم، ومجتهم الشعوب، والأمم التي فرقهم الله بينهم..

النصاري:

هم أمة المسيح عيسي ابن مريم عليه السلام.. رسول الله، وكلمته، المبعوث من بعد موسي عليه السلام.. وهو ينسب إلي بلدة الناصرة(أحدي قري الجليل من فلسطين) ومن هنا جاء اسم النصاري.. وهو أول ما اختلفوا فيه أيضا تبديل الاسم من المسلمين إلي النصاري حيث قال عيسي عليه السلام للذين آمنوا له من بني اسرائيل، وهم حواريوه المسلمون:

"-من أنصاري إلي الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون"آل عمران 52..

أيد الله عيسي الرسول عليه السلام بروح القدس (جبريل عليه السلام)، في الآيات الظاهرة مثا احياء الموتي، وابراء الأكمه والأبرص باذن الله، وهي أمراض اصيب بها الناس في زمن بعثته تباري فيها النطاسيون(الأطباء)، ووجوده، وفطرته آية كاملة على صدقه من حدوثه بغير نطفة كسائر الناس، وعلمه بغير سالف تعليم(آتاه الله الكتاب فى المهد)، فجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة، أما وحيه من الله تعالى فكان انطلاقا من المهد، ثم أوحى اليه ابلاغا فى الثلاثين، ومدة دعوته ثلاث سنين.. ثم رفعه الله اليه.. ومن هنا جاء الخلاف فيه، ونسوا أن كل هذا من عند الله ، وليس من نفسه، وقد اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة:

"-ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا منهم ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون" المائدة 14..

ومن اليهود، وادعاءاتهم اختلف النصارى، وضلوا:

"-وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا" النساء 157..

وقد دمغ القرآن ادعاءات اليهود، وتردد النصارى فى ضلالهم، وهو تعالى أعلم بما يقول:

"-بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما" النساء 158 ..

ومن أكبر هذه الفرق: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية التى انشعبت منها: الاليانية، والبلياريسية، والمقدانوسية، والسابلية، والبوطينوسية، والبولية.. الخ، ونستعرض منها ماجاء به القرآن؛ وهو أصدق الحديث، وأوثق:

-1 الغلو فى الدين.. وهى المكانية التى ظهرت فى أرض الروم بعد أن كانت دولتهم وثنية لاتخرج عن عبادة الأصنام من الحجارة، وغيرها.. فلم يبتعدوا كثيرا:

"-ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقلوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم" النساء 171..

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ومامن اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم" المائدة 73..

-2 وكفر اليعقوبية بما قالوا بتجسيد الاله في المسيح:

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم" المائدة 17..

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار" المائدة 72..

وقد جعل الله القرآن نذير لهم:

"-وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا(4)ما لهم من علم ولا لأبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا(5)" الكهف..

"-وقالوا اتخذ الرحمن ولدا(88)لقد جئتم شيئا ادا(89) تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا(90) ان دعوا للرحمن ولدا(91) وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا(92)ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا(93)"مريم..

"-والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلي الله زلفي ان الله يحكم بينهم في ماهم فيه فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار(3) لو

أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفي مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار(4)" الزمر..

هذا وقد خلد القرآن العظيم ذكر المسلمين ممن عرفوا فى التاريخ باسم "نصاري نجران" باليمن قبل البعثة المحمدية في سورة "البروج" عندما فتنهم ذو نواس الحاكم اليهودي عن دينهم الحق لأجبارهم علي الأرتداد إلي اليهودية التي تدثرت بالوثنية:

"-والسماء ذات البروج(1) واليوم الموعود(2) وشاهد ومشهود(3) قتل أصحاب الأخدود(4) النار ذات الوقود(5) اذ هم عليها قعود(6) وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود(7) ومانقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد(8) الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد(9) ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق(10)" البروج ..

كما خلد قبلهم هؤلاء الفتية الذين آمنوا بدين عيسي عليه السلام، واتبعوا الاسلام الحق مما أثار عليهم دولة الروم الوثنية التي كانت تبسط سلطانها علي أرض الرسالات المباركة في ذلك الوقت (الأردن، وفلسطين، ومصر) ففروا بدينهم إلي "الكهف"، وهو اسم السورة التي ذكرهم القرآن فيها، ومن نصوص القرآن ندرك وثنية دولة الروم التي دخلت في الاسلام بعد خروجهم المؤقت من الكهف بعد ثلاثمائة عام حيث كانت الدولة حينها في بداية عهدها بالدين الحق قبل أن يبدلوا، ويحرفوا، وتدخل وثنيتهم القديمة علي الدين، ثم يتبعهم الغاوون من الأقوام التي احتلوا بلادهم.. فقد كانت قضية الفتية النابهين هي:

"-إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا" الكهف14..

ثار الفتية علي وثنية الدولة التي انتشر سلطانها في كل مكان بقوة السلاح، وغلبة الجند.. أما قوي الدولة الروحية فكانت في الحضيض حيث يجثوا الامبراطور بكل عظمته، وجبروته لتمثال لا قيمة له، ولا يستطيع الدفع عن نفسه.. بينما

هؤلاء الفتية البسطاء يدركون هذا الانحطاط، وهذه الوثنية الفجة لهذه الدولة، وأتباعها المحتلون:

"-هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا" الكهف 15 ..

فقومهم من سفاهتهم يكذبون على الله الذى لاينكرونه كدأب الكافرين، والمشركين، ويدعون أن الله تعالى قد فوض هذه التماثيل، وماتمثله لينوبوا عنه فى الأرض..

وبعد ثلاثمائة عام تبدل القوم غير القوم، وجاد الله بقوم يحبهم، ويحبونه وهو مايشى ببداية الدولة اسلاميا فى القرآن حيث يجتمع القوم عليهم من المسلمين الجدد ليشاهدوا المعجزة، وفيهم علية القوم من أهل الأمر، والنهى:

"-وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا" الكهف 21 ..

ماهو الاختلاف؟..

ونلحظ مما تقدم من اختلاف أهل الكتاب أنه اختلاف عقائد يتبعه رد التشريع، أو التهاون فيه.. حيث أن العقيدة هى الأساس.. فهى الاسلام ذاته، ومن هنا كان تتابع الأنبياء(موسى - عيسى - محمد عليهم السلام)، والكتب(التوراة - اللانجيل - القرآن ..(

والاختلاف لغة من مشتقات مادة خلف، ومنها خالف، واختلف، وخلاف.. الخ.. وهو الخروج عن الأمر، أو خالف الأمر.. وفى القرآن تحذير من هذا الاختلاف:

"-فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم" النور 63 ..

"-ومأريد أن أخالفكم الى ماأنهاكم عنه" هود 88..

ومن القرآن نجد أن خطورة الاختلاف تكمن فى كونه يؤدى الى الايمان، وهو طريق السلامة، أو الكفر - والعياذ بالله – وهو طريق الندامة:

"-ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعدهم من بعد ماجاتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر" البقرة 253..

وتبين الآية أن الاختلاف يؤدى الى التقاتل "من بعدهم"؛ أى من بعد الأنبياء.. وقد يبدو السؤال: اذا كان بعض الاختلاف يؤدى الى الايمان.. فما الخطورة اذا؟!.. والاجابة: اذا كان الاختلاف سيؤدى الى الايمان؛ فهو فضل من الله، يمن به فقط على المؤمنين؛ بشرط أن يكون حقا، وليس باطلا:

"-فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم" البقرة 213..

ولابن كثير ملحوظة فى شأن هذا الاختلاف فى الأمم بخصوص الصيام مثلا حيث يقول تعالى مخاطبا المؤمنين فقط من الأمة المحمدية:

"-يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" البقرة 183..

فقد أوجبه عليهم كما أوجبه على من كان قبلهم من الأمم.. فلهم فيهم أسوة حسنة لنيل التقوى، وليجتهدوا فى أداء هذا الفرض أكمل مما فعله الأولون، وهو هنا الاختلاف المحمود للأعلى، وليس للأسفل حيث الخروج من ملة الاسلام، وهو مايفسر قوله تعالى فى سبب خلق الناس مختلفين للتنافس للأعلى:

"-ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم" هود 119..

"-لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات" المائدة 48..

وقد أورد ابن كثير – رحمه الله – أقوالا قيمة فى شأن الهداية من الله عند الاختلاف تفسيرا لقوله تعالى :

"- فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم" البقرة 213..

فقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه:

-1اختلفوا فى يوم الجمعة.. فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد؛ فهدى الله الأمة المحمدية ليوم الجمعة..

-2واختلفوا فى القبلة.. فاستقبلت اليهود، والنصارى بيت المقدس؛ فهدى الله الأمة المحمدية للكعبة..

-3واختلفوا فى الصلاة فمنهم من يركع، ولايسجد، ومنهم من يسجد، ولايركع، ومنهم من يصلى وهو يتكلم، ومنهم من يصلى وهو يمشى؛ فهدى الله الأمة المحمدية للحق من ذلك..

-4واختلفوا فى الصيام فمنهم من يصوم بعض النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام؛ فهدى الله الأمة المحمدية للحق من ذلك..

-5واختلفوا فى ابراهيم عليه السلام؛ فقالت اليهود: كان يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، وجعله الله حنيفا مسلما، فهدى الله الأمة المحمدية للحق من ذلك..

-6واختلفوا فى عيسى عليه السلام؛ فكذبت به اليهود، وقالوا لأمه بهتانا عظيما، وجعلته النصارى الها، وولدا، وجعله الله روحه، وكلمته؛ فهدى الله الأمة المحمدية للحق فى ذلك..

وأورد للربيع بن أنس قوله فى تفسير الآية المذكورة، أنهم – المؤمنون - عند الاختلاف كانوا على ماجاءت به الرسل قبل الاختلاف؛ فأقاموا على الاخلاص لله عز وجل وحده، وعبادته لاشريك له، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة.. فأقاموا على الأمر الأول الذى كان قبل الاختلاف، واعتزلوا الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة.. شهداء على قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وعلى آل فرعون أن رسلهم قد بلغوهم، وأنهم كذبوا ..

وتتنزل الكتب من السماء تباعا عندما يختلف الناس، أى يخالفون عن أمر الله، ومن هنا يأتى الخلاف فيما بينهم بعد أن كانوا أمة واحدة(ضمن أمة التوحيد، والاسلام) والتى يقى الله المؤمنين - فقط كما قلنا - من براثن هذا الخلاف..

وضرب الله تعالى مثلا بموسى عليه السلام:

"-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه" فصلت 45..

وكذلك عيسى عليه السلام:

"-ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون" الزخرف 63..

وماكان محمد، والقرآن الا ختاما لهذا:

"-ومأأنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه" النحل 64..

والاختلاف قديم فى الخلق، ومرجعه انكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، والجنوح الى الهوى فى مقابلة النص، وقد تمادى الثقلان(الانس، والجن) لما لهم من ميزة الاختيار فى الدنيا:

"-فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" الكهف 29..

"-هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن" التغابن 2..

وهناك آيات عدة تقطع بالاختيار فى التكليف، وقد بدأ ابليس بذلك - وهو من الجن – فاختلف على خالقه عندما أمره بالسجود، وهو فى عداد الملائكة المقربين حين ذاك، وقصته معروفة.. وكان هو سيد الجن وقتها، ومن هنا فان كل شبهة وقعت لبنى آدم بعد ذلك انما هى من اضلاله، ووساوسه، ونشأت من شبهاته:

"-أأسجد لما خلقت طينا" الاسراء 60..

"-أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين" الأعراف 12، ص 76..

"-لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون" الحجر 32..

واختلف آدم، وحواء عليهما السلام على خالقهما.. فأكلا من الشجرة المنهى عنها رغم كثرة شجر الجنة، وثمارها، وقصتهما معروفة:

"-وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(35) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين(36)" البقرة ..

ثم ابن آدم قابيل الذى اختلف على خالقه، ومن ثم أبيه، وأخيه، ورفض مأأمر به من زواجه من أخت أخيه – كما تخبر الروايات – وأصر ان يتزوج أخته هو، ثم تمادى، وقتل أخيه هابيل:

"-فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين" المائدة 30..

obeikandl.com

هذا بيان للناس

ليس القرآن كتابا مغلقا على نفسه، أو على طائفة من الناس دون أخرى، فليست دعواه من العنصرية فى شئ.. فلم يغفل النداء الى الناس كافة دون تمييز من دين، أو جنس، أو وطن.. فهو دعوة ممتدة عبر الزمان، والمكان لم يخص طائفة من الناس بالذكر دون أخرى.. ولم يفضل احداها على الاخرى الا اذا وزنت بميزان التقوى:

"-يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون" البقرة 21..

"-يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير" الحجرات 13..

ولم يترك القرآن التقوى دون تعريف، ولم ينثر هذا التعريف هنا، وهناك بين الآيات لتدركه جماعة دون أخرى، ولكنها كانت فاتحة القرآن بعد الفاتحة، وهى آيات استهل بها القرآن ليعرفنا بنفسه، قبل أن يعرفنا التقوى:

"-الم(1) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(2)" البقرة..

ومن هم ؟

"-الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3) والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون(4)" البقرة..

وبم فضلهم ؟

"-أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون" البقرة 5..

ثم تتوالى الآيات:

"-يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليما حكيما" النساء 170..

"-يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا" النساء 174..

"-قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون" الأعراف 158..

"-يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين" يونس 57..

"-قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل" يونس 108..

"-قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين" الحج 49..

تحذرهم من الشرك بالله:

"-قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين" يونس 104..

"-يا أيها الناس ضرب الله مثلا فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب" الحج 73..

تحذرهم من عداوة الشيطان ، واستدراجه لهم ، وتأمرهم بالاستمتاع الحلال من أكل، وغيره فى الأرض :

"-يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين" البقرة 168..

"-يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون" فاطر 3..

"-يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد" فاطر 15..

"-ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتى بآخرين وكان الله على ذلك قديرا" النساء 133..

"-يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون" يونس 23..

"-اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون" الأنبياء 1..

"-يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم" الحج 1..

"-يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده شيئا ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" لقمان 33..

"-يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" فاطر 5..

حتى انه يدلل على هذه القاعدة عمليا بمثل يحدث فى الأرض فى كل ثانية :

"-يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى من قبل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج" الحج 5..

وهناك قاعدة أخرى تعبر عن الحراك الاجتماعى، وقد ينتج عنها مظالم دواءها الصبر:

"-ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" البقرة 251..

"-ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا" الحج 40..

والدفع هنا للظالمين من الناس الذين لا يقيمون وزنا لدين، ولا لأتباع الدين فيدفع بعضهم ببعض ليتلهون عن أتباع الدين فى الصوامع، والبيع، والصلوات، والمساجد..

تقسيم الناس بالنسبة للعقيدة

يخاطب القرآن المؤمنين بالذين آمنوا سلفا، بمعنى أنهم كانوا مؤمنين فعلا فى علم الله تعالى.. فيقول:

"-الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور" البقرة 257..

"-لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا" آل عمران 164 ..

"-فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون" الأعراف 52..

"-والذين هم بآياتنا يؤمنون" الأعراف 156 ..

"-ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون" الأعراف 188..

"-وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" يوسف 111..

"-وانى غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى" طه 82..

"-ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون" النمل 16 ، والروم 37 ، والزمر 52..

"-نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون" القصص 3..

"-ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته" الحديد 28..

"-فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا(10) رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور(11)" الطلاق..

ولكن البداية كبداية الانسان كان ميتا، أو غيبا فأحياه:

"-أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون" الأنعام 122..

وليست هذا الأمر بالسهل:

"-ومأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" يوسف 103..

ولايخلو من شوائب تعلق به:

"-ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106..

فيوصى تعالى بالايمان الكامل:

"-يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا" النساء 136..

-1 المؤمنون

وهم كما جاء وصفهم فى سورة المؤمنون:

"-قد أفلح المؤمنون(1) الذين هم فى صلاتهم خاشعون(2) والذين هم عن اللغو معرضون(3) والذين هم للزكاة فاعلون(4) والذين هم لفروجهم حافظون(5 .."(

"-والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون(8) والذين هم على صلاتهم يحافظون(9.."(

وفى سورة الأنفال:

"-وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين(1) انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون(2) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3)" وفى سورة التوبة:

"-والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله" 71..

وفى سورة الحجرات:

"-انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون(15.."(

"-يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" التوبة 119..

ويتوكل بهم:

"-الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور" البقرة 257..

"-والله ولى المؤمنين" آل عمران 68..

obeikandl.com

"-وأن الله لايضيع أجر المؤمنين" آل عمران 171..

"-ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" النساء 141..

"-انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى" الكهف 13..

"-ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا" مريم 96..

"-ان الله يدافع عن الذين آمنوا" الحج 38..

"-وان الله لهادى الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى صراط مستقيم" الحج54..

"-والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين" العنكبوت 9..

"-انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا" غافر 51 ..

لماذا؟..!

"-ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم" آل عمران 101 ..

ولاينقطع بينهم وبينه تعالى الود، والاتصال:

"-فلايكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين" الأعراف 2 ..

"-وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين" يونس 57..

"-وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين" هود 120..

"-ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين" الاسراء 9..

"-ونزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين" الاسراء 82..

"-قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين" النحل 102..

"-ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء" فصلت 44..

ومن صفاتهم أيضا:

obeikandl.com

"-فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين" آل عمران 175..

"-الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله" النساء 76 ..

"-وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين" المائدة 23..

"-واتقوا الله ان كنتم مؤمنين" المائدة 57..

"-وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين" الأنفال 1 ..

"-فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين" التوبة 13..

"-الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله" الرعد 28..

"-يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة" ابراهيم 27..

"-والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق" الشورى 18..

مشفقون من الساعة ..

"-ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين" آل عمران 139..

"-والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين" التوبة 62..

"-والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين" التوبة 112..

"-انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا" النور 51 ..

تقسيم المؤمنين

وهم كما وردوا فى التنصنيف القرآنى:

-1المتقون..

-2الصديقون..

-3الشهداء..

-4المخبتون..

-5الذين يعملون الصالحات..

-6من الذين هادوا ..

-7من النصارى..

-8من الصابئين..

-9من المسلمين..

-1المتقون:

"- ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين(2) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3) والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(4)" البقرة..

"-ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون" البقرة 177..

"-وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين(133) الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين(134) والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون(135)" آل عمران..

وأئمة المتقين هم عباد الرحمن:

"-وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما(63) والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما(64) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما(65) انها ساءت مستقرا ومقاما(66) والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما(67) والذين لايدعون مع الله الها

آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما(68)" الفرقان..

"-والذين لايشهدون الزور واذا مروا بالغو مروا كراما(72) والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا(73) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما(74)" الفرقان..

وحتى فى الآخرة:

"-الأخلاء يؤمئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين(67) ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون(68) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين(69)" الزخرف..

2، -3الصديقون والشهداء :

"-والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم" الحديد 19..

-4المخبتون:

"-ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون" هود 23..

والمخبتون يعرفهم القرآن الكريم:

"-وبشر المخبتين(34)الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(35)" الحج..

-5الذين يعملون الصالحات:

"-وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى" الكهف 88..

"-ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا" الكهف 107..

"-ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا" مريم 96..

والآيات أكثر من أن تحصى من حيث اقتران الايمان بالعمل الصالح معطوفا بحرف العطف.. الواو.. وتتسامى هذه الطبقة الى أعلى منها؛ وهم المفلحون:

"-فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين" القصص 67..

"-انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون" النور 51..

-6من الذين هادوا :

"-لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما" النساء 162..

"-وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون" السجدة 24..

-7من النصارى :

"-ولتجدن أقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون(82) واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين(83)" المائدة..

"-ياأيها الذين آمنوا اتقوا وآمنوا برسوله" الحديد 28..

-8من الصابئين:

وقد أجملهم القرآن مع الذين آمنوا من الذين هادوا، والنصارى، كما نلاحظ تقدمهم عن النصارى فى آية المائدة:

"-ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون" البقرة 62..

"-ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون" المائدة 69..

-9من المسلمين:

"-ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقابه ولاتموتن الا وأنتم مسلمون" آل عمران 82..

"-ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون(68) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين(69)" الزخرف..

2- الكفر والكافرون

الكفر لغة هو حجب الشيء، وستره.. فيمتنع دخول الايمان الى القلب؛ والمفترض أن الناس كلهم مؤمنون بالفطرة التى فطر الله الناس عليها الا من أبى وكفر:

"-فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون" الروم 30..

ويضرب مثلا بموقف ابليس على مرأى من آدم عليه السلام، والملائكة:

"-واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين" البقرة 34..

"-فسجد الملائكة كلهم أجمعون(73) الا ابليس استكبر وكان من الكافرين(74)" ص ..

روى الامام مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال عن رب العزة:

>انى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ماأحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا..<

واجتالتهم الشياطين عن دينهم: جعلتهم ينظرون فى دينهم.. فيحلون، ويحرمون بأهوائهم، وعقولهم.. حتى دخلوا فى الشرك ..

وقد اقترن الكفر فى القرآن بالشرك، والضلال، والظلم، والكبر، والفسق، والنفاق، والاستكبار عن آيات الله، والافتراء على الله بالكذب عليه؛ وعلى العباد بعبادتهم من دون الله، والغباء، ومصادرة العقل؛ والتفكير، وانكار البعث؛ واليوم الآخر، والتفريق بين الله ورسله، والتفريق بين الرسل.. فيؤمنون ببعض ويكفرون

obeikandl.com

بالبعض الآخر، والصد عن سبيل الله برفض الهداية للعباد، ومحاولة القضاء على الأنبياء، والرسل، ومن سار على نهجهم فى الدعوة الى الله الأحد :

"-ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون(6) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة(7)" البقرة ..

"-ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الأولين(25) وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم ومايشعرون(26)" الأنعام..

"-الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لايستطيعون سمعا(101) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا(102)" الكهف ..

"-ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون" الأنفال 55..

ومن الاباء، والاستكبار جاء الختم، والأكنة، والوقر، والغطاء وذلك بسبب الغباء، ومصادرة العقل:

"-ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون" البقرة 171..

ولأنهم لايؤمنون باليوم الآخر.. فقد رضوا بالحياة الدنيا، واعتبروها دارهم، ويسخرون بمن يؤمن بالآخرة :

"-زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا" البقرة 212..

"-وويل للكافرين من عذاب شديد(2) الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد(3)" ابراهيم..

"-والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات" البقرة 257 ..

"-والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت" النساء 76..

"-سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا" آل عمران 151..

وهم لايكفرون بالله فقط:

"-ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا" النساء 136 ..

"-ولئن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين(7) ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون(8) ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور(9)" هود..

ويفرقون بين الله ورسله:

"-ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا(150) أولئك هم الكافرون حقا(151)" النساء ..

ويكذبون الرسل:

"-ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب(9) قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين(10)" ابراهيم ..

"-ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب" الرعد 43..

"-أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق(21) ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا(22)" غافر ..

"-ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم" محمد 9..

ويفترون على الله الكذب :

"-ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون" المائدة 103 ..

"-انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين" التوبة 37..

ويشركون بالله:

"-الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" الأنعام 1 ..

"-ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون" المؤمنون 117..

"-ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولايضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا" الفرقان 55 ..

"-أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور(20) أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجو فى عتو ونفور (21)" الملك..

"-قل ياأيها الكافرون(1) لاأعبد ماتعبدون(2) ولاأنتم عابدون ماأعبد(3) ولاأنا عابد ماعبدتم(4) ولاأنتم عابدون ماأعبد(5) لكم دينكم ولى دين(6)" الكافرون..

وكذبوا بآياته، واستكبروا عنها:

"-والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" الأعراف 36..

obeikandl.com

"-ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين" الأعراف 40 ..

"-وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين" الجاثية 31 ..

"-واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين" الأحقاف 7..

ولهذا السبب كانت الارادة الالهية:

"-سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين(146) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ماكانوا يعملون(147)" الأعراف..

ولأنهم كفروا بالآخرة، والحساب فهم يصدون عن الايمان، وتسرهم المعصية من البشر :

"-الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون" الأعراف 45 ..

"-الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون(19) أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وماكان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون(20) أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون(21)" هود..

"-الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم" محمد 1..

"-ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل" محمد 3 ..

"-ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم" محمد 32 ..

"-ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم" محمد 34 ..

وهم لايدخرون جهدا، ولامالا مهما عظم فى سبيل ذلك:

"-ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون" الأنفال 36 ..

"-وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" فصلت 26..

وهم يآئسون من روح الله:

"-ولاتيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون" يوسف 87..

وتأتيهم النذر وهم ساهون:

"-ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لايخلف الميعاد" الرعد 31 ..

"-والذين كفروا عما أنذروا معرضون" الأحقاف 3..

وفرحوا بمكرهم:

"-بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد" الرعد 33..

وأعمالهم هباء:

"-مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد" ابراهيم 18 ..

"-والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب(39) أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نور فماله من نور(40)" النور..

وربما مر بخلدهم الايمان، وربما أجلوا :

"-ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين(2) ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون(3)" الحجر..

ويؤكدون فناء الحياة دون رجعة بأغلظ الأيمان:

"-وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون(38) ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين(39)" النحل..

"-ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أانا لمبعوثون خلقا جديدا" الاسراء 98 ..

"-بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل منها عمون(66) وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون(67) لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين(68)" النمل ..

"-بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب(2) أاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد(3)" ق ..

"-ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد(6) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير(7)" التغابن..

وقد تنشرح قلوبهم بالكفر:

"-ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم(106) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين(107) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون(108)" النحل..

ويضرب مثلا بقرية كفرت بأنعم الله:

"-وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" النحل ..112

ويجادلون بالباطل:

"-ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وماأنذروا هزوا(56) ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا(57)" الكهف..

"-وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون(12) وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون(13)" العنكبوت ..

ويلفت نظرهم نحو آياته فى الخلق:

"-وأولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون(30) وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون(31) وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون(32)" الأنبياء..

"-واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا" الحج 72..

"-مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد" غافر 4 ..

والمترفون فى العادة هم أعلام الكفر.. لأنهم أصحاب المصالح العليا فى السلطة الزمنية :

"-ومأأرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون(34) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ومانحن بمعذبين(35)" سبأ..

"-وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب(4) أجعل الآلهة الا واحدا ان هذا لشيء عجاب(5) وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد(6) ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق(7) أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى(8)" ص ..

"-ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون" الأحقاف 20 ..

"-والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام" محمد 12..

وآخر المنذرين محمد صلى الله عليه وسلم لايتحدث الا بالقرآن:

"-وماعلمناه الشعر وماينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين(69) لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين(70)" يس..

وهم فى عزة الاختلاف لأنهم مستكبرون:

"-بل الذين كفروا فى عزة وشقاق" ص 2..

وسيكون ندمهم بعد فوات الآوان:

"-ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا" الأحقاف 34 ..

الكافرون من الذين هادوا :

"-وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون بعد ذلك وماأولئك بالمؤمنين" المائدة 43..

الكافرون من النصارى :

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم" المائدة 72..

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة" المائدة 73..

3- الشرك والمشركون

الشرك العام:

"-ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106..

توعدهم الله بالويل لأمرين.. لايؤدون زكاة أموالهم، وينكرون الآخرة حتى لو كانوا مؤمنين:

obeikandi.com

"-وويل للمشركين(6) الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون(7)" فصلت..

وقد يتوهم المسلمون أنهم خارج دائرة الشرك جهلا، وغرورا.. حتى على مستوى العلماء منهم، كما وقع فيه أهل الكتاب ممن كانوا قبلهم، وقد يقع منهم عن طريق الخطأ، والاستهتار، أو عن طريقهما معا، وقد عالجه القرآن بالتنويه، والتنبيه، والوعيد:

"-ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما" النساء 48..

"-قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولايطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولاتكونن من المشركين" الأنعام 14..

وسوف يسأل كل من أشرك بالله عن هؤلاء الشركاء.. كما سيشهد عليهم الشركاء:

"-ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون" الأنعام 22 ..

"-ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل(17) قالوا سبحانك ماكان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا(18)" الفرقان..

"-ويوم يناديهم فيقول أين شركاءى الذين كنتم تزعمون(62) قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون(63) وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون(64)" القصص ..

"-ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين(13) ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون(14)" الروم..

"-ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك مامنا من شهيد(47) وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص(48)" فصلت..

"-قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولافى الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير" سبأ 22..

"-والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير(13) ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير(14)" فاطر..

والشرك أصله الشيطان:

"-وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون" الأنعام 121..

"-فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون(190) أيشركون مالايخلق شيئا وهم يخلقون(191)" الأعراف..

"-حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح من مكان سحيق" الحج 31..

وهم يؤمنون بالله فقط وقت الأزمات:

"-فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون" العنكبوت 65..

"-واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون" الروم 33..

حتى أهل الكتاب وقعوا فى الشرك من قبل :

"-وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفوههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون(30) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ومأأمروا الا ليعبدوا الها واحدا لااله الا هو سبحانه عما يشركون(31)" التوبة..

الشرك الخاص:

وهو شرك الاصرار الذى دأب عليه الكافرون، وقد عالجه القرآن بالعقل، والمنطق لعلهم يعقلون.. وهو يدخل ضمن غباء الكفر :

"-مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولاالمشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء" البقرة 105..

ويبرىء رسوله من شركهم:

"-أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لاأشهد قل انما هو اله واحد وانني برىء مما تشركون" الأنعام 19..

ويعدد لهم بعض الشركاء:

"-وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون(100) بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم(101)" الأنعام..

"-وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلايصل الى الله وماكان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون(136) وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون(137)" الأنعام..

وينحون عليه تعالى بما هم فيه، وكأنهم لاارادة مستقلة لهم:

"-سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى اذا ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون" الأنعام 148..

"-وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولاآباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم" النحل 35..

ويبغضون المؤمنين دائما :

"-كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم الا ولاذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون(8) اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ماكانوا يعملون(9)" التوبة..

وفسق المشركين هو خيانة العهد، ونسيانه لقوله تعالى فى الآية السابعة من نفس السورة:

"-كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين.."

ويفعلون ماوجدوا عليه آباءهم دون تعقل:

"-ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون" التوبة 17 ..

ويبررون مايفعلون عندما تعمل عقولهم :

"-ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبأون الله بما لايعلم فى السموات ولافى الأرض سبحانه وتعلى عما يشركون" يونس 18..

"-واذا رءا الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون" النحل 86..

وسيدهم الشيطان:

"-انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون" النحل 100..

وفى الآخرة:

"-ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا" الكهف 52 ..

"-ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون(73) من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين(74)" غافر..

"-فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين" غافر 84..

وكل من هلكوا من قبل كانوا غالبا مشركين:

"-قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين" الروم 42..

ولايذكر الله وحده الا فى الضر:

"-واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ماكان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار" الزمر 8..

ثم دعوة الى العقل:

"-قل أرءايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آينياهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا" فاطر 40 ..

"-قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو آثارة من علم ان كنتم صادقين(4) ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون(5) واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرون(6)" الأحقاف..

-4الفسوق والفاسقون

وهو الخروج من الايمان، والطاعة، ونفض المنهج:

"-واشهدوا اذا تبايعتم ولايضار كاتب ولاشهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم" البقرة 282..

"-حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وماأكل السبع الا ماذكيتم وماذبح على النصب وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق" المائدة 3..

"-والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون" الأنعام 49..

"-ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق" الأنعام 121..

"-قل لاأجد في ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به" الأنعام 145 ..

"-تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين(101) وماوجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين(102)" الأعراف..

والأمر فى هؤلاء جد خطير فهم كذبوا الرسل كما كذب الذين من قبلهم.. بمعنى توفر الاصرار على الكفر، وأنهم علموا بالرسالات السابقة، وكذلك علموا بالرسل السابقين بدليل معرفتهم دائما بالاله الحق.. ومن هنا لم يظلمهم الله حين طبع على قلوبهم فلا يؤمنون قط لأنهم أحبوا الكفر، والأدهى من ذلك أن منهم من اقتنع وآمن مع الرسل، ولكنهم لم يحافظوا على عهد الايمان، فاعتقدوا ولكنهم فسقوا عن المنهج الالهى، واتبعوا أهواءهم، وهو مايعد انذار لنا أيضا، وكشأن القرآن دائما فى ضرب الأمثلة بمن سبق:

"-وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون" الأعراف 163..

"-فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهمون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون" الأعراف 165 ..

"-الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون" الأعراف 51 ..

"-قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين" التوبة 24..

"-واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" الاسراء 16..

"-واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه" الكهف 50..

"-ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين" الأنبياء 74..

والآية من أمثلة القرآن فى الفسق، وهو بالنسبة لهؤلاء ليس فسق ايمان.. ولكنه فسق عن طبيعة البشر فى اشتهاء النساء؛ وليس الرجال كما حدث القرآن على لسانه:

"-ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين(80) انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء(81)" الأعراف..

"-ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين(28) أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل(29)" العنكبوت..

وقطع السبيل هو انقراض الأمة تماما باستئصال العنصر النسائى، وخروجه من النظام البشرى فى التناسل، والتكاثر.. فما بال هؤلاء القوم تجنبوا النساء، وأهدروا طاقاتهم الجنسية فى الرجال، ومن ناحية أخرى كيف يعتمد على رجل يؤتى جنسيا كالنساء فى بناء أمة، والدفاع عنها، وليس قطع السبيل بمعنى السرقة، وقطع الطريق فمن كان هذا حاله من الشذوذ الجنسى فليس له طاقة بهذا العمل الذى يتطلب شيئا من الشجاعة، والجسارة يفتقدها من يعاشر معاشرة النساء لأن التكوين النفسى هنا مشوه تماما، ومتجه نحو الانهيار، والاضمحلال على مستوى الفرد، ومن ثم على مستوى الأمة.. ومن هنا جاء الاستئصال:

"-انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" العنكبوت 34..

"-والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون" النور 4..

"-وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين" النمل 12..

والمصرين القدماء كانوا أهل رسائل سماوية(بدأت بادريس عليه السلام نبيا، ومعلما، ثم أحياها تعالى بعد ذلك بابراهيم، ثم بيوسف عليهما السلام) تلقفها الكهنة وحرفوها – فسقوا عنها - لتخدم مصالحهم الدنيوية بالتحكم فى البلاد، والعباد، وحتى فى الفرعون نفسه، وهم الموصوفون فى القرآن بالملأ.. فيقول عنهم القرآن:

"-ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين" يونس 75 ..

وتنكروا لهما رغم أنهم أعلم الناس بصدقهما- فهم صفوة علماء الأمة- ولكن غرقهم الأموال، والسلطة.. فكان الرد:

"-قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض ومانحن لكما بمؤمنين" يونس 78..

فالمشكلة انحصرت لديهم فى الزعامة، ومن ثم الاستفادة بهذه الزعامة فى جمع المال، واستغلال العباد.. وصور لهم الجشع انتقال الزعامة، والأموال لموسى، وأخيه، ومن ثم لبنى اسرائيل كافة اذا هم آمنوا، ويدلل على هذا القرآن فى آية أخرى:

"-اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم يدك الى جناحك من الرهب فذنك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين" القصص 32 ..

ويبعث الله الرسل(ادريس، ثم ابراهيم، ثم يوسف، ثم موسى، وهارون) لينتشل العباد- قوم فرعون- من الاستعباد، والاستغلال.. ولكنهم اتبعوا فرعون، وملائه:

"-فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين" الزخرف 54..

ويحذر المؤمنين منهم :

"-يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين" الحجرات 6..

وعن قوم نوح:

"-وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين" الذاريات 46..

وقد فسقوا عندما زين لهم الشيطان عبادة الصالحين من قبلهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وآلهة استحدثوها.. فاشركوا بالله حتى دخلوا فى دائرة الكفر ..

"-ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون" الحديد 16..

"-ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" أل عمران 110..

"-وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" المائدة 47..

"-ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون(26) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون(27)" الحديد ..

وقد اقترنت الرهبنة بالفسق لكونها بدعة لم يفرضها الله عليهم، وعندما ابتدعوها ابتغاء رضوان الله لم يرعوا حقها، ونفهم أن من رهبانهم من كان مشركا، ومشعوذا، ومنهم من ارتكب من المعاصى باسم الرهبنة ماكان أسوأ من الكفر.. ومن هنا يطرح القرآن قاعدة عامة عن سبب الفسق، وبدايته فى نسيان الله، وعدم مراقبة الله فى كل شيء، فأنساهم الله أنفسهم :

"-ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون" الحشر 19 ..

ويضرب مثلا بموسى عليه السلام، وقومه من بنى اسرائيل:

"-واذ قال موسى لقومه ياقوم لما تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليهم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين" الصف 5..

"-فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون(25) قال ربى انى لاأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين(26) قال فانهما محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين(27)" المائدة ..

وبالمنافقين:

"-قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين"التوبة 53..

"-المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون" التوبة 67..

"-ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين" التوبة 80..

"-سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن بغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين" المنافقون 6..

"-ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون" التوبة 84..

"-يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين" التوبة 96 ..

ويقرن الفسق بالظلم:

"-وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين(58) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون(59)" البقرة..

وبالكفر فى معرض الكلام عن بنى اسرائيل أيضا:

"-ولقد أنزلنا اليك آيات بينات ومايكفر بها الا الفاسقون" البقرة 99 ..

ومن أسوأ مايقع فيه الانسان الفسوق بعد الايمان، كما أن باب التوبة مفتوح لمن وقع فى هذا الظلم لنفسه:

"-بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" الحجرات 11 ..

ولايقرن هنا الايمان بالكفر.. ولكن بالفسق.. وهو الخروج من الايمان:

"-أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون" السجدة 18..

ويقرن الفسق بنقض العهد، وقطع ماأمر الله بوصله، والفساد فى الأرض:

"-ومايضل به الا الفاسقين(26) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون(27)" البقرة..

-5النفاق والمنافقون

وهو اظهار مالايبطن، ولايستطيع اظهاره صراحة، وهو مرض ينتاب الشخصية الضعيفة:

"-وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله اعلم بما يكتمون(167) الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين(168)" آل عمران..

"-واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا" النساء 61..

"-فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا(88) ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء(89)" النساء..

"-بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما(138) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا(139)" النساء..

obeikandi.com

"-ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يرآءون الناس ولايذكرون الله الا قليلا(142) مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا(143)" النساء ..

"-اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم" الأنفال 49..

"-واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا" الأحزاب 12..

"-ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون(11) لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون(12) لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون(13)" الحشر..

"-اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقون لكاذبون(1) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون(2) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون(3)" المنافقون..

"-واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون" المنافقون 5..

-6الذين فى قلوبهم مرض

وهى شخصية أكثر ضعفا من المنافق، فاذا استطاع المنافق الاعتدال.. فمريض القلب لايستطيع..

"-ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين(8) يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون الا أنفسهم ومايشعرون(9) فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون(10)" البقرة..

ولاهم لهم سوى الفساد فى الأرض، مدعين الاصلاح:

"-واذ قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون(11) ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون(12) واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون(13) واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون(14) الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون(15) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين(16)" البقرة..

ويصنف اليهود، والنصارى فى مرضى القلوب، ومن تابعهم من المؤمنين:

"-ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين(51) فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا فى أنفسهم نادمين(52)" المائدة..

وتنضوى هذه الفئة من الناس تحت شعار المصالح التى توضحها آية المائدة السابقة.. ويوضح تعالى أنها تجارة غير رابحة باذن الله.. فخسروا الدنيا، والآخرة.. وهم يرتعدون فرقا من القتال، لأنهم يتشبثون الحياة:

"-فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم" محمد 20..

ويتبعون مايسخط الله :

"-ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم" محمد 28..

ولايزيدهم الهدى الا مرضا على مرضهم:

"-واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون(124) وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون(125)" التوبة..

وهم زبائن متنطعون على موائد الشيطان:

"-وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم(52) ليجعل مايلقى

الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق مبين(53)" الحج ..

-7المنكرون لليوم الآخر والدهريون

وهم الذين عرفهم القرآن بدقة فى هذه الآية:

"-وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين" الأنعام 29..

ثم تتوارد عنهم الآيات عن صفاتهم:

"-فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين(44) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون(45)" الأعراف..

"-ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون" يونس 7..

"-فعجب قولهم أاذا كنا ترابا أانا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا" الرعد 5..

"-فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون" النحل 22..

"-وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت" النحل 38..

"-وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أانا امبعوثون خلقا جديدا" الاسراء 49..

"-مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا(97) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أانا لمبعوثون خلقا جديدا(98)" الاسراء..

"-لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا" الكهف 48..

"-أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه" الكهف 105..

"-ويقول الانسان أاذا مامت لسوف أخرج حيا" مريم 66..

"-ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين" الأنبياء 38..

"-أيعدكم أنكم أذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون" المؤمنون 35..

"-ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين" المؤمنون 37..

"-قالوا أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما أانا لمبعوثون" المؤمنون 82..

"-وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتو عتوا كبيرا" الفرقان 21..

"-وقال الذين كفروا أاذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون" النمل 67..

"-ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين" النمل 71، وسبأ 29، ويس 48..

"-وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون" الروم 8..

"-وقالوا أاذا ضللنا فى الأرض أانا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون" السجدة 10..

"-ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين" السجدة 28 ..

"-وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد" سبأ 7..

"-وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم" يس 78..

"-أأذا متنا وكنا ترابا وعظاما أانا لمبعوثون(16) أوآباؤنا الأولون(17)" الصافات..

"-أأذا متنا وكنا ترابا وعظاما أانا لمدينون" الصافات 53..

"-ومايدريك لعل الساعة قريب(17) يستعجل بها الذين لايؤمنون بها(18)" الشورى..

"-ان هى الا موتتنا الأولى ومانحن بمنشرين(35) فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين(36)" الدخان..

obeikandi.com

"-وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون(24) واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين(25)" الجاثية..

وقد قدم الله تعالى نبذة عن عقيدة هؤلاء الدهريين من أنهم يؤمنون أيضا باله، ولكنه "هواهم"، أو كما يظنونه "العقل"، وهو من تلبيس ابليس أيضا، ومن الشرك، ولكن الله تعالى يرده الى أصله، ويدعون أنهم أصحاب علم:

"-أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون" الجاثية 23..

فالهداية ليست من الله، ولله.. ولكنها اعتمدت على العقل، ومايدعيه من علم.. فتارة يخطيء، وتارة يصيب.. وماهو خير اليوم هو شر غدا.. وهكذا ..

"-واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى مالساعة ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين" الجاثية 32..

"-والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي" الأحقاف 17..

"-أاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد" ق 3..

"-وكانوا يقولون أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما أانا لمبعوثون(47) أوآباؤنا الأولون(48)" الواقعة..

"-زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا" التغابن 7..

"-بل يريد الانسان ليفجر أمامه(5) يسأل أيان يوم القيامة(6)" القيامة..

"-يقولون أانا لمردودون فى الحافرة(10) أاذا كنا عظاما نخرة(11)" النازعات ..

مفهوم الدين

ويمكننا تقصى كلمة "الدين" فى آيات القرآن الكريم، لاستجلاء معناها :

"-الرحمن الرحيم(3) مالك يوم الدين(4)" الفاتحة ..

وهو اليوم الذى سيحاسب فيه الناس بناء على هذا الدين بالرحمة لأنه أنزل الدين من قبل رحمة بالعباد :

"-وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".. الأنبياء 107 ..

فيقول تعالى على لسان سيدنا إبراهيم :

"-والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين" الشعراء 82 ..

"-وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين" الحجر 35..

"-وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين" ص 78..

وهو وعيد لإبليس من الله تعالى ..

"-إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع" الذاريات 6 ..

"-يسألون أيان يوم الدين" الذاريات 12 ..

"-هذا نزلهم يوم الدين" الواقعة 56 ..

"-والذين يصدقون بيوم الدين" المعارج 26 ..

"-وكنا نكذب بيوم الدين" المدثر 46 ..

"-كلا بل تكذبون بالدين" الإنفطار 9 ..

"-وقالوا ياويلنا هذا الدين" الصافات 20 ..

"-وإن الفجار لفى جحيم(14) يصلونها يوم الدين(15)" الإنفطار ..

"-وما أدراك مايوم الدين(17) ثم ماأدراك ما يوم الدين(18)" الإنفطار ..

"-الذين يكذبون بيوم الدين" المطففين 11 ..

"-أرأيت الذى يكذب بالدين" الماعون 1 ..

"-فما يكذبك بعد بالدين" التين 7 ..

"-يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق" النور 25..

obeikandl.com

"-أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون" الصافات 53 ..

"-وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" الأنفال 39 ..

"-وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق" الأنفال 72 ..

"-فأن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين" التوبة 29 ..

"-ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب" التوبة 29 ..

"-هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" التوبة 33 ..

ووردت أيضاً فى سورة الصف.. الآية 9 ..

ونلاحظ هنا العلاقة بين الأديان الأخرى، والمشركين.. التى ماهى إلا اشرك بالله، واختلاف بين الناس.. لقوله تعالى :

"-وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولاتكونن من المشركين" يونس 105 ..

وهو دين الله تعالى، والحنف هو الميل للدلالة على استفحال أمر الأديان الأخرى التى حاد بها أصحابها عن دين الله الواضح لاستغلال الناس وفقاً لمصالح هذه الفئة من الكهنة ..

ويقول أيضاً :

"-فأقم وجهك للدين حنيفاً" الروم 30 ..

"-ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم" التوبة 36 ..

"-فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين" التوبة 122 ..

"-وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين" يونس 22 ..

"-أمر ألا تعبدوا إلأا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" يونس 40 ..

وهو دين التوحيد وعبادة الله وحده دون استغلال عامة الناس الذين أخفى عنهم الكهنة الدين الصحيح الذى نزل على رسل الله للاحتيال من أجل جمع المال، والتواطؤ مع السلطة ..

"-فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر االناس لا يعلمون" الروم 30 ..

وهو تعالى يقرن هنا الدين بالفطرة وهى التى لوثتها براثن الشرك، والوثنية ..

"-ما كان يأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله" يوسف 76 ..

"-وله ما فى السموات والأرض وله الدين واصبا" النحل 52 ..

"-ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله" النور 2 ..

"-فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين" العنكبوت 65 ..

"-فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله" الروم 4 ..

"-وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" لقمان 32 ..

"-فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم" الأحزاب 5 ..

"-إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخاصاً له الدين(2) ألا لله الدين الخالص(3)" الزمر ..

"-قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين" الزمر 11 ..

"-فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون" غافر 14 ..

"-هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين" غافر 65 ..

"-هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله" الفتح 28 ..

"-لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين" الممتحنة 8 ..

"-ورأيت الناس يدخلون فى دبن الله أفواجاً" النصر 2 ..

"-ولا يزالون يقاتلوكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا" البقرة 217 ..

"-ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم" آل عمران 73 ..

"-يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق" النساء 7 ..

"-قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق" المائدة 77 ..

"-يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء" المائدة 57 ..

"-وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر" التوبة 12 ..

"-إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد" غافر 26 . .

وهذا الكلام على لسان فرعون الذى يستخف بقومه بدين غير دين الله، ويسميه أيضاً دين، ويفسد ويلقى بالتبعة على رسول الله موسى عليه السلام ..

"-قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض" الحجرات 16 ..

"-ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم" البقرة 217 ..

"-يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه" المائدة 54 ..

وهو تعالى يقرن الدين بحبه، فإذا أحبوه أحبهم ..

"-وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون" آل عمران 24 ..

"-إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين" النساء 146 ..

فالتوبة، والصلاح، والإعتصام بالله،والإخلاص فى الدين = الإيمان.. والتوبة، والصلاح تخص العلاقات مع خلق الله، أما الإعتصام، والإخلاص فى الدين فهى لا تكون سوى لله تعالى.. ويحتوى الإيمان بالله على الأربعة جميعاً ..

"-وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا" الأنعام 70 ..

"-الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا" الأعراف 51 ..

"-إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم" الأنفال 49 ..

وهو تعالى يفرق بين نوعين من الفسق الذى هو الخروج من الإيمان ، وهما المنافقين ، ومرضى القلوب ..

"-ليردوهم ويلبسوا عليهم دينهم" الأنعام 137 ..

"-وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم" النور 55 ..

"-فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون(30) منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين(31) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون(32)" الروم ..

وهنا بداية الوقوع فى براثن الشرك والعياذ بالله ..

"-قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله " يونس 104 ..

وهى أديان الشرك ..

"-قل يا أيها الكافرون(1) لا أعبد ماتعبدون(2) ولا أنتم عابدون ماأعبد(3) ولا أنا عابد ماعبدتم(4)" الكافرون ..

"-قل الله أعبد مخلصاً له دينى" الزمر 14 ..

"-وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء" البينة 5 ..

والإخلاص من شروط العبادة لله علاوة على الحنف ..

"-فما يكذبك بعد بالدين" التين 7 ..

وهو تعالى يقرن الدين بالرسول الكريم المتمم لرسالات هذا الدين ..

"-أرأيت الذى يكذب بالدين" الماعون 1..

والسورة تسجل خصلتان من مساوئ التكذيب بالدين للكافرين، والمشركين، وهما دع اليتيم، وكراهة اطعام المسكين، وثلاث خصال للمنافقين، وهم السهو عن الصلاة بتأخيرها :

"-وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى" النساء 142..

ولأنهم "يراؤن" الناس خاصة المسلمين منهم، ويكرهون المعونة رغم استطاعتهم..

ولأن الكافرين، والمشركين بدعهم اليتيم، وكراهة اطعام المسكين لا يحبون الإنفاق من أموالهم، التى يكنزوها لأنفسهم فقط يعدهم ربهم بالويل :

"-وويل للمشركين(6) الذين لا يؤتون الزكاة(7)" فصلت ..

وذلك لأنهم:

"-بالآخرة هم كافرون" فصلت 7 ..

فهم لأنهم يعيشون لأنفسهم فقط، ولا يدخرون شيئاً عند الله، فيتسألون :

"-إيان يوم القيامة" القيامة 6 ..

"-لكم دينكم ولى دين" الكافرون 6 ..

والسورة تقرن الدين بالعبادة، وتشير إلى التلبيس الشيطانى الذى يدس على الإنسان عبادة ما دون الله ويسميه أيضاً دين، كى يطمئن قلبه للضلال؛ فيظل سادراً فى غيه ..

"-فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين" الواقعة 86 ..

والآيات المذكورة تدل على اليوم الآخر الذى هو يوم الحساب ؛ وعلام يتم الحساب والثواب، والعقاب بدون دين يسبق فى الدنيا ، يبشر به الأنبياء وينذرون ، فلذا وجب تسمية يوم الحساب بيوم الدين، كما يقول فقهاء القانون الوضعى: لا عقوبة إلا بتجريم، ولا تجريم إلا بنص ..

وهناك طائفة أخرى من الآيات تتكلم عن الدين :

"-وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله" البقرة 193 ..

"-وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين" الأعراف 29 ..

"-لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى" البقرة 156 ..

"-ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً فى الدين" النساء 46 ..

obeikandl.com

الأديان

المقصود بالأديان هنا الأديان على اطلاقها، فلا يمكن الاعتراف بالتقسيم المتعارف عليه من وجود أديان وضعية، وأخرى سماوية.. فاذا كان الدين هو معرفة الاله – أى اله – فالانسان متدين منذ الأزل:

"-واذ أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا" الأعراف 172..

وليس بالامكان أيضا قبول فكرة أن الانسان اخترع دينا يوما ما، فما له واختراع الدين، وقد جعل الله الدين من أجله طريقا مستقيما، هاديا، ومرشدا منذ كان فى النطفة الأولى.. فالأديان كلها سماوية.. نازلة من السماء الى الأرض، ولكنها حرفت عن أصولها، وتلقفها الكهنة لاستغلال البشر، واستعبادهم على مر التاريخ.. وللكهانة نظم راسخة موغلة فى تاريخ البشر على الأرض استأثرت بالتفكير فى مسائل الكون، والعقيدة، وقد قامت، وازدهرت على العروش العريقة على ضفاف الأنهار الكبرى، وقد حدد تعالى قواعد هذا الدين الأزلى من خلال خمس قواعد فى القرآن الكريم ..

القاعدة القرآنية الأولى:

"- ان الدين عند الله الاسلام" آل عمران 19..

سمى الله الدين الاسلام..

القاعدة الثانية:

"- وان من أمة الا خلا فيها نذير" فاطر 24..

تقرير الهى بأنه لم يترك أمة بغير دليل، ومرشد.. وهو عادة مايكون من نفس الأمة..

القاعدة الثالثة:

"- ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" النحل 36..

الاسلام هو عبادة الله وحده دون شريك، وتجنب الشيطان الذى توعد بنى آدم بالاضلال، والبعد عن خالقهم ..

القاعدة الرابعة:

"- لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" المائدة 48..

ووضع لكل أمة من الأمم شريعتها حسب بيئتها، وأمراض أفرادها، ولو شاء لجعلهم جميعا فى نفس الظروف، ولكن الخلق قام على التنوع، والتباين.. والاختيار..

القاعدة الخامسة:

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3) علمه البيان(4)" الرحمن..

ولايتم كل هذا بدون كتاب.. وهو القرآن قرين الاسلام.. الذى جعله تعالى فى اللوح المحفوظ، وفرض تعليمه على الخلق، وبخاصة بنى آدم الذى علم آباهم آدم الأسماء بنفسه..

وتبدأ قصة الاسلام منذ آدم عليه السلام الذى خلقه الله تعالى بيديه الكريمتين – كما بنى تعالى السموات بيديه – فنفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء، وأمر الخلق العاقل وقتها بالسجود – وهم الملائكة – وابليس من الجن قد بلغ مبلغ الملائكة آنذاك.. ولكن ظهرت طبيعته من حيث هو مخلوق مخير.. فامتثل الملائكة لأمر السجود؛ فسجدوا جميعا، وامتنع هو مبررا هذا الامتناع بطرق عقلية لاتصلح فى هذا المقام الالهى الرفيع، وهو تعالى لم يمنع العقلانية عن الملائكة غير المخيرين، فهم يعرضون عليه تعالى ماحدث من قبل فى الأرض عندما عاث الجن فيها فسادا، وسفكا للدماء.. وهذه ملاحظة لاتبدوا الا من كل ذى عقل، ونظر ..

ولانعتقد فيما روجه مدعى الحضارة من الغربيين، وتابعهم علماء المسلمين ممن فرضوا عليهم باسم العلم، والثقافة، والالحاح الاعلامى بأن الانسان قد اخترع الدين اختراعا.. وهو ماابتدعه المؤرخ الأمريكى "هنرى برستيد" فى كتابه "فجر الضمير" الذى ألفه سنة 1934م.. وترجمه الى العربية دكتور "سليم حسن" الذى يقدم المؤلف، وأفكاره فيقول :

"-انه يدلل على أن مصر أصل حضارة العالم، ومهدها الأول.. بل فى مصر شعر الانسان لأول مرة بنداء الضمير.. فنشأ الضمير الانسانى بمصر وترعرع؛ وبها تكونت الأخلاق النفسية، وعن هذه الحضارة المصرية أخذ العبرانيون، ونقل الأوربيون عن العبرانيين حضارتهم، وقد قضى برستيد فى كتابه على شائعة فريق من علماء التاريخ القديم ظنوا أن الصين، والهند، ثم بلاد اليونان كانت مهد الحضارة العالمية.. وعنها أخذ العالم الحديث، والواقع أن الحضارة انتقلت من مصر عن طريق "فلسطين" التى لم يكن لها فضل سوى أنها كانت نقطة الاتصال بين الحضارة الأوروبية، والحضارة المصرية، وقد وضع برستيد أسس التاريخ المادى بتقسيم تاريخ الانسانية الى عصرين بارزين: الأول عصر كفاح الانسان مع المادة، والقوى الطبيعية، والتغلب عليها نهائيا، وقدره بمليون سنة؛ والثانى عصر الكفاح بينه، وبين نفسه الباطنة حين أخذ ضميره يبزغ، وأخلاقه تتكون، وهو ماأحس به منذ أن عرف كيف يدون أفكاره بالكتابة، وقدره بنحو 5000 سنة.."

وهو تقدير بشرى محض لحضارة غرقت فى المادية البحتة، حتى لاتستمد جذورها من خالق الانسان، ولكنها تستمدها من الطبيعة الصماء؛ وغباء الكفر.. فالله تعالى وهب البشر حين خلقهم الأخلاق، والعلم - خاصة حين أنزلهم الى الأرض - حتى لايغرقوا فى هذا الخضم الهائل من السنين دون جدوى؛ خاصة أن عمر الانسان على الأرض قصير، ولايبلغ بحال من الأحوال عمر أى شىء سخره له كالشمس، والقمر مثلا.. فأنزل تعالى الرسل معلمين، ومبشرين، ومنذرين..

ان مايدعيه برستيد، ومن يرددون معه كالببغاوات امتهان للانسان الذى كرمه الله:

"-ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" الاسراء 70..

بينما يقول برستيد، وأتباعه عن الانسان:

"- قد بدأ متوحشا، مجردا من الأخلاق".. يعنى لم يدرك مرتبة الحيوان.!

ويقول خالق الانسان:

"- بل الانسان على نفسه بصيرة(14) ولو ألقى معاذيره(15)" القيامة..

"- انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا(2)انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا(3)" الانسان..

"- علم الانسان مالم يعلم" العلق 5 ..

"- ألم نجعل له عينين(8) ولسانا وشفتين(9) وهديناه النجدين(10)" البلد..

وحفظه من السوء:

"- ان كل نفس لما عليها حافظ" الطارق 4..

"- وان عليكم لحافظين(10) كراما كاتبين(11) يعلمون ماتفعلون(12)" الانفطار..

ولم يتركه عاريا عندما أهبطه على الأرض.. أفيتركه من غير دين، وأخلاق، وضمير كما يدعى الجاهلون؟..!

"-يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير" الأعراف 26..

وأرسل اليه الرسل بالبينات، والكتاب، والميزان)القانون، والعدل)، وأنزل اليه كل مايحتاجه..حتى الحديد :

"-لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فى بأس شديد ومنافع للناس" الحديد 25..

ثم يسأل المؤرخ فى بلاهة:

"-كيف أصبح الانسان فى وقت ما صاحب وازع خلقى؟!".. والاجابة الذى لايعرفها المؤرخ ذكرتها فواتح سورة الرحمن التى ذكرناها من قبل..

وهذه الآيات منذ بدء الخليقة البشرية.. فلم ينشأ الانسان متوحشا، ولامتخلفا وهو مالايفهمه الماديون أمثال هذا المؤرخ، وأتباعه..فالمادة لاعقل لها، وهم كذلك، ولكى ينطلى الكلام الفارغ على السذج ممن يصدقونهم باسم العلم، ويثقون فى تقديراتهم غير العلمية، لأن التقدير عادة مايكون ظنيا، والظن ليس من العلم فى

شيء، فهم لايصدقون الوحى لأنه غيب، وتقديرهم الظنى غيب محض، بل يهبط الى مرتبة الخرافات، والآساطير.. فهم أيضا كهان هذا العصر البائس بهم..

وعن الخلط فى ذهن هؤلاء الناس.. يقول برستيد:

"-لقد حفظت الوصايا العشر فى طفولتى مثل اخوانى من الصبية، وماأكد لى احترامها أنها أنزلت من السموات وحيا على موسى، ولكن كشفت وأنا مستشرق مبتدىء أن المصريين كان لهم مقياس خلقى أسمى بكثير من الوصايا العشر، وأن هذا المقياس ظهر قبل أن تكتب الوصايا بألف سنة.."

وهذا ماأوقع المسلمين فى براثن أفكار هؤلاء الناس الذين نالوا من الدين بهذه الأفكار؛ وهى أن قدماء المصريين كانوا موفقين أخلاقيا أكثر من وحى السماء، ولكن ألا ينبغى أن نسأل قبل هذا - من باب الاستقلال الفكرى- من أين جاءت لقدماء المصريين هذه الأفكار، والأخلاق فى هذا الوقت المبكر سوى من الوحى؟ ..!

أم كانوا - برستيد، وأتباعه - فى طفولة البحث فوقفوا عند هذا الحد، وانكسرت اللعبة.. فأعياهم الرجوع قليلا الى الوراء؟ ..!

ومن هذا أنه يرى أن حكمة "أمينموبى" المصرى قد ترجمت الى العبرية فى الأزمان الغابرة، وبذيوعها فى فلسطين صارت مصدرا استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال فى التوراة، وأن التقدم الحضارى فى الممالك التى تحيط بفلسطين كان أقدم بعدة آلاف من السنين من التقدم العبرى، وقد انبثق عصر فجر الضمير، والأخلاق على العالم دون أن يزج به من العالم الخارجى عن طريق منهاج خفى يسمى الالهام، أو الوحى.. بل كان منشؤه حياة الانسان نفسه، ويرجع هذا الانبثاق الى مدة ألفى سنة قبل بداية عصر وحى رجال اللاهوت..

فهل هناك أضل من مؤرخ يظن أن عصر الوحى قد بدء برجال اللاهوت(الكهنة) الذين هم فى ذهنه فقط؟..!

ومن الشواهد التى استدل بها فى كتابه على اختراع الدين.. نستطيع أن نستدل بها على كون المصريين قد أدركهم الله بنبى فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الانسان على الأرض حيث يقول:

"-لم يكن لسكان وادى النيل فى عصر ماقبل التاريخ أجداد متحضرون يرثون منهم أى ثقافة، وأن الذى يعرف قصة تحول صيادى عصر ماقبل التاريخ فى غابات النيل الى ملوك، ورجال سياسة، وعمارة، ومهندسين، وصناع، وحكماء، وأنبياء اجتماعيين فى جماعة منظمة عظيمة مشيدين تلك العجائب على ضفاف النيل فى وقت كانت فيه أوروبا لاتزال تعيش فى همجية العصر الحجرى، ولم يكن فيها من يعلمها مدنية الماضى".. هذا عن مصر.. أما عن الرافدين(العراق) فيقول:

"-فالمدنية فى أعلى معانيها قد ولدت فى الركن الجنوبى الشرقى من البحر الأبيض المتوسط، ومع ذلك قد كانت هناك منذ البداية تقدم هام نحو المدنية فى غرب آسيا المجاورة.. وبخاصة فى بابل حيث ظهرت فى نهاية الأمر ثقافة ما تمتاز بتقدمها المطرد فى الشئون العملية، والتجارية، والقضائية، وفى الوقت نفسه كان من عناصرها البارزة الاعتقاد بأن مصير الانسان يكمن فى قراءته للنجوم؛ حتى أن حذقها المدهش فى درس الأجرام السماوية وضع مقدمة أصبحت فى يد الاغريق أساسا لعلم الفلك.."

فهل يجهل المؤرخ أن نبى الله ادريس قد سكن مصر، بعد أن هاجر اليها من الرافدين(بابل) على أرجح الأقوال، وقام فى المصريين داعيا الى الله الأحد، وأن بلاد الرافدين هى التى دعا فيها نوح عليه السلام أيضا الى الله.. مذكرا الناس بالاسلام، ومن بعده ابراهيم عليه السلام فى نفس المنطقة(بابل)؟!.. وهل يجهل أن القرآن لم يفته ذكر هذه الحضارة التى بعث ابانها ابراهيم عليه السلام، وقد كان فيها مكذبون بالله كدأب الانسان منذ بدء الخليقة كلما قطع شوطا فى الحضارة، والمدنية كلما استبعد الدين، والأخلاق من حياته، وكلما ظهرت الكهانة، وازدهرت فيسجل القرآن سخرية ابراهيم عليه السلام من معتقداتهم المغلوطة، وعقليتهم التافهة:

ـــ"فنظر نظرة فى النجوم(88) فقال انى سقيم(89) فتولوا عنه مدبرين(90) فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون(91) مالكم لاتنطقون(92) فراغ عليهم ضربا باليمين(93) فأقبلوا اليه يزفون(94) قال أتعبدون ماتنحتون(95) والله خلقكم وماتعملون(96) قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم(97) فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين(98)" الصافات ..

ويدعى برستيد أن الحكومة، والنظام السياسى على ضفاف النيل هو الذى عمق أثر الدين فى النفوس.. ومن ثم بدأت المظاهر الحكومية تنتقل الى عالم الالهية حتى صار الاله العظيم يسمى فى بعض الأحيان ملكا، وهو كلام مردود عليه بأن الدين قد ظهر فى المجتمعات الزراعية، أو الحضرية، والتجارية كما نبأنا القرآن الكريم عن أقوام عاد، وثمود، وقدماء وادى النيل، وغيرهم؛ وهى البيئات الصالحة لنشأة الغيبيات، وتصديقها، وهذه المجتمعات هى عادة التى تحتاج الى حكومة منظمة ترعى النظام، والحقوق، والأمن، والاستقرار، وتعيد توزيع الثروة المتراكمة بالزراعة، ومايقوم عليها.. حتى الاسلام فى البعثة المحمدية استتب فى المدينة العامرة خلال عشر سنوات مع استحالة ذلك فى مكة المقفرة.. كما نشأت الدولة اليهودية أيام داود، وسليمان عليهما السلام فى المدينة المقدسة مع استحالة ذلك فى سيناء أيام موسى، وهارون عليهما السلام.. من أقدم النصوص لتى كتبها الكهنة فى منف قدر برستيد زمنها قبل عهد الاتحاد الثانى فيما لايقل عن**4000** ق.م. فيشير الى بعض الكلمات التى نرى أنها قوام الدين المترل من السماء؛ والتى لم تتغير منذ فجر وجود الانسان على الأرض مثل كلمة "القلب" وهو مانجد أن أصدق، وأشمل كتب الدين التى وصلتنا-غير محرفة- وهى القرآن الكريم لايتعامل مع أى جزء من جسم الانسان بالنسبة للهداية، والضلال سوى مع القلب الذى لاحظ برستيد، وبعض المترجمين لهذا المتن، والمتون المصرية عامة بأنها تعنى "العقل" لدى المصريين القدماء.. حتى البحوث الفسيولوجية الحديثة ترجع الميول القلبية دائما حتى فى حالات العشق، والهوى، والغرام الى التفكير العقلى، ومن القرآن:

"-أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور" الحج **46**..

"-الا من أتى الله بقلب سليم" الشعراء **89**..

"-اذ جاء ربه بقلب سليم" الصافات **84**..

"-كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار" غافر **35**. .

"-من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب" ق **33**. .

"-ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب" ق **37**..

"-ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه" البقرة 283. .

"-الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان" النحل 106. .

"-ومن يؤمن بالله يهد قلبه" التغابن 11..

"-أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" محمد 24..

ومن كلمات أقدم المتون الدينية نجد من صفات الاله بتاح اله منف المسيطر على أصحاب الحرف، والصناعات والذى يعتبر عموما اله الحرف يقول القرآن:

"-علم الانسان مالم يعلم" العلق 5..

كما يقول أقدم المتون أيضا عن بتاح :

"-الذى نطق بأسماء كل الأشياء".. ويقول القرآن

"-وعلم آدم الأسماء كلها" البقرة 31..

ومن صفات بتاح كما يذكر المتن :

"-خالق كل من الطيب والخبيث".. ويقول القرآن:

"-هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن" التغابن 2..

ومن مراجعة الدعوات، والصلوات المحفوظة يتبين أن عبادة بتاح كانت أقرب العبادات الى المعانى الروحية.. فارتفاع بتاح من صانع حاذق بالبناء، والتماثيل، وسائر الصناعات الى صانع مختص باقامة الهيكل المقدس الذى أصبح فى اعتقادهم مثالا للعالم بأرضه، وسمائه، وكان بتاح كما جاء فى احدى صلواته هو "الفؤاد، واللسان للمعبودات".. فلا ينبعث من ذهن، ولالسان فكر، أو قول بين الأرباب، أو الناس، أو الأحياء الا هو من وحى بتاح؛ فكلمته هى الخلق، والتكوين..

ويرى برستيد أن عقيدة بتاح هى أساس مذهب الخلق بالكلمة **Logos** عند الاغريق الأقدمين.. فلا حاجة بالخالق الى أداة للخلق غير أن يشاء، ويأمر.. فاذا بما يشاء موجود كما شاء، ومن المحتمل جدا أن كهان تلك العصور تدرجوا الى

obeikandl.com

فهم قوة الكلمة الالهية من فهمهم لقوة الكلمة على لسان الساحر، وقوة الكلمة على لسان المبتهل للصلاة..

ونسج كهان عين شمس على منوال كهان منف تنزيه "رع"، وتجريده من ملابسات الحس، والتجسيد، ولاسيما بعد تفرغهم للعبادة الروحية، وانصرافهم اليها كلما تعاظم سلطان الكهان فى طيبة، وتفاقمت سيطرتهم على مناصب الدولة، وهم كهان آمون.. فطغى نفوذ كهان آمون؛ فاستأثر رئيسهم بلقب "الرئيس" فى أنحاء الديار، ولكنهم ذهبوا فى الطغيان كل مذهب على عهد خلفائه.. فطمعوا فى نفوذ الملك بعد اطمئنانهم الى نفوذ الدين..

استنكر اخناتون دسائس كهنة آمون، وتهافتهم على المناصب، والأموال، وألغى جميع الأرباب، وأولهم الرب القديم أوزوريس، وقد عقد كل من هنرى برستيد، وأرثر ويجال مقارنة بين صلوات اخناتون، وأحد المزامير العبرية.. فاتفقت المعانى بينهما اتفاقا لاينسب الى توارد الخواطر، والمصادفات، ولكن المحقق أن بنى اسرائيل قد أخذوا كثيرا من عقائد المصريين، وشعائرهم قبل عهد اخناتون بعدة قرون، وبعده بعدة قرون..

وكانت دعوة اخناتون صحوة وجيزة تبعتها نكسة سريعة من جراء الأحداث السياسية، ومن كيد كهنة آمون المخلوعين، ولأنه هجم على الشعب فى أعز العقائد عليه، وهى عقيدته فى أساطير عالم الأموات، وشعائر الاله أوزوريس رب المغرب، والخلود.. فانكر سلطان أوزوريس على الأرواح، وجرده من قدرة الحكم عليها بالعقاب، أو العذاب؛ ولهذا بقيت عبادة أوزوريس، وايزيس بين المصريين، كما بقيت بين اليونان، والرومان.. وكذلك نرى فى كلمات أقدم الوثائق فى التاريخ كلمات وحى السماء التى لم تتغير منذ بدء الخليقة، ولم يستأثر بها الوحى لقوم دون قوم انما نزلت للبشر كافة فى كل زمان، ومكان، وهى من الأصول، والمبادىء فى الدين(الاسلام..(

وعلى مدى فصول ثلاثة يتحدث برستيد عن قدسية الموت.. وحتمية الحياة بعد الموت فى عقيدة قدماء المصريين.. والذى يفهم ممن تحدثوا عنها أنه البعث بعد الموت.. ولكن الفكرة حرفت بحيث أصبحت فكرة البعث التى عرفوها عن طريق النبي ادريس عليه السلام تتوقف عند الحياة البرزخية التى من المفترض أنها حياة

انتقالية تفصل حياة الانسان عن بعثه.. فأصبحت فكرة البعث تقتصر على حياة القبر فقط بما أعدوه من طقوس جنازية تحفظ الجسم سليما لحين عودة الروح "با" اليه مرة أخرى لتجده كما فارقته فى الحياة قبل الدفن، وماأعده لهذه العودة من أسباب الحياة من أكل، وشرب، وغير ذلك من أسباب العيش.. وفكرة الروح هذه لايمكن ادراكها سوى عن طريق التنبؤ، والوحى فهى ليست شيئا مرئيا، أو مسموعا، أو محسوسا حتى يدركه انسان فى هذا الوقت المبكر من تاريخ البشر على الأرض

وعندما صادف المؤلف معرفة المصريين القدماء بالقرين "كا" لم يذكر هذا المصطلح الذى أخذناه من القرآن الكريم، حتى المعرّب لم يذكر المصطلح أيضا، ولكنه نقل قول المؤلف أن "كا" يظهر فى الوجود مصاحبا لكل انسان من وقت ولادته، ويرافقه فى كل حياته حتى ينتقل قبله الى عالم الآخرة..

ولايعقل أيضا أن يكتشف المصرى القديم "القرين" فى هذا الوقت المبكر دون وحى، ونبوة نطقت بالمعتقد مباشرة خاصة أنه غيب لايدرك بالحواس، ولايزال هذا المعتقد منتشرا فى الريف المصرى حتى يومنا هذا.. حيث يخشى كثير من المصريين - خاصة النساء منهم - كنس الدار ليلا، أو القاء الماء خارجها خاصة فى الظلام حتى لايؤذى قرينه تحت الأرض.. وعن القرين يقول الآستاذ محمد صابر وهو يعدد كلمات، وعادات بقيت فى مصر المعاصرة - خاصة فى الريف المصرى – منذ عهد قدماء المصريين :

"-يعتقد عامة الشعب الآن أن لكل منا أخا، أو أختا تحت الأرض.. فاذا ماوقع طفل، أو طفلة قالوا: اسم الله عليك أخيك، أو أختك تحتك"..وكذلك تخيل قدماء المصريين أن لكل انسان قرين .."

اذن فهى معتقد، أو عادة مصرية قديمة.. ذكرها القرآن صراحة فى أكثر من موضع، وكذلك الأحاديث النبوية..والمصدران أصلهما الوحى؛والوحى أفكار واحدة متصلة منذ آدم، وحتى محمد عليهما الصلاة، والسلام.. ولابد أن المصريين عرفوا القرين عن طريق الوحى من النبى ادريس عليه السلام.. يقول القرآن عن القرين:

"-ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين(36) وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون(37) حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين(38)" الزخرف ..

"-وقيضنا لهم قرناء زينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم" فصلت 25 ..

ويوضح القرآن ماهية القرين أيضا، فيصرح بأنه شيطان يريد اغواء الانسان.. كما

بينته الأحاديث النبوية:

"-ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" النساء 38..

وعن تحديه للانسان، وعداوته له فى الدنيا، والآخرة:

"-وقال قرينه هذا مالدى عتيد" ق 23..

"-قال قرينه ربنا ماأطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد" ق 27..

ومن هذان الرمزان الخالدان فى آثار قدماء المصريين.. الروح "با"، والقرين "كا".. وهما من الغيبيات بالنسبة للانسان، لايمكن ادراكهما بالعقل المجرد، أو التفكير المسترسل، وهما مالم يستطع الكهنة، وشياطينهم انكاره، أو تدليسه، أو تلبيسه، ولكنهم ذكروهما بكل دقة، وذكروا كل مايتعلق بهما من تفاصيل مايدلنا على خيوط الوحى، والنبوة، ولااحتمال آخر لكل ذى عقل، وفكر..

فمن حيث الروح(با) راقب الانسان الموتى- كما يقول العقاد- فرأى أنهم يفقدون النفس حين يموتون.. فوقع فى حدسه أن النفس هو الروح المفارق للأجساد فى حالة الموت، فهى شيء فى لطف الهواء الخفى يحتجب عن الأنظار، فلا شك فى ارتباط الروح بالهواء، ويدل على ذلك الكلمات التى تطلق عليها فى اللغة العربية مثل: الروح، والنفس، والنسمة، وكلمة **Psyche** اليونانية معناها النفس.. كمعنى **Spirit** فى اللغة الأوروبية الحديثة.. أما القرين فكيف يعلم به الانسان دون تبليغ من وحى السماء؟ ..!

كان المصريون من أعرق الأمم التى آمنت بالروح، ثم آمنت بالبعث، والثواب، والعقاب بعد الموت.. أما أثبت العبادات، وأبقاها فهى عبادة الأموات،

والأسلاف.. فعناية المصرى بتشييد القبور، وتحنيط الجثث، واحياء الذكريات لاتفوقها عناية شعب من الشعوب ..

ويقر المؤلف بقدم "مسرحية منف"، و"متون الأهرام" المحتويتان على الصيغ الجنازية.. وحياة الانسان بعد الموت، ومتون الأهرام نقشت فى خمسة أهرام بسقارة التى كانت تعد جبانة منف القديمة، ويظهر من محتويات المتون - كما يقول المؤلف - أنها تشتمل على مادة أقدم من عصر النسخ، خاصة أن النسخ التى عثر عليها تشير الى فصل عن أولئك الذين يصعدون؛ وفصل خاص عن أولئك الذين يرفعون أنفسهم، والرفع ذكر فى القرآن لادريس، وعيسى عليهما السلام.. وادريس من أول مابعث من أنبياء على الأرض:

"-واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا(56) ورفعناه مكانا عليا(57)" مريم..

وهو يرى أن هناك أفكارا فى المتون بالغة الغرابة ظهرت فيها ثم اختفت بعد عصر المتون، ولم يصادفها فى متون مصرية أخرى، وربما استمرت مستخدمة جيلا، أو جيلين فى متون الأهرام، وهى عدم ذكر الموت لملوك الفترة المبكرة حيث يذكر الملك المتوفى بأنه حى يرزق، وبرستيد بطبيعته المادية لايفهم أنها الشهادة التى يعد بها الله الأبرار من عباده المؤمنين، وكذلك قولهم فى المتون للملك المتوفى:

"-لقد سافرت لكى يمكنك أن تعيش".. وهى الحياة الأبدية المستمرة بلا فناء كحياتنا الدنيا، وفهمه السقيم فى أنها اختراعا بشريا، وهو لايفهمها لأنه لايدرى مالوحى، والنبوة التى كتبت هذه الأفكار متأثرة به فى أعقاب ذلك النبى(ادريس) الذى رفع أمامهم الى السماء، ولم يمت كما يموت الناس، وهو مامجدوا به ملوكهم الفراعنة طوال عصور الدولة القديمة، والوسطى، والحديثة.. فالملك أيضا لايموت بل يصعد الى السماء.. وهم قد مزجوا هذا بالأساطير، وحرفوه لارضاء الملك الذى له سلطة تعيين هؤلاء الكهنة الذين يسجلون هذه الأفكار من الوحى، والنبوة ..

وقد برع هؤلاء الكهنة فى تحريف الوحى لأغراضهم الشخصية فى أماكن كثيرة من هذه المنطقة، وماحولها حتى الصين، والهند.. وكلما ابتعدنا أكثر عن هذه

المنطقة خفت حدة الوحى فى هذه الأساطير التى خلقت أديانا نسميها خطأ الأديان الوضعية؛ وماهى الا وحيا تلاشى، واندثر تحت وطأة الزخم الكبير من الأساطير مثلما نجد فى شرق آسيا، واليابان عبورا الى دول أمريكا الشمالية، والجنوبية، واستراليا التى دخلها الانسان خلسة، وبقى فيها بعيدا عن طرقات وحى السماء للأرض فى دائرة محدودة من العالم فى أرض الجزيرة العربية، والعراق، والشام، ومصر والتى يتوسطها بيت الله الحرام، وبيت المقدس اللذان بارك الله حولهما، ويقعان على طرفى قطر هذه الدائرة.. ويندهش المؤلف من كون الفكرة السائدة فى متون الأهرام؛ أن الحياة توجد فى السماء، وأن الحياة هى الآخرة، وليست الدنيا، ولايفهم أن هذا أيضا هو كلام من وحى السماء الى الأنبياء المرسلين لأهل الأرض:

"-وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون" العنكبوت 64 ..

كما يتعجب المؤلف من تكرار عملية التطهير التى يتعرض لها المتوفى بتكرار ممل، وهو ماعلق عليه المعرب من أنه يقابل بالضبط غسيل الميت، ودفنه فى الاسلام، مما يثبت أنه أوامر وحى سماوى، ويتحدث المؤلف عن ذكر هذه المتون لحالة الخوف التى تملأ قلوب سكان الشرق القديم كلما تأملوا فى أخطار عالم الآخرة، ولانحتاج الا تأكيد أن سكان الشرق الجديد أيضا كذلك، وهو ارث الرسالات الكثيرة، والثقيلة التى كانت من نصيب هذه البقعة المباركة من العالم..

ومن المتون أيضا يتحدث عن مورد الشرب فى الآخرة؛ وماهو الا الحوض فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن يوم القيامة، كما تتحدث المتون أيضا بالتفصيل الممل عن اجتياز المتوفى أبواب السماء حتى يقترن بعالم الأرواح فى قصور السماء(الجنة)، ولم يسأل المؤلف نفسه من أين جاء لكاتب المتون أن السماء لها أبواب الا ان كان وحيا، ونبوة:

"-ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر" القمر 11..

"-وفتحت السماء فكانت أبوابا" النبأ 19..

ويورد بعض العبارات من أناشيد المتون، ومانراها الا وحيا صريحا:

التعليق	العبارة
وفيها ذكر لجهنم فى هذا الوقت المبكر جدا	*عظام كلاب جهنم ترتعد..
وفيها ذكر لخزنة جهنم	*والبوابون واجمون..
من صفات الله تعالى فى عنايته بالبشر بارسال الرسل	ومرسل *وهو رب الرسل، رسالاته..
اذا قضى -"واذا قضى أمرا فانه البقرة 117 يقول له كن فيكون"	*اذا أراد فعل، واذا لم يرد لم يفعل..

وقد ذكرت المتون قتل ست لأخيه أوزوريس ومانراها الا قصة القرآن عن ابنى آدم عليه السلام؛ خاصة وأن الأسطورة تحتوى أيضا على الأختين ازيس، ونفتيس.. وازيس فى الأسطورة هى أخت أوزير أيضا.. ومن هذه الأسطورة المبكرة زين الكهنة لملوك مصر القديمة زواج المحارم:

"واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين(27) لئن بسطت الى يدك لتقتلنى مأنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين(28) انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين(29) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (30)" المائدة.. ومن المتون الهرمية(شكل2،1) بدأ المؤلف فى تعديد مظاهر الأخلاق عند المصرى القديم التى نجدها بادىء ذى بدء وحيا نزل عليه من السماء، ولم يكن الانسان منذ خلق بعيدا عن المنافسة، والشجار مع من حوله من أفراد؛ ففى اطار الأسرة الواحدة تنافس الأخوة فى البيت الواحد قبل أن يخرجوا للحياة بمشاكلها، وضجيجها، وهذه طبيعة بشرية نشأت عن تميز الانسان بالعقل، والتفكير، ومن ثم فهما يختلفان من واحد الى آخر، وهو ماجاء ذكره فى القرآن عن المنافسة بين ابنى آدم عليه السلام فى هذا الوقت المبكر على الأرض ..

شكل(1): هرم أوناس من ملوك الأسرة الخامسة المسمى "نفر اسوت".. بمعنى المكان الجميل الذى اشتهر بما يعرف بمتون الأهرام، وهو ضمن مجموعة منطقة سقارة الأثرية ..

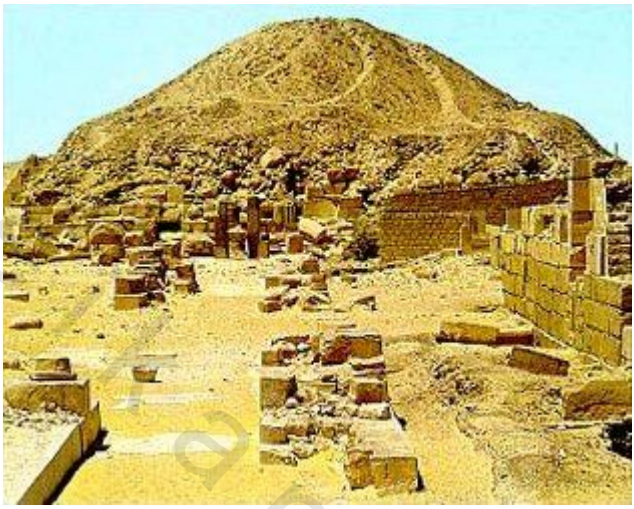

وهو يرصد النظام الأسرى، ويعزى اليه ظهور الأفكار الخلقية، ونموها.. وهذا ماحدا بالوحى أن ينشىء الانسان فى اطار أسرة مكونة من أب، وأم، وأخوة، وماينشأ عن ذلك من فضيلة البر بالوالدين، ومعاملة الجيران، والأقران بالحسنى، وارضاء العمال باعطائهم مااتفقوا عليه من أجر، والتصدق على الفقراء حولهم، واطعام الطعام، وتوزيع الكساء، والعطف على الصغير، وتبجيل الكبير، والرحمة بالحيوان، والطير، وعدم الاساءة للناس، أو استغلال الوظائف، أو الكلام القبيح، أو الكذب، وشهادة الزور، وكان هذا الوازع الخلقى راجعا الى الاعتقاد الدينى بالحساب بعد الموت، ومن الصعب اختراع كل هذا فى هذا الزمن المبكر كما يدعى المؤلف الذى تبعه الكثيرون حيث يقول:

"-اننا نعلم أن جريمة الزنا كان عقوبتها الموت فى الأزمان التى تلت عصر الأهرام، ولايبعد أن هذا العقاب كان متبعا فى عهد الدولة القديمة.."

وهى نفس العقوبة فيما بين أيدينا من كتب الوحى الباقية مثل التوراة، والتى أيدتها السنة النبوية فى عقوبة الزنا بالرجم حتى الموت للمتزوج، أو المتزوجة..

ويقارن الحضارتين المصرية، والبابلية زمنيا فيقول :

"-ولاجدال فى أن التقدم السياسى، والاجتماعى، وتطور الحضارة البشرية على وجه عام كان ظهورها كلها فى وادى النيل متقدما بعدة قرون على أمثاله فى غرب آسيا، والحقيقة أن الحضارة فى بابل أتت متأخرة فى تطورها الدينى، والاجتماعى، والسياسى عن حضارة مصر بما لايقل عن ألف سنة.."

شكل(2): هرم أوناس حيث تظهر متون كتاب الموتى منقوشة من الداخل..

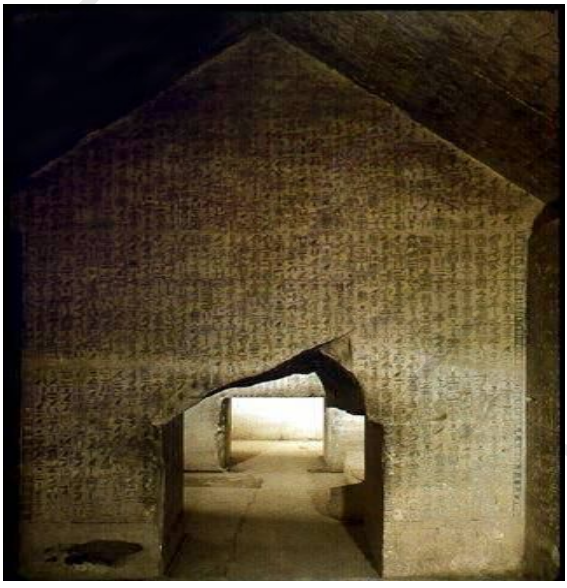

وبعد عصر الأهرام ببضعة قرون جاء فى النصائح الموجهة من الملك "مري كا رع :"

"-انك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المخطىء لايتسامحون فى ذلك اليوم الذى يحاسبون فيه الشرير وقت تنفيذ الحكم، ولاتركن الى طول الأيام لأنهم ينظرون الى مدى حياة الانسان كأنها ساعة واحدة، والانسان يعيش بعد الموت،

وأعماله تكوم بجانبه كالجبال، لأن الحياة الأخرى أبدية، ولايهمل أمرها الا الغبى"..
وفى القرآن الكريم:

"-ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة "الروم 55..

ويقول صلى الله عليه وسلم:

>>-من مات فقد قامت قيامته..<<

حتى العقاد قد وقع فى هذا الخلط عندما قال:

"-كان المصريون الأقدمون يؤمنون بالاله الواحد، وكان من معتقداتهم أن للروح فى العالم الآخر ميزان يقدر لها الحسنات، والسيئات، ولكنها لم تكن دعوة نبوة، ورسالة .."

ويكاد يقول هؤلاء أن الله - تعالى عما يصفون - قد أخذ فكرة التوحيد، والبعث من قدماء المصريين.. ثم يستطرد العقاد:

"-ولعلها جاءت فى زمن لم تتهيأ فيه النفوس للعلم بالوحدانية، ونبذ الشرك، وتعدد الأرباب.."

وكأنه يرتاب مما يقول، فكيف لم تتهيأ النفوس لفكرة من اختراعها أصلا؟!.. ولم تمل عليها من أحد؟!.. ثم يسترسل:

"-كانت فى جملتها دعوة كهان يسترون مايعلمون، ولايبوحون للناس بأسرار الديانة الا بمقدار.."

ولكنه لم يسأل نفسه، من أين جاء الكهان بأفكار التوحيد، والبعث؟..!

يقول العقاد:

"-ترقى الانسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم، والصناعات.. فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى؛ وكذلك كانت علومه، وصناعاته.. فليست أوائل العلم، والصناعة بأرقى من أوائل الأديان، والعبادات، وليست عناصر الحقيقة فى واحدة بأوفر من عناصر الحقيقة فى الأخرى.. وينبغى أن تكون محاولات الانسان فى سبيل الدين أشق؛ وأطول من محاولاته فى سبيل العلوم، والصناعات، لأن حقيقة

الكون الكبرى أشق مطلبا، وأطول طريقا من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التى يعالجها العلم تارة، والصناعة تارة أخرى.. ويقول علماء المقابلة بين الأديان: ان هناك ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى اعتقادها بالآلهة، والأرباب.. وهى دور التعدد(آلهة كثيرة)، ودور التمييز، والترجيح(الاستقرار على اله معين)، ودور الوحدانية(الاله الواحد ..(

ومن تعزيز العقاد لهذه النظريات، وأخذه بها ندرك أن العقاد قارىء جيد للغربيين كغيره من مفكرى عصره - عصر الاستعمار، واحتلال العالم الاسلامى - كطه حسين، وسلامة موسى، وأحمد أمين، وغيرهم ممن نشأوا فى هذا العصر.. حيث نقلوا لنا بأمانة متنهاهية ماقاله الغرب بلا اضافة، أو حذف، أو استدراك- ناهيك عن النقد – والغريب أنهم انتقدوا كل ماهو عربى، واسلامى، ووطنى(وهى هويتهم، وهوية شعوبهم التى خرجوا منها).. فالمعروف أن التلميذ يصير أستاذا مع الوقت، وقد يفوق الأستاذ.. ولكنهم للأسف وقفوا عند مرحلة التلمذة الساذجة.. وهى التصديق الأعمى بلا مناقشة، وكأنهم من شعوب بلا تراث، أو هوية، أو حضارات، وآثروا ألا يغادروا مقاعد الدراسة؛ وبلاهة التلقى.. فلم يتجاوزوا مرحلة الانبهار.. انبهار القروى الساذج الذى جاء لتوه من أقصى الريف لبهرجة المدينة، وأضوائها الآخاذة.. فآثر أن يظل خادما لدى أسياده يتلقى مايلقونه اليه من سقط المتاع.. دون أن يستقل بعمل يؤكد ذاته، ويؤمن مستقبل أولاده.. ويعلق الأستاذ عبد الحميد جودة السحار بقوله:

"-وقد أخذ الأستاذ العقاد فكرة ترقى الانسان فى العقائد، وترقيه فى العلوم، والصناعات من قول علماء المقابلة بين الأديان بأن هناك ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم حتى وصلت الى الوحدانية.. وهذ القول خاطىء من وجهة النظر الاسلامية.. فهو يعتمد على فكرة أن الله من خلق الانسان؛ وينفى عنه الثبات.."

ونرى أن من قال بهذا الكلام سواء أكان العقاد، أو علماء المقابلة بين الأديان الذين أخذ عنهم، أو هم معا لم يقرأوا كثيرا فى التاريخ، ولا الأديان.. ولكنه ربما تأثر بنظرية التطور التى صارت منذ ظهورها قبل نهاية القرن التاسع عشر منهجا رتيبا جعلت كل من هب، ودب يخضع لها كل مايدرسه فى أى مبحث من مباحث الحياة من تاريخ، وثقافة، وفن، وعلم، وغير ذلك؛ فظل العالم متأثرا بهذه النظرية

طيلة قرن من الزمان فى كافة المجالات - رغم أنها لم تكن جديدة فى فكرتها.. فقدماء الفلاسفة الاغريق، والمسلمين قد تحدثوا عنها من قبل- فمالت هذه النظرية بكل بحث فى مجال من المجالات بنتائج فى غير مجراها التى ينبغى أن تؤول اليه؛ حيث أصبحت تبتعد كثيرا عما سبقها من مقدمات.. فوقع من أخذوا بها بسبب، وبغير سبب فى أخطاء تعانى منها الحضارة، والعلم حتى الآن؛ فوضعت عبئا على المتأخرين فى تصحيح أخطاء المتقدمين، كما نفعل الآن..

فاذا طالعنا القرآن الكريم أوثق، وأصدق الكتب السماوية نجده قد اشتمل على الدين، وأصل الدين، فهو الوحيد المخول له التحدث فى هذا الأمر دون أى كتاب آخر، وبما أن منزل هذا الكتاب هو الخالق نفسه فهو المنوط به فقط التحدث عن البدايات أيضا دون غيره، بحيث لو تحدث غيره فى هذا فهو لاشك مدعى بما لاعلم له، وينبغى ألا يسمع له أحد ذو عقل، وبصيرة، وقد عرفهم القرآن منذ كان فى اللوح المحفوظ، وسماهم المضلين اذ يقول:

"-ماأشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا" الكهف 51..

ويقول:

"-وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار" ص 27..

"-وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين(38) ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون("(39الدخان..

ويتحدث القرآن عن ماقبل النشأة الأولى للانسان:

"-واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة" البقرة 30..

"-ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون" الروم 20 ..

"-اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون" الحجر 28

"-اذ قال للملائكة انى خالق بشرا من طين" ص 71..

"-هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا "الانسان 1 ..

"-وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" مريم 9 ..

ولأنه تعالى سواه بيديه، فهو أيضا علمه بنفسه:

"-وعلم آدم الأسماء كلها "البقرة 31..

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3) علمه البيان(4)" الرحمن..

بمعنى أنه لم يكن علما مرسلا، بل كان علما بالقرآن، والمنهج؛ وهو أن يقرأ، ويتعلم بالقلم بشرط :

"-اقرأ باسم ربك الذى خلق(1) خلق الانسان من علق(2) واقرأ وربك الأكرم(3) الذى علم بالقلم(4) علم الانسان مالم يعلم(5)" العلق..

وقد توج تعالى مخلوقاته بالانسان، فجاء على رأس الخلائق..فأسجد له ملائكته.. وجعل منهم حفظة عليه، وسخر له مافى السموات، والأرض، ولكن كان من الخلق ماأوغر قلبه كل ذلك..لم كل هذا؟!.. لهذا المخلوق الضعيف؟!.. لهذا التراب الوضيع؟!..انه كبير شياطين الجنابليس..الذى ضحى بمكانته بين ملائكة السماء فقط من أجل أن يكيد فقط لهذا المخلوق، فبدأ المخلوق الجديد على هذا الكون يعانى الأمرين من هذا الشيطان الذى تفرغ له:

-"واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين(34) وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(35) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين(36)" البقرة..

وتكشف سورة الأعراف هذه الصورة، وتشرح الموقف بتفصيل أكثر.. حيث يبرر ابليس عصيان الأمر بالسجود بمقارنة مادة خلقه بمادة خلق آدم.. فى أول بادرة يبدو فيها غباء الكفر؛ فلا هو، ولا آدم اختار مادته لتظهر وجاهة المقارنة.. ثم لايكتفى باظهار هذا القدر من الغباء.. فتفوح أحقاده، ويظهر غله، معلنا

الحرب عليه، ومتوعدا اياه فى وجوده، وحضرة رب العالمين دون خجل؛ أو حياء، ولايحتاج الأمر لكل هذا الا أن تكون نفسا قد اكتنزت الشر، والعدوان:

"-قال مامنعك أن تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين(12) قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين(13) قال انظرنى الى يوم يبعثون(14) قال انك من المنظرين(15) قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم(16) ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين(17) قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين(18 .."(

وتورد سورة الاسراء جانبا من السخرية، وهذا الحقد الأسود الذى يكنه هذا المخلوق:

"-قال أأسجد لما خلقت طينا(61) قال أرءيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى الى يوم القيامة لآحتنكن ذريته الا قليلا(62.."(

ومن هنا أصبح لآدم، وبنيه شريكا بينه، وبين ربه، يفسد العلاقة الخالصة، ويقطع الطريق الموصل بينهما بلا هوادة، أو مهادنة، وقد اتخذ لنفسه منهجا يضل به الانسان، ويجعله زاهلا عن ربه، وخالقه؛ وهذا المنهج المبتكر هو الشرك، فقد يعبد الانسان ربه وهو مشرك، وقد يخلط عملا لوجه الله وهو يبغى منه مصلحة لنفسه، أو لمن يحب فيقع فى دائرة الشرك الخبيثة التى يزينها له الشيطان بكافة الحيل، والمبررات، وصدق الله عندما يقول فى ذلك:

"-وماأكثر الناس لو حرصت بمؤمنين" يوسف 103..

-"ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106..

كما يقول صلى الله عليه وسلم:

>>-لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ..<<

وكالعادة تلقي فرويد الشعلة مسرعا لينشر نفس أفكار برستيد في كتابه "موسي والتوحيد" سنة 1937 الذى عقد فيه مقارنة بين عقائد أخناتون، والعقائد العبرية، وانتهي في مقابلاته، وفروضه إلي تقرير رأيه المرجح لديه.. وهو أن موسي

عليه السلام تربي في مصر في كنف الوحدانية، ونشأ في أعقاب المعركة بين آتون، وآمون، واستعد للنبوة في هذه البيئة الموحدة فعلم بني إسرائيل كيف يوحدون الله، ويعظمون صفاته وآلاءه، وكان خروج بني إسرائيل - في رأيه – فيما بين القرن الثالث عشر، الرابع عشر قبل الميلاد ، أي في الجيل التالي لانتشار التوحيد بالبلاد المصرية، واسترسل فرويد في تقديراته – وهو من بني إسرائيل – حتي ظن أن موسي عليه السلام من دم مصري ، وآيس من اللاويين كما جاء في التوراة..

وكتاب فرويد "موسي والتوحيد" الذى أردفه بهذه العبارة "اليهودية في ضوء التحليل النفسي" والذي ترجمه الدكتور عبد المنعم الحفني فيعلق علي هذه العبارة بأن سبب ترجمته لهذا الكتاب أنه أبعد شئ عن تناول موسي، والبحث في التوحيد، وأقرب إلي الدعاية اليهودية، والترويج لعظمة اليهود، وعبقرية شعبهم، وشموخ معتقداتهم، كل هذا باستخدام وسائل التحليل النفسي، ومصطلحاته لتبريره، وتعزيزه، بحيث نستطيع أن نعطي الكتاب عنوان "التحليل النفسي في خدمة القضية اليهودية".. وهذا الكتاب هو عطاء فرويد الواعي للقضية الصهيونية، ولقد استخدم منهجا، وتكتيكا يعد أرقي المناهج، والتكتيكات للوصول إلي هذا الغرض، عن طريق لوي الحقائق التاريخية، والسير بها إلي نتائج يهودية محضة، وحتي اسم الكتاب نفسه اسما عالميا.. فموسي، ورسالة التوحيد مسألتان تهمان المسيحي، والمسلم.. ناهيك عن اليهودي، لكن المحتوي كان دعاية محضة لليهودية..

ويستطرد فرويد فى الكتاب ذاكرا التشابه بين ديانة اخناتون، والديانة الموسوية، ويعدد هذا التشابه في ظواهر الختان، وتحريم التماثيل ، والصور، وأكل لحم الخنزير وأهم من ذلك كله التوحيد ..

وكما ذكرنا من قبل سبب اعراضنا عن مناقشة الكتاب لعدم استناده إلي دلائل علمية موثقة تبعد بها عن الدعاية ، والطبل ، والزمر مما يسلبه صفة الحيادية العلمية، ولأن الكتاب وسيلة ردئية لتطبيق مناهج علم النفس، كما يهدف إلي القصد العنصري، والسبة التاريخية، لأنه اهانة للتاريخ، وقواعده، ثم هو كشف لعالم كثر الحديث عنه- وفي مصر بالذات- بين المثقفين، وفي أبهاء الجامعات العربية.. خاصة وأنه سبق أن طلب المعهد العلمي اليهودي في لندن من فرويد عدم نشر الكتاب لأنه سيفضح النوايا اليهودية الصهيونية، ولكنه رفض..

ويدرك المترجم الذي عشق التحليل النفسي يوما علي معني الظواهر المتعاقبة التي منها مثلا أن الغالبية العظمي من المشتغلين بالتحليل النفسي من اليهود، وأن دور النشر التي تنشر لهم، وتروج لأفكارهم يهودية تملأ أوروبا، وأمريكا علي وجه الخصوص، وأن المحللين، والمشتغلين بعلوم النفس يهود، فهناك أسماء: فرويد، وابراهام، وآدلر، وستكل، وفيريتزي، وربكلين، وبلولر، وفوريل، وأسياجيولي، وكرابيلين، وإيتنجتون، وجانيه، ورانك، وساخس، ولا نجد إلا عدداً قليلاً لا تحصيه أصابع اليد الواحدة من العلماء المسيحيين ..

ويعقب الاستاذ السحار بقوله:

"-وقد رأي المنكرون للرسالات من رجال هذا العصر في قول بريستيد، وويجال، وفرويد ما يؤيد إلحادهم، وأطمأنوا إلي هذه الاستنتاجات كأنما كانت حقيقة لا يأتيها الباطل من أمامها، ولا من خلفها .."

وماأصبحنا ندركه من ثوابت هذا الدين، والأديان عموما أنها ماهى الا أصداء حرفت، أو بادت أصولها، وانمحت، فأصبحت أساطير، وأحاديث يتداولها العامة.. ليستغلها الكهنة فيحولوها لصالحهم، وصالح الطبقة الحاكمة مستغلين أن الناس مفطورون على التدين، فيستزفوهم باسم الدين.. دين الدولة، ودين الملك.. فأقاموا المعابد لهذا الغرض، وفرضوا لها الأوقاف من زراعة، وصناعة، وتجارة مما احتاج الى خزائن للمال، والمكوس، ومخازن للغلال، والخمور، والزيوت، وحظائر للماشية، كما أقاموا المذابح بجوار هيكل المدعو بالاله لكى يحصلوا على اللحوم جاهزة لغذائهم اليومى، والتى تقدم باسم القرابين للاله، وربما حصل الملك على شيء منها ..

وقد حرص القرآن الكريم على ذكر أشهر هذه الآلهة بالاسم.. فذكر تعالى: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، واللات، والعزى، ومناة، وبعل، واليم عند التحدث عن البحر - خاصة المحدود المساحة - منه، وقد كان اليم الها للبحار لدى الكنعانيين، وكثيرا ماأطلقوا عدة ألقاب على الاله الكبير عند تعدد الآلهة مثل: أبو الآلهة، ملك السماء والأرض، ملك كل الأراضى، رب الأرباب، أبو البشر، خالق

الكون، الملك، الحكيم، الحاكم المطلق، الرب الحامى، واهب الأرزاق والحبوب، حتى أن "حدد" اله الآراميين الذين استوطنوا الأجزاء الوسطى، والشمالية من بلاد الشام يعنى اسمه فى الآرامية القديمة الواحد الأحد.. وهو مانشتم منه أصداء أسماء لله وصفات له تعالى عن طريق أديان نزلت عليهم من السماء بواسطة أنبياء ماتوا، واندثر دينهم، وانطمرت آثارهم التى تحول بعضها الى أساطير، وحكايات يتداولها الناس، ويغذيها الكهنة بخيالاتهم لمصالحهم الشخصية ..

وقد تنافس كل من الملك، والكهنة فى الاستحواذ على القوة، والنفوذ، فيقوى نفوذ الملك عند الحروب، والغزوات فيتحكم فى مصير الكهنة، والشعب - باسم اله الدولة - ويقوى نفوذ الكهنة أيام السلم، والرخاء – باسم اله الدولة أيضا - فيتحكمون فى مصير الملك، والشعب، ومن هنا فالشعب ضحية الاثنين معا فى أى وقت – باسم اله الدولة - فتتلاقى مصالحهم دائما للتحكم فيه واستغلاله، وصدهم عن أى نبى - وهو ما كان يحدث باستمرار فى هذه الدائرة من أرض الدول، والحضارات لوقوعها فى ملتقى القارات، وطرق التجارة العالمية – يظهر ليدعوا إلى الإسلام لله، وتحرير الناس من العبودية والإستغلال، وإعادة توزيع الثروة بالعدل الإلهى دون إستئثار الكهنة، والطبقة الحاكمة.. وكثيرا مانجد فى آثار هذه المنطقة صورا، ونقوشا تمثل الملك وهو يتلقى الوحى من الإله(إله الدولة)، وهو ما أخذوه من سير الأنبياء الذين بعثوا فيهم تباعا، وقد كان هذا الادعاء الالهى لاقرار شرعية الملك، وأحقيته بالعرش..

وقد تفنن الكهنة فى التزلف للملك، وإخضاع الشعب له بكافة الصور، فادعوا أن الملك إبنا للإله، وفى سبيل هذا الزعم كان لابد أن تكون السيدة المبجلة أم الملك عشيقة للإله الذى عادة مايضاجعها من أجل أن يكون للإله أبنا على عرش البلاد دون النظر لأبيه الأصلى سوى أحقية ابنه بوراثه العرش فقط.. فزعم الكهنة أن هذا الملك، أو ذاك من الملوك ابن الشمس، أو ابن أوزوريس لايفهم منه أنهم ينكرون أبوته الجسدية المسجلة بالميراث، والتى بحقها يجلس على عرش أبيه، ومن هنا نشأ التثليث الذى أخذ به النصارى بعد ذلك.. ثم تلى هؤلاء ملوكا ادعوا الألوهية.. وفرضوا هذه الأولوهية البشرية على الناس..فنشط الكهنة يعززون الملك الإله بين الناس فعاثوا فى الأرض الفساد باسم الملك الاله؛ وتعززت سلتطهم

حتى اقتسموها مع الملوك الشرعيين فى بادئ الأمر..ثم استحوذوا عليها نهائيا بعد ذلك(كما حدث فى مصر القديمة)..وقد نشأ عن هذا الترويج للأصنام، والتماثيل، وعبادتها، و برع الكهنة – فى تعزيز هذه العبادات بين الناس - من كتابة للتعاويذ، والطلاسم، والقيام بأعمال السحر، والشعوذة، وادعاء القدرة على طرد الأرواح الشريرة..ثم ترك الكهنة هذه الأعمال لطائفة من المتخصصين لينفردوا هم بالكهانة، والقيام بخدمة المعابد ذات الثروة،ومرافقة الملك،وحاشيته..وتركوا هؤلاء المتخصصين من السحرة وغيرهم للتعامل مع العامة فى حياتهم اليومية، وشئونها من معاش، وزواج، وولادة، وموت، وغيرها، ثم أفرد الكهنة آلهة تختص بهذه الشئون دون الاله الأكبر، وهو مأخوذ أيضا عن الوحى فى اضطلاع الملائكة بشئون الناس من ولادة، وموت، وخلافه..

فالعقل الذى عرف أن الله يخلق بكلمة، ولايخلق بجهد من جهود الحركة المادية قد استعار هذه الفكرة السامية من شيء رآه؛ لا من شيء بحثه، واستقصاه، وأقرب الأشياء هى قدرة الساحر على التأثير بكلمة للسيطرة على الأجسام، والله أقدر من الساحر.. فاذا قدر الساحر أن يحرك الصخور بكلمة، فأولى بالخالق الأعظم أن يملك هذه القوة، ويملك ماهو أعظم منها وأدل على المضاء، ونفاذ المشيئة.. فلا جرم يشاء فيكون مايشاء..ومن هنا أجمع كل المنكرين للرسالات، وماجاء به الأنبياء على أن مايأتون به ما هو الا السحر ..

ولم توضع شرائع، ولاقوانين إلا وقد أخذت عن الشرائع السماوية التى اندثرت بفعل المقاومة، والتكذيب بما نزل مع الأنبياء قبل شريعة "أورنمو" صاحب أقدم هذه الشرائع حوالى 3000 ق.م.، و"نيبور" صاحب ثانى شريعة وضعية – كما يدعى أصحابها - مدونة حوالى 2900 ق.م..وأحدثها شريعة "حمورابى"(1728-1686 ق.م..(

والحضارة البابلية من أقدم الحضارات المروية فى التواريخ.. فكما جعل المؤرخون حضارة "سكان البدارى" فى صعيد مصر هى بوادر حضارة وادى النيل العريقة، وضعوا "الحضارة الشمرية" كمقدمة للحضارة البابلية، ولم تتجاوز الحضارة البابلية فى الدين رسالة الديانة الشمسية السلفية، وكانت من ثم ذات نصيب فى الشريعة، وقوانين الاجتماع أوفى من نصيبها فى تطوير العقيدة الواحدانية على التخصيص..

فالغزوات التى تروى عن الأرباب الأقدمين هى غزوات أبطال من الأسلاف الذين برزوا بملامح الآلهة بعد أن غابت عن الأذهان ملامحهم الانسانية، ثم تلبست سيرتهم بظواهر الكون العليا.. فسكنوا فى مساكن الأفلاك، وحملت الأفلاك أسماءهم، ولاتزال.. "فمردوخ" اله الحرب هو كوكب المريخ.. الخ، ولم يؤثر عنهم ايمان بعالم آخر، أو بيوم للحساب، والجزاء ..

أما قصة الخلق عندهم فهى مناسبة لموقع البلاد البابلية، واشتغال أهلها القديم برصد الكواكب، ومراقبة الأنواء، وتدل القصة عندهم على أنها مأثورات قوم عريقين فى سكنى البلاد، ويرجح ذلك على التخصيص ذكر الطوفان المفصل فى بعض القصص البابلية؛ لأن الباحثين فى الآثار يعتبرون أن الطوفان قد غمر مابين النهرين الى الشمال، وأن الجبل التى استقرت عليه سفينة نوح هو الجبل المعروف اليوم باسم "أرارات"، ولم تشمل قصص الطوفان فى البلاد الأخرى تفاصيل عن هذا الحدث كما فى قصص بابل، فربما نقلت باختصار الى هذه البلاد ..

وكان البابليون يؤمنون بأن الانسان تمر على قسمة الموت، وطمح فى خلود كخلود الأرباب.. فبحث عن ثمرة البقاء فى السماء، وخدعه اله ماكر عن بغيته.. فناوله بديلا عنها ثمرة تشبهها فى ظاهرها، ولكنها ثمرة الفناء، وهى ثمرة الحب التى تعطى الفناء فى صورة البقاء.. ولعلها تحريف لقصة الشجرة التى نهى الله آدم أن يتناولها هو، وزوجه فى الجنة:

"-وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" البقرة ..

وقد ذكر الدكتور جمال عبد الهادى، والدكتورة وفاء محمد نصوصا باللغة المسماوية القديمة تؤكد أثر الأديان المترلة فى حياة أهل الرافدين(العراق) على الرغم من كفرهم، وتكذيبهم بالأنبياء، والرسل:

نماذج للأحكام العادلة	الفترة
منع الرشوة، وعزل الموظفين المشبوهين، رعاية	*عصر الأسر السومرية

الأرامل واليتامى، وحماية الفقراء من الأغنياء..	
ضرورة دفع الدية عن الجروح التى لاتؤدى إلى الوفاة، محاولة توحيد المكاييل والموازيين..	*عصر احياء الدولة السومرية
تحديد عقوبات الجرائم والأضرار التى تلحق بالغير فجعلت القتل عقابا للقاتل ..	*عصر الاحياء السومرى
من حق العبد أن يحرر نفسه إذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به ..	*عصر الاحياء السومرى الثانى
تجريم شهادة الزور، والإعتداء على ملكية الغير، والمسائل التجارية، وشئون الأسرة والزواج .. إلخ ...	*عصر دولة بابل الأولى (قانون حمورابى)
الإعدام عقوبة الإشتغال بالسحر، للزوج ولاية كاملة على زوجته، خروج الحرائر محجبات ..	*العصر الآشورى الوسيط

وقد إكتشفت البعثة الألمانية بين عامى 1903، 1914م مجموعة لوحات خزفية من العصر الآشورى تناولت السرقات، والرهونات، وخيانة الأمانة، والرشوة، والتنظيم العائلى من حيث الزواج، والطلاق، والميراث..

وقد ترسب الإعتقاد كما أسلفنا فى البعث، والخلود، والحساب بعد الموت بما يعرف بمحاكمة الموتى فى حياة المصريين حتى أصبح من رسميات الدولة، ولما إختفى إدريس عليه السلام عندما رفع إلى السماء:

"-ورفعناه مكانا عليا" مريم 57 ..

تحدثت الأسطورة أيضا عن اختفاء أوزوريس، وتفرق أشلاؤه فى البلاد.. فجعلوه إلها للموتى فى العالم الآخر يتابع محاكمة الموتى محكوما بالصدق، والعدالة من إلهة تدعى "معات .." Maat وهو النبى الذى وصفه القرآن:

"-إنه كان صديقا نبيا" مريم 56..

وأوزوريس جد قديم فى مصر الوسطى، وقصته قصة انسان عاش عيشة الآدميين فى زمن من الأزمان، وهو اسم من أسماء الشمس فى مغربها، أو جهة الغرب التى اعتقدوا أنها هى عالم الأموات، وكالحضارات القديمة التى عمت الأقطار الشرقية فى مصر، وبابل، وفارس، والهند منذ ثمانية آلاف سنة، أو تزيد كلها عبدت الشمس، وميزتها بالعبادة فى طور من الأطوار، فالشمس هى أوزوريس، وخبرا، ورع، وآمون، وآتون، ولكن اختلفت الأسماء لاختلاف الكهانات، والأقاليم، وسبقتها عبادة القمر فى قبائل شتى ربطت بينه وبين الحيض، والولادة لانتظام الحيض فى مواعيد قمرية، وسهولة هذه الملاحظة من غير حاجة الى علم الفلك، والحساب، يقول هيرودوت:

"-ان الاغريق تعلموا أمور الدين من المصريين".. ويقول السير اليوت سميث:

"-ان شعائر الهند القديمة فى الجنائز نسخة محكية من كتاب الموتى.."

وكلمة "ايل" بالآرامية مرادفة لمعنى "القوى"، أو "البطل"، ثم أصبحت كلمة "الايل" المعرفة مرادفة لبطل الأبطال، أو البطولة المطلقة ..

و يسجل د. البدراوى 5 نقاط يتلمس فيهم أثر الدين، والرسل فى أقدم ديانة معروفة وهى ديانة قدماء المصريين والتى تعتبر نسيج حضارى تميزت به حضارتهم فيقول عنها :

-من الصعب تصور أنها نبعت ذاتيا بتفكير الكهنة، أو وصول العقل البشرى إليها من تلقاء نفسه- خاصة فى هذا الوقت المبكر - ولو كان كذلك لوصل إليها، أو إلى ما يشابهها كهنة العراق.. ولو فى وقت متأخر.. وهو مالم يحدث مما يرجح أن هذه النقاط هى بقايا تعاليم سماوية أنزلت على نبى أوحى إليه من السماء، ولم يكن سوى النبى إدريس عليه السلام .. هذه النقاط هى:

1 -نظرية الخلق..

2 -القدر..

3 -خلق الإنسان من طين..

4 -الروح والقرين والوفاة والبعث..

5 -يوم الحساب..

-1 نظرية الخلق

من فلسفة الأشمونيين الآهوتية.. "الواحد القديم".. فهو المبدأ الأول :

-"ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" الزمر 38 ..

-"وكان عرشه على الماء" هود 7..

أما لاهوت هليوبوليس فيقول بأن الإله قد بدأ وجوده الذاتى من فوق قمة تل أزلى انبثق بدوره من الماء الأزلى.. وله ثلاث صفات:

-1 الموجود بذاته، أو أتى للوجود بنفسه..

-2 الأقدم، أو الأزل.

-3 الأوحد - المنفرد بذاته- دين الجميع.

ونظريات الخلق التى تحكى عنها الأساطير ما هى إلا ومضات تشير إلى بقايا سماوية إندثرت، ولبسها الشيطان بمحسوسات، وتجسيدات مادية..

-2 القدر

قدر الإنسان ومصيره عند مولده رديئا، أو طيبا يقع بين يدى الإله ..

-3 خلق الإنسان من طين

فالإله خنوم يخلق البشر حيث يقوم بعمل الفخارى فيجلس إلى دولابه، ويشكل الطفل وقرينه..

-"خلق الإنسان من صلصال كالفخار" الرحمن 14..

-4 الروح والقرين والوفاة والبعث

ال "كا" وهى القرين الذى يشبه الإنسان تماما إلا أنها لاترى، وإلى جانب ذلك ال" با" التى تخيلوها عادة كأنها طائر له وجه إنسان..

والصالحون من عامة الشعب يهنئون إلى "مقر الأبرار" التى هى مجموعة من الجزر تحيط بها المياه، وفيها الطعام الوفير، وأزكى منه حقل بارد ..

"-إن الأبرار لفى نعيم" الإنفطار 13..

جاء فى القرآن الكريم عن القرين:

-"قال قائل منهم إنى كان لى قرين" الصافات ..51

-"ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين" الزخرف ..26

-"ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" النساء ..38

-"وقال قرينه هذا مالدى عتيد" ق ..23

-"قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد" ق ..37

وفى الحديث:

> مامن أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ..<

وعن الروح:

"-ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى" الاسراء 85 ..

وعن القبر:

"-ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون" المؤمنون 10..

-5يوم الحساب

آمن المصريون بالبعث ، وحساب المرء على أعماله أمام محكمة الموت :

-"ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا" الكهف 49. .

ويقول أحد الحكماء عن هذه المحاكمة :

"لاتظن أن هناك أمدا طويلا إلى أن تحين المحاكمة ، وأنه حتى ذلك الوقت سينسى كل شئ فإنهم – القضاه – ينظرون إلى أن الحياة كأنها ساعة .."

"- ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة" الروم ..55

-"كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار" الأحقاف ..35

obeikandl.com

وينصب الميزان العظيم فيوضع فيه قلب الميت مقابل علاقة الحق ، ولم تأت ديانة أخرى بهذا الميزان إذ لابد أنهم أخذوه من تعاليم النبى إدريس عليه السلام مثلما جاء فى القرآن :

-"ونضع الموازين القسط ليوم القيامة" الأنبياء 47

-"والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (8) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم(9)" الأعراف..

-"فأما من ثقلت موازينه(9) فهو فى عيشة راضية (10) وأما من خفت موازينه فلأمه هاوية (11)" القارعة..

إن الأتقياء(الذين يعبدون أوزوريس) لايذهبون أمواتا بل أحياء.. حياة حقيقية جديدة يحرزون فيها أجسادهم، وأرواحهم ، فلهم قلوبهم ، وأزواجهم..

-"ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" آل عمران 169 ..

-"والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم" الطور 21 ..

-"أنتم وأزواجكم تحبرون" الزخرف 70 ..

-"هم وأزواجهم فى ظلال على الآرائك ينظرون" يس 56..

وردت هذه العقائد فى كتاب الموت بما يسمى "متون الأهرام" التى بنيت فى عصر الأسرة الرابعة ، وهى عقائد أقدم من وقت كتابتها التى ترجع إلى عصر ماقبل الأسرات، وهو عصر تواجد النبى إدريس عليه السلام..

ولعل ذلك يرد على من قالوا بأن العقائد من إبتكار قدماء المصريين، بمعنى أنهم يقولون أن الدين أيضا إختراعا بشريا..

ثم نتتبع أديان العالم القديم، وأثار الوحى فيها:

فارس:

الفرس الأقدمون من السلالة الهندية الجرمانية، وموقع بلادهم قريب من دولة بابل، قريب من اقليم الطورانيين، وتقدم الفكرة الالهية على يد "زرادشت" صاحب الشريعة القومية فى بلاد فارس، وأرفعهم شأنا بين دعاة المجوسية..

ولم يكن اليهود يتكلمون عن "الشيطان" قبل السبى، أو قبل الاقامة فيما بين النهرين.. فتكلموا عنه بعد أن شبهوه "بأهرمن" الذى يمثل الشر، والفساد عند المجوس، وفى الكتب المسيحية أن حكماء المجوس شهدوا مولد المسيح، وعلموا بنبئه، فاهتدوا اليه بنجم من السماء..

تنسب "الزرادشتية" إلى زرادشت(674 – 551 ق.م) المفكر الدينى الذى ظهر فى فارس، ويعنى اسمه ذو المقطعين "معاكس الجمل"، وخلاصة ماجاء به أنه أنكر الوثنية، وجعل الخير المحض من صفات الله، ونزل باله الشر الى مادون منزلة المساواة بينه، وبين الاله الأعلى، وبشر بالثواب، وأنذر بالعقاب، وقال بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد، وحاول جهده أن يقصر الربانية على اله واحد موصوف بأرفع مايفهمه أبناء زمانه من صفات التنزيه، وتولى عقائد المجوس بالتطهير، وحملها على محمل جديد من التفسير، والتعبير.. وقد حرم عبادة الأصنام، والأوثان، وقدس النار على أنها أصفى، وأطهر العناصر المخلوقة.. لا على أنها هى الخلاق المعبود..

والزرادشتية عبادة بدأت توحيدية باسم(أهورا مازدا) ذاتا روحانية خالصة مجردة من شوائب المادة لاتدركها الأبصار، ولايحيط بكنهها العقول، ثم دخلت هذه العقيدة فى رمزين ماديين محسين يشتملان على مظاهر(أهورا مازدا) على وجه التقريب، والتمثيل أحدهما سماوى وهو الشمس، والآخر أرضى وهو النار، وكلاهما عنصر متلألئ مضئ طاهر مطهر لايتطرق إليه الخبث، ولا الفساد، وتتوقف عليه حياة الكائنات، وهى صفات تشبه طائفة من صفات الخالق نفسه، وترمز إليه..

قال زرادشت بأن خالق النور والظلمة، هو واحد لاشريك له، ولاضد ولاند، ولكن الزرداشتية تركت ذلك وأصبحت ترى العالم كحلبه صراع بين إله الخير، والنور(أهورا مازاد) وإله الشر، والظلام(أهرمن) وإنتصار(أهورا مازاد) فى النهاية أمر أكيد..

وقد أدرج الشهر ستانى الزرادشتية كمذهب من مذاهب المجوس عامة.. وهو الدين الأكبر، وكانت لهم شبهة كتاب عبارة عن "صحف" تحتوى على مناهج علمية، ومسالك عملية.. وهى التى ذكرتها سورة الأعلى بإيجاز فى القرآن الكريم:

"-قد أفلح من تزكى(14) وذكر اسم ربه فصلى(15) بل تؤثرون الحياة الدنيا(16) والآخرة خير وأبقى(17) إن هذا لفى الصحف الأولى(18) صحف أبراهيم وموسى(19..")

وهو يذكرها من الفرق التى نشأت بعد إبراهيم عليه السلام :

- المجوس..
- الصابئة..
- الحنيفية..

ويرجح أنها تفرعت كلها عن "الحنيفية" كتحريف لها، خاصة أن الله تعالى ذكرهم الثلاثة فى القرآن الذى نفهم منه أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما يعنى جاء بالحنيفية الاسلامية.. ثم جاء المجوس بعده موحدين فى أول الأمر.. ثم إختلفوا، وكان تبديل الحنيفية الإسلامية "بالمجوسية" ثم "الزرادشتية" وغيرها من أسباب الإختلاف على نبيهم إبراهيم عليه السلام كما فعل اليهود، والنصارى – كما ذكرنا – وبدلوا الإسلام باليهودية، والنصرانية، وكذلك فعل "الصابئة" فبدءوا أيضا بالتوحيد فى أول الأمر على طريقة الحنيفية الإسلامية.. ثم إختلفوا، وسموا أنفسهم بالصابئة،

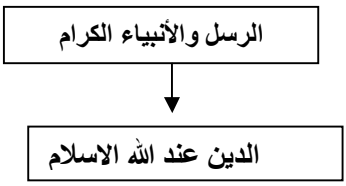

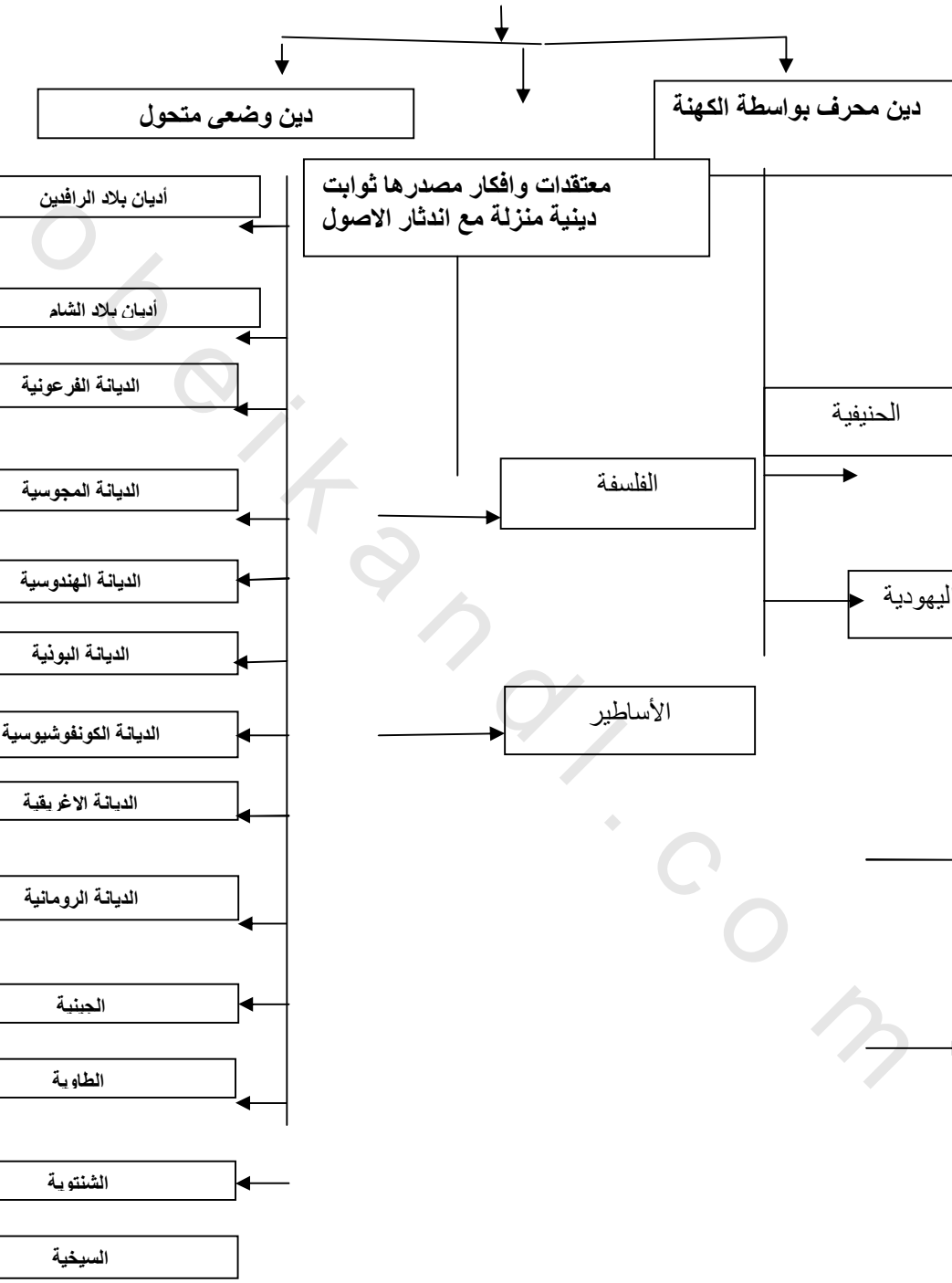

obeikandl.com

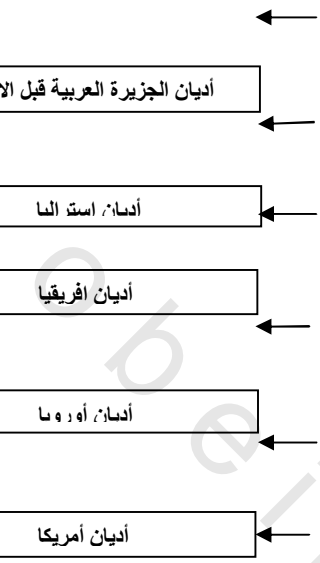

رسم تخطيطي يوضح مصير الدين(الاسلام) وعلاقته بالصور التي أدخلتها الكهانة

لتهميش دور الدين الحقيقى في حياة العامة وتحويله لخدمة طبقتي الكهنة والحكام (طبقة المصالح) باسم الدين

وقد ذكر تعالى فى القرآن الكريم كل هذه المذاهب التى إنشعبت عن الحنيفية المسلمة وقد كانوا أول الأمر مسلمين مؤمنين موحدين وهم: "اليهود"- "النصارى" – "الصابئة" – "المجوس:"

"-ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد" الحج 17..

ونلحظ بداية الآية الكريمة بالايمان، وانتهائها بالشرك ..

وهم يدعون أن المبدأ الأول من الأشخاص هو "كيومرث"، أو "زروان" الكبير.. و"الكيومرثية" يقولون أنه "آدم عليه السلام" ومعناه: "الحى الناطق.."

ولهذا فقد تفرع عن المجوسية :

1- الكيومرثية..

2- الزروانية..

3- الزرادشتية..

وظهرت "المانوية" على يد "مانى" فى القرن الثالث الميلادى، وقد امتزجت فيها الزرادشتية بالنصرانية، ورهبانيتها المغالى فيها؛ فمنعت الزواج ليمتنع نسل الانسان الذى اعتبروا وجوده لعنة فى الأرض؛ فعدم التزاوج يمنع هذه اللعنة..

ثم ظهرت "المزدكية" فى القرن الخامس الميلادى على يد "مزدك" الذى كان يهدف الى اصلاح مذهب مانى من حيث امتزاج النور بالظلمة لتنشأ الدنيا عنهما صدفة، وقد أشاع مذهبه النساء للرجال بلا زواج، أو ارتباط، أو نسب، أو انتساب للأطفال، والمال للجميع بلا ملكية، ولانظام ..

وقد أخذ أبناء الديانة المجوسية بعقيدة التوحيد بعد احتكاكهم بالمسلمين، وأصبح المجوس الذين يسمون اليوم "بالبارسيين" يؤمنون باله واحد.. هو اله الخير "يزدان"، ولايشركون معه "أهرمن"؛ كما فعل أسلافهم الأقدمون..

الهند:

ترجع الديانة الهندية القديمة الى أزمنة أقدم من العصر الذى دونت فيه أسفارها المعروفة "بالكتب الفيدية".. وهى مزيج من شعائر الهنود الأصلاء، وشعائر القبائل الآرية التى أغارت على الهند قبل الميلاد بعدة قرون، وقد كانت هذه القبائل تقيم فى البقاع الوسطى بين الهند، ووادى النهرين، ويعتقد بعض المؤرخين أن الديانة الهندية لاتخلو من قبس منقول اليها من البابلية، والمصرية.. فلم تكن فى موقعهم ذلك حضارة سابقة لحضارة مصر، وبابل، وآشور، فلا خلاف أن تاريخ الأسر المصرية أسبق من تاريخ الكتب الفيدية، وأسبق من كل حضارة عرفها التاريخ للآريين..

وأقدم معانى الاله عندهم "المعطى"، أو "ديفا "Deva بلغتهم التى بقيت آثار منها فى اليونانية، واللاتينية، وبعض اللغات الأوروبية الحديثة.. فكلمة "ديو "Dieuالفرنسية، وكلمة "ديتى "Deity الانجليزية، وكلمة "زيوس" اليونانية القديمة مأخوذة من أصلها الهندى المتقدم..

وتعززت فى الهند عبادة "الطواطم" بعقيدتهم فى وحدة الوجود، وتناسخ الأرواح.. كما تعززت بعقيدة الحلول، وانقسموا فى شرح سبيل الخلاص على نهجهم الذى لانستغربه من قوم يعظمون الحيوان.. ذلك التعظيم مثل السبيل القردية، والسبيل القطية..

ثم ظهرت "البوذية" فى القرن السادس ق.م بالهند متأثرة بالصبغة الهندوسية، فتبنت نفس مخاوفها من أن الحياة مصدر الآلام..

ويسرى القضاء على الآلهة كما يسرى على البشر، وحكمه الذى لامرد له هو حكم التغيير الدائم، والفناء، وحكم الاعادة، والابداء بواسطة القانون الأبدى **Karma**، وعلى هذه القاعدة قامت البوذية التى بشر بها "البوذا جوتاما" قبل الميلاد المسيحى بحوالى خمسة قرون، وقبل جوتاما آمن "البرهميون" "بالدورة" فى وجود الكون، و"الدورة" فى وجود الانسان، وقد تميزت البوذية بتبسيط العقائد لطبقات الشعب، غير طبقات الكهان، وعرض الآراء على غير المستأثرين بها قديما من سدنة الهيكل، والمحراب..

وينبه الأستاذ العقاد الى مغالاة الشراح الأوروبيين بهذه الفلسفة البوذية؛ حيث يتعصبون لكل ماهو منسوب الى الآرية على اعتباره عنصر الأوروبيين الأقدمين، والمعاصرين، فقد رفعوها فوق قدرها، وزعموا أنها "جرأة العقل الكبرى" فى مواجهة المشكلة الكونية، ولكنها لاتحسب من الجرأة العقلية، فالبوذية كلها تململا من وطأة الحس، والجسد، وسعادتها الكبرى ماهى الا ضيقا بالحس، وهربا الى الفناء، أو "اللاوعى" على أحسن تقدير، وهى فتح فى ميدان التصوف، أو الوجدانيات، والفضائل الخلقية ..

ولاتخلو الهندوسية من لمحات أديان التنزيل فهى تضم القيم الروحية، والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، ولكنهم بالغوا فى تعدد اللآلهة أكثر من أى ديانة من ديانات الكفر، وقد إختزلوا اللآلهة فى ثلاثة، أو واحد ذو ثلاثة أقانيم هم: "براهما" وهو الخالق، "فيشنو" وهو يجسد الخير، والعون للبشر، "شيفا" وهو إله الهلاك، والفناء، والدمار..

وغاية الهندوسى أن تتحد روحه بالإله براهما.. فتنسخ الروح، أو تنتقل خلال الأجساد الصالحة فتنعم فيه، أو توضع فى جسد شقى فتشقى به.. فالروح خلقت من الإله ثم ركبت فى الجسد الفانى(وهذا الاعتقاد أثر من دين سماوى).. وقد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث قبل قدماء المصريين..

ويعتقد بعض علماء المسلمين أن الهندوسية كانت دينا سماويا أنزل على نبى بالهند ولعل طول العهد بهذه الديانة قد فتح الباب لإضافات، وتعديلات أوصلته إلى صورته الحالية؛ مصداقا لقوله تعالى :

"-وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" فاطر 24..

وهو دين كباقي الأديان التي حرفت فهم يلجأون للتوحيد إذ أجمعوا علي تعظيم إله فيخاطبونه برب الأرباب..

وتتمتع البقرة عندهم بقداسة تعلو علي أي قداسة، ولها تماثيل في المعابد، والمنازل، والميادين، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية، ولاشك أنها مأخوذة عن العجل المقدس آبيس لدي قدماء المصريين..

ويعتقد الهندوس بأن آلهتهم قد حلت كذلك في انسان "كرشنا"، وقد التقي فيه الإله بالانسان، أو حل اللاهوت في الناسوت، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصاري عن السيد المسيح عليه السلام..

ثم جاءت الديانة الجينية كرد فعل لغلو الهندوسية في التمييز، والفصل العنصري الطبقي بين الناس فقد كانت الهندوسية ساحة لصراع الطبقات(أخذ عنها ماركس صراع الطبقات في الفكر الشيوعي الحديث بيد أنه ميز الطبقة العاملة "البلوريتاريا").. فأنكرت الجينية هذا لما له من ضرر علي المجتمع.. ولكن ظلت هذه الدعوة محدودة بالنسبة للهندوسية..

ومثل مايروى النصارى عن المسيح يعتقد البوذيون أيضا أن بوذا هو ابن الله، والمخلص للبشرية من آلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم، وأن تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس على العذراء "مايا"، وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء يدعونه "نجم بوذا"، وقد قال لأمه وهوطفل إنه أعظم الناس

جميعا، وقد حاول الشيطان إغواءه فلم يفلح.. ولربما دست فى التراث البوذى هذه المقولات بعد ظهور المسيحية، وربما بعد ظهور الإسلام أيضا..

ويقول عنه أتباعه أيضا أن هيئته قد تغيرت فى آخر أيامه، ونزل عليه نورا أحاط برأسه وأضاء من جسده نور عظيم، ويعتقد أتباعه أنه هو الذى سيدخلهم الجنة، وأنه لما مات صعد إلى السماء؛ ولهذا فهم يؤمنون برجعته ثانية إلى الأرض ليعيد إليها البركة والسلام..وهو مانجده فى كل من التراث النصرانى، والإسلامى(خاصة الشيعى).. وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم مثل "أوزوريس" لدى قدماء المصريين.. وقد ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة.. وربما أخذ النصارى الأوائل منهم الدعوة إلى المحبة، والتسامح، والتعامل بالحسنى، وحمل النفس على التقشف، والخشونة، والتحذير من النساء، والمال والترغيب فى البعد عن الزواج فيما يعرف بالرهبنة لدى النصارى:

"-ورهبانية إبتدعوها ماكتبناها عليهم " الحديد 27..

ظهر "المذهب السيخى" فى الهند نهاية القرن الخامس عشر الميلادى، وبداية السادس عشر بعد إنتشار الإسلام فى ربوع الهند كحركة توفيقية بين الهندوسية، والإسلام جمعت عناصر من الثقافة الهندوسية، ومن الدين الإسلامى تحت شعار"لاهندوس لامسلمون" وربما كانت دعوة للحد من إنتشار الدين الإسلامى فى الهند..

الصين:

أخذت الصين من الخارج قديما، وحديثا عقائد البوذية، والمجوسية، والاسلام، والمسيحية، ولم تعط أمة عقيدتها باستثناء اليابان التى أخذت عنها "نحلة كونفوشيوس"، وأهل الصين لايخوضون كثيرا فى مباحث ماوراء الطبيعة، ويوشك أن يكون التدين بينهم ضربا من أصول المعاملة، وأدب البيت، والحضارة.. فأشيع العبادات بينهم عبادة الأسلاف، والأبطال؛ ويمثلون بها عناصر الطبيعة، أو مطالب المعيشة، وقد يختارون فردا من أفراد الأسرة ينوب عن جده المعبود فيطعمونه، ويكسونه، ويزدلفون عليه، ويحسبون أن روح الجد هى التى تقبل هذه القرابين فى

شخص ذلك الحفيد، ولامخالفة بينهم، وبين أهل اليابان الا بافراط اليابانيون فى تأليه صاحب العرش، واعتدال أهل الصين فى تقديسه..

ولأهل الصين معلمون، ومربيون مثل "كونفوشيوس" الذى مات سنة 478 ق.م.، و"لاوتسى"، أو المعلم "لاو" الذى ولد قبله، وكلاهما يبشر بالحلم، والصبر، والبر بالوالدين، والعطف على الأقربين، والغرباء، والتحذير من العنف، والغضب، والافراط، والاسراف..

لم تواجه بنية الصين أبناءها بالعقد النفسية، ولكن بتقلبات العناصر الطبيعية التى تعودت الشعوب قديما أن تروضها بالسحر، والكهانة.. فجار نصيب الايمان بالسحر على نصيب الايمان بالدين، وذاع عن أهل الصين من ثم أنهم أقدر أمة على تسخير الطبيعة بالطلاسم، والأرصاد ..

وديانة أهل الصين تدعو إلى إحياء الطقوس، والعادات، والتقاليد الدينية المندثرة، مع إضافة بعض آراء الحكيم كونفوشيوس إليها، وهى تقوم على عبادة الإله الأعظم، وعبادة أرواح الآباء، والآحداد، وتقديس الملائكة..وقد داوم كونفوشيوس على تأدية الشعائر الدينية..ويتوجه فى عبادته إلى الإله الأعظم؛ إله السماء..يصلى صامتا؛ فالصلاة وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد..والدين فى نظره أداة لتحقيق التآلف بين الناس.. ولم ترق تعاليم كونفوشيوس لدرجة الدين، ومن ثم لم يكن لها كهنوت معروف، أوطبقة من رجال الدين.. فلم يعتبره أتباعه إلها، ولاحتى نبيا.. بل ربما كانت مجموعة من المعتقدات، والمبادئ فى الفلسفة الصينية..

تعاصرت معها الديانة الطاوية من أكبر ديانات الصين القديمة.. يؤمنون بإله أبدى لا يفنى، وجوده سابق أى وجود، وهو أصل الموجودات وروحه تجرى فيها، ويسمى "طاو"..وهو الذى إنبثقت منه جميع الموجودات، ولذا يؤمنون بوحدة الوجود إذ الخالق، والمخلوق شئ واحد(أخذ منهم بعض الصوفية فى الإسلام مذهب الحلول).. وهم يؤمنون بالقانون السماوى الأعظم الذى هو أصل الحياة، والنشاط، والحركة..

اليابان:

كان تعميم العقائد المشتركة مرتهنا بقيام الدول الواسعة مثل مصر، وبابل، والهند، والصين، وفارس، واليونان، وتضاف اليها اليابان لولا أنها فى عزلتها قد أخذت أكثر مما أعطت، وقد تخلفت من جراء هذه العزلة عن بعض الأطوار التى سبقتها اليها الأمم المتصلة بالمعاملات، والمبادلات.. فتلبثت بقايا الوثنية الى مطلع العصر الحديث ..

أما "الشنتوية" فهى ديانة إجتماعية ظهرت فى اليابان قديما، ولازالت الدين الأصيل فيها بدأت بعبادة الأرواح..ثم قوى الطبيعة مثل الشمس، وإحترام الأجداد، والزعماء، والأبطال التى أدت إلى عبادة الأمبراطور الميكادو الذى يعتبر من نسل الآلهة..

ويطلق الشنتويون لفظ "كامى" على كل إله، أوشئ يسمو فوق الإنسان كالسماء، أو السلطان، ويعنى اللفظ أيضا الفتنة، أوالمعجزات، ونظرا لافتقاد اللغة اليابانية لصيغة الجمع فقد تعنى الكلمة عدة آلهة، وهم يشيرون بهذه اللفظة الى الإله الذى تعرفه الديانات السماوية..

وعندهم الإمبراطور، والدولة هما كل شئ، ولاقيمة للفرد فى هذه الديانة بل تعد التضحية به من الأمور العظيمة.. والإهتمام بالنظافة من الأمور المقدسة، ويكرهون مايدنس الجسد، والثوب(أليست هذه من مظاهر الدين الإسلامى؟!).. وهى كديانة لاتنسب لشخص معين.. إلا أن البعض منهم يدعى أنتماءه إلى سلالة "شانغ طاو لينغ" المعلم السماوى الأول الذى ظهر أيام أسرة "هان" بالصين..

اليونان :

أما تاريخ العقيدة فى بلاد اليونان فقد حفل بجميع أنواع العقائد البدائية قبل "أرباب الأوليمب" الذين خلدوا فى أشعار "هومير"، و"هزيود".. فعبدوا الأسلاف، والطواطم، ومظاهر الطبيعة، وأعضاء التناسل، واستمدوا عبادة النيازك، وحجارة الرواسب من جزيرة "كريت"، ولما شاعت بين الاغريق عبادة أرباب الأوليمب كان الواضح أنها أرباب مستعارة من الأمم التى سبقتهم الى الحضارة، وتنظيم العبادات..

فالاله "زيوس" أكبر الأرباب هو "ديوس" فى الديانة الهندية الآرية القديمة، واسمه متداول فى العبادات الأوروبية جميعا، و"أرتيمس"، وقبلها الربة "أفروديت"،

أو "فينوس" هى "عشتار" اليمانية البابلية، ومنها كلمة "ستار" بمعنى نجم فى بعض اللغات الأوروبية..

ولم يكن "زيوس" كبير الآلهة خالقها، ولاخالق الكون بما رحب من أرض، وسماء.. ولكنه كان بينها كرب الأسرة بين الأبناء، والأحفاد، أو كالسيد المطاع بين الأعوان، والأتباع..

و"ديميتر" هى "ازيس" المصرية كما قال هيرودوت، وكان "أكسينوفون" المولود بآسيا الصغرى قبل الميلاد بنحو ستة قرون أول من نقل الى الاغريق فكرة الاله الواحد المنزه عن الأشباه.. فعرفوا الروح، وعرفوا تناسخ الأرواح، وعرفوا أطوار التطهير، والتكفير، وحين بدأوا عصر الفلسفة كان أساسها الأول ممهدا لهم فى العقائد التى أخذوها عن الديانات الآسيوية، والمصرية، وأنهم ظلوا بعد الفلسفة يدينون بالوثنية التى كانوا يدينون بها قبل الميلاد بعدة قرون ..

رغم تميز اليونان بعلو كعبهم في الفلسفة، والأدب، والفلك، وغيرها من العلوم.. فقد أنحط اليونان دينيا فتركوا عبادة الله الأحد ، وراحوا يآلهون كثيرا من الآلهه التي يمثل كل منها جانبا من جوانب الطبيعة؛ وعقيدتهم هي مجموعة من الأساطير عبارة عن معتقدات، وديانات أحتضنتها الحضارة الأغريقية علي غرار الوثنيات التي كانت منتشرة آنذاك.. ضمنوها فلسفتهم التى يمكن اعتبارها دينهم الذى عظموا فيه العقل، والجسم الانسانى، واحتوت فلسفتهم أيضا على أصداء دينية عرفوها من بلاد الشرق القريبة منهم.. وهو ماسوف نتحدث عنه بعد ذلك من أثر الوحى الالهى فى هذه الفلسفة ..

وكما يقول تعالي عن:

"الذين أتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا" الأعراف 51 ..

فقد تقرب الاغريق القدامي لإلههم الأكبر زيوس بالألعاب الأوليمبية في ملعبه الذي نصبوا وسطه تمثالا ضخما لهذا الإله، وأقاموا عيدا لهذه الالعاب كل أربع سنوات اعتبروه من أعظم أعيادهم المقدسة، وحرموا الشهور القريبة من موعده فحرموا فيهم الحرب بينهم(الأشهر الحرم فى الاسلام، وقبله لدى العرب)، وأطلقوا الشعلة رمزاً لخلود الآلهه عندهم، ويستقبل الراهبات اللاعبين في تلك

الأعياد مصطفين بالملابس البيضاء، وكان الفائزون من اللاعبين يمجدون كآلهه(من نكسات تحضر الانسان دائما).. وتقام هذه الاعياد حتي الآن في أوروبا.. ولا يقل كثير من المسلمين عنهم في تعظيم هذه الأعياد والتهليل لها، وتقليدها.. وهى من بلاءات، وفتن هذه الأيام والتى تعرض لها المتدينون اليهود أيضا فى يوم من الأيام، وكانت من أسباب غضب الله عليهم ..

وعلي الرغم من المادية الالحادية التي تميزت بها الفلسفة الاغريقية.. إلا أن فلسفة أفلاطون تمحورت علي القضايا السياسية والاخلاقية، والميتافيزيقية(ما وراء الطبيعة)، واللآهوتية ، وهي التي تطورت بعد ذلك إلي "الافلاطونية الحديثة" مدعومة ببعض آراء أرسطو، والمدرسة الرواقية، وقد تأسست بالاسكندرية في ما بين 250 ق.م. إلي 550 م. وانتشرت في الفكر الأوربي اللاهوتي كله، والنصراني عامة، والفكر الصوفي الاسلامي..

الرومان:

وقد أخذ عنهم الرومان تعدد الآلهه أيضا ، واعتقدوا بالعرافة واستشارة الكهنة، وتولت الكاهنات أمر إبقاء الشعلة الخالدة.. ثم حدث تمازج بين معتقدات الاغريق، والرومان بعد أن أصبحت بلاد الاغريق ولايات رومانية.. فقلد الرومان الاغريق في تخصص الآلهة، وصوروا آلهتهم في صور متهتكة عارية الصدر إذا كانت إلهة، أو مبرزين عضو التناسل إذا كان الإله ذكرا، كما مثلوا بعضهم فى أشكال قبيحة مثل آلهة الشرق..

العرب:

وقد ظهرت عبادة الأصنام فى جزيرة العرب بعد الطوفان فى قوم عاد، وثمود، وقوم مدين الذين عبدوا الأيكة وهى شجرة من الأيك، عدا ماكانوا يتصفون به من سوء المعاملة للناس من بخس المكيال، والميزان.. فقد كانوا يعملون بالتجارة..

وقامت فى "سبأ" حضارات كبرى، وفى أماكن أخرى من اليمن، وحضر موت قبل، وبعد الميلاد.. عبد أهلها الأوثان، وقوى الطبيعة مثل الشمس، والقمر.. فقد ذكر القرآن عبادة الشمس من إحدى هذه الحضارات زمن النبى سليمان الملك عليه السلام:

"-وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله" النمل 24..

أستراليا وأفريقيا وأوروبا:

كما تتضح الوثنية الفجة لدى سكان إستراليا الأصليين، وسكان أفريقيا، وأوروبا متمثلة فى تقديس الأشخاص، وبعض مظاهر الطبيعة كالعادة.. ونرى الإنسان ذو الحضارة، والبدائى سواء فى العبادات الوثنية، وأنحطاط الجانب الروحى، إلا أن الإنسان ذو الحضارة قد تأثر بظهور الأنبياء ومانزلوا به من وحى.. ونلمح الوثنية كذلك فى مظاهر الدين لدى شعوب أمريكا الجنوبية الأصليين قديما متمثلة فى عدة آلهة، وإلهات منها مايمثل الشمس، والقمر، كما تعزز هذا الدين بالكهانة، والمعابد التى بنوها فوق الأهرامات(بناء ذو قاعدة كبيرة تصغر كلما ارتفعت عن الأرض، وتنتهى بالمعبد.. تشبه "زيجورات بابل" الى حد ما)، وربما ميزوا إلها منهم وخصوه بالخلق، والعبادة دون غيره، وقد ظهر لدى بعضهم التضحية بأولادهم كقرابين للآلهة كما كان فى بابل فيما بين النهرين..

وقصة الطوفان عند المكسيكيين المعروفين بالشيشميين **Chichimygues** أن العصر الأول من عصور الخليقة هو المسمى عندهم بعصر "أتاتاتيو".. أى عصر شمس الماء، وكذلك أهل بيرو..

مقارنة بداية الخلق وتصور الكون فى ديانات الدول القديمة

مصر

يرمز المصريون القدماء الى الكون كله ببقرة تطلع من بطنها النجوم، أو امرأة تنحنى على الأرض بذراعيها، ويسندها "شو" اله الهواء بكلتا يديه، وأقدم ماتخيلوه فى أصل العالم المعمور أنه عالم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس، وأنجب أربعة من الأبناء هم: "شو"، و"تفنوت" القائمان بالقضاء، و"جب" رب الأرض، و"نوت" رب السماء، ثم تزاوجت السماء، والأرض فولد لهما "أوزوريس"، و"ايزيس"، و"ست"، و"نفتيس".. فهم تسعة، ولكن استقر الأمر لثلاثة منهم هم: "أوزوريس"، و"ايزيس"، و"حورس.."

بابل

)الرافين)

كانت الدنيا قسمة بين "تيمات" ربة الغمر، أو ربة الماء الأجاج، وبين "ايا" الهة الماء العذب، وعنصر الخير فى الوجود، وقد انهزم "آنو" اله السماء أمام جحافل تيمات؛ فلم ينتصر الا بعد أن برز من الماء بطل وليد هو "مردوخ" رب الجنود، وسيد الحروب.. ثم عمد مردوخ الى تيمات فشقها نصفين صنع من أحدهما الأرض، وصنع قبة الفضاء من نصفها الآخر، ثم قيد أسراه فى هذه القبة فلا يبرحونها الا باذنه، ورفع ماشاء من الأرباب الى السماء، وقصة الخلق مقسمة الى سبعة أقسام.. كل قسم عن يوم، وآخرها خلق الانسان، وقد تغلب مردوخ على تيمات ربة الأغوار المظلمة؛ فأخذ زوجها، وخلائقها الأحد عشر، وسلسلهم كأسارى فى مملكته السماوية.. فهم المنازل الأحد عشر التى بقيت فى علم الفلك الى اليوم..

فارس "الزرادشتية" أبرز مذاهب الفرس، ورواية الخليقة فى مذهب "زرادشت" أن "هرمز" خلق الدنيا فى ستة أدوار.. فبدأ بخلق السماء، ثم خلق الماء، ثم خلق الأرض، ثم خلق النبات، ثم خلق الحيوان، ثم خلق الانسان، وأصل الانسان رجل يسمى"كيومرث.. قتل فى فتنة الخير، والشر.. فنبت من دمه ذكر يسمى "ميشة"، وأنثى تسمى "ميشانة".. فتزوجا، وتناسلا، وفى بعض أساطير المجوس أن "زروان" أبو الاهين؛ اله "النور"، واله "الظلام"، ولعله صنو لاله البابليين "نون.."

اليونان

"جيا" ربة الأرض، و"كاوس" رب الفضاء، و"ايروس" رب التناسل، والمحبة الزوجية، وجعل ايروس يجمع بين الأرض، وزوجها الفضاء.. فتلد منه الكائنات السماوية، والأرضية، وآخرها "أرباب الأوليمب.."

الهند

وهى تشبه قصة الخليقة المصرية.. فالحياة خرجت من بيضة "ذهبية" كانت تطفو على الماء فى العماء، والاله الأكبر كان ذكرا، أو أنثى كما جاء عن "رع" فى بعض الأساطير المصرية، وبناء العالم من صنع بناء ماهر فى أساطير مصر، والهند على السواء، وتتفق مصر، وبابل، والهند على أن الاله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة.. فأمرها بأن توجد.. فبرزت على الفور الى حيز الوجود، والنشيد المرهوب الذى كان يتغنى به نساك الهند، والذى ترجمه "ماكس موللر" الى الانجليزية.. لاأجواء، ولاسماء وراء الأجواء.. أهى هاوية الماء؟.. التى ليس لها قرار؟.. لم يكن ثمة نهار، ولاليل، ولم يكن الا "الأحد" يتنفس حيث لاأنفاس، ولاشىء سواه.. ومن القشرة فى تلك الندرة قام..

الصين واليابان

ينسب الخلق عندهم الى اله السماء"أزاناجى- نوميكوتو"، وزوجته، وأخته الهة الأرض"أزانامى- نوميكوتو" .. فولدا جزر اليابان، وألقحاها ببذور الألهة، وجاء أبناء اليابان الآدميون من سلالة هذه الآلهة.. فكلهم فى النسب الأعلى -وليس الميكاد وحده- الهيون.. وقد وحدوا عبادة الأسلاف فى الربة "أميزاسوا-أموكاى" التى يعتقدون أنها لم تخلق الكون، أو الانسان.. بل سبقها عشرات الألوف من الأرباب، وصار اليها الأمر برضوان من خالق السموات، والأرضين، وينسبون الخلق الى "أزاناجى" فى رواية، وقد أعجب بالشمس من بين أبنائه.. فبوأها عرش السماء، واله السماء هو "الاله" الذى يصرف الأكوان، ويدير الأمور، ويرسم لكل انسان مجرى حياته، ويداول تركيب الوجود من عنصرين هما "ين".. السكون، و"يانج".. الحركة..

الدول القديمة مقارنة بداية الخلق وتصور الكون فى ديانات

مصر	يرمز المصريون القدماء الى الكون كله ببقرة تطلع من بطنها النجوم، أو امرأة تنحنى على الأرض بذراعيها، ويسندها "شو" اله الهواء بكلتا يديه، وأقدم ماتخيلوه فى أصل العالم المعمور أنه عالم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس، وأنجب أربعة من الأبناء هم: "شو"، و"تفنوت" القائمان بالقضاء، و"جب" رب الأرض، و"نوت" رب السماء، ثم تزاوجت السماء، والأرض فولد لهما "أوزوريس"، و"ايزيس"، و"ست"، و"نفتيس".. فهم تسعة، ولكن استقر الأمر لثلاثة منهم هم: "أوزوريس"، و"ايزيس"، و"حورس"..
بابل (الرافين)	كانت الدنيا قسمة بين "تيمات" ربة الغمر، أو ربة الماء الأجاج، وبين "ايا" الهة الماء العذب، وعنصر الخير فى الوجود، وقد انهزم "آنو" اله السماء أمام جحافل تيمات؛ فلم ينتصر الا بعد أن برز من الماء بطل وليد هو "مردوخ" رب الجنود، وسيد الحروب.. ثم عمد مردوخ الى تيمات فشقها نصفين صنع من أحدهما الأرض، وصنع قبة الفضاء من نصفها الآخر، ثم قيد أسراه فى هذه القبة فلا يبرحونها الا باذنه، ورفع ماشاء من الأرباب الى السماء، وقصة الخلق مقسمة الى سبعة أقسام.. كل قسم عن يوم، وآخرها خلق الانسان، وقد تغلب مردوخ على تيمات ربة الأغوار المظلمة؛ فأخذ زوجها، وخلائقها الأحد عشر، وسلسلهم كأسارى فى مملكته السماوية.. فهم المنازل الأحد عشر التى بقيت فى علم الفلك الى اليوم..
فارس	"الزرادشتية" أبرز مذاهب الفرس، ورواية الخليقة فى مذهب "زرادشت" أن "هرمز" خلق الدنيا فى ستة أدوار.. فبدأ بخلق السماء، ثم خلق الماء، ثم خلق الأرض، ثم خلق النبات، ثم خلق الحيوان، ثم خلق الانسان، وأصل الانسان رجل يسمى"كيومرث.. قتل فى فتنة الخير، والشر.. فنبت من دمه ذكر يسمى "ميشة"، وأنثى تسمى "ميشانة".. فتزوجا، وتناسلا، وفى

بعض أساطير المجوس أن "زروان" أبو الالهين؛ اله "النـــور"، والـــه "الظلام"، ولعله صنو لاله البابليين "نون"..	
"جيا" ربة الأرض، و"كاوس" رب الفضاء، و"ايـــروس" رب التناسل، والمحبة الزوجية، وجعل ايـــروس يجمـــع بـــين الأرض، وزوجها الفضاء.. فتلد منه الكائنـــات الـــسماوية، والأرضـــية، وآخرها "أرباب الأوليمب"..	اليونان
وهى تشبه قصة الخليقة المصرية.. فالحياة خرجت من بيـــضة "ذهبية" كانت تطفو على الماء فى العماء، والالـــه الأكـــبر كـــان ذكرا، أو أنثى كما جاء عن "رع" فى بعض الأســـاطير المـــصرية، وبناء العالم من صنع بناء ماهر فى أساطير مـــصر، والهنـــد علـــى السواء، وتتفق مصر، وبابل، والهند على أن الاله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة.. فأمرها بأن توجد.. فبرزت على الفور الى حيز الوجود، والنشيد المرهوب الذى كان يتغنى به نساك الهنـــد، والذى ترجمه "ماكس موللر" الى الانجليزية.. لاأجـــواء، ولاسمـــاء وراء الأجواء.. أهى هاوية الماء؟.. التى ليس لها قرار؟.. لم يكن ثمة نهار، ولاليل، ولم يكن الا "الأحد" يتنفس حيث لاأنفاس، ولاشىء سواه.. ومن القشرة فى تلك الندرة قام..	الهند
ينسب الخلق عندهم الى اله السماء"أزانـــاجى- نوميكوتـــو"، وزوجته، وأخته الهة الأرض"أزانامى- نوميكوتو" .. فولدا جـــزر اليابان، وألقحاها ببذور الألهة، وجاء أبناء اليابان الآدميون مـــن سلالة هذه الآلهة.. فكلهم فى النسب الأعلى -ولـــيس الميكـــاد وحده- الهيون.. وقـــد وحـــدوا عبـــادة الأســـلاف فى الربـــة "أميزاسوا-أموكاى" التى يعتقـــدون أنهـــا لم تخلـــق الكـــون، أو الانسان.. بل سبقها عشرات الألوف من الأرباب، وصار اليهـــا الأمر برضوان من خالق السموات، والأرضين، وينسبون الخلـــق الى "أزاناجى" فى رواية، وقد أعجب بالشمس من بـــين أبنائـــه..	الصين واليابان

فبوأها عرش السماء، واله السماء هو "الالـــه" الـــذى يـــصرف الأكوان، ويدير الأمور، ويرسم لكل انسان مجرى حياته، ويداول تركيب الوجود من عنصرين هما "ين".. الـــسكون، و"يـــانج".. الحركة..	

ملاحظات على محتويات الجدول:

هناك ثوابت اسلامية، ومفاهيم أصلها الوحى، والدين من المستحيل أن تكون ابتكارات بشرية فى هذا الوقت المبكر من وجود الانسان على الأرض:

***عنصر "الماء" هو القاسم المشترك في معتقدات كل البلاد القديمة عن بداية الخلق، وهو نفس ماأخبر به القرآن الكريم عن كون الماء بداية المخلوقات:**

"-وكان عرشه على الماء" هود 7..

***اقتران عنصرى "السماء"، و"الأرض:"**

"-أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" الأنبياء 30..

***اقتران عنصر"الخير" بعنصر "الشر" المتمثل فى الشيطان:**

"-ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا" النساء 119..

***سنة "التزاوج" فى الكون من أجل الاستمرار، والتوالد، والتكاثر، ومنها اقتران الذكر بالأنثى رمزا "لآدم"، و"حواء" كأصلين للبشر عن طريق التزاوج أيضا، وخلفاء لله الأعظم فى أرضه:**

"-واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة" البقرة 30..

"-ومن كل شيء خلقنا زوجين" الذاريات 49..

***دور "الكلمة" فى الخلق اللحظى بالأمر:**

"-الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون" آل عمران 47..

openkandi.com

"-انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم" النساء 171 ..

*تورط البشر جميعا فى "عبادة الشمس" بأمر الشيطان لحديث النبى صلى الله عليه وسلم:

"-الشمس تخرج بين قرنى الشيطان".. وقوله تعالى:

"-وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم" النمل 24..

"-لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذى خلقهن" فصلت 37..

علم الله تعالي

وعلم البشر

opeikandl.com

يقيس المفسرون علم الله تعالي بعلمنا نحن..فعلم الله تعالي ليس له فواصل زمنية كعلمنا.. فالله تعالي يري مالا نري نحن لقدرتنا المحدودة، والمحددة بقواسم زمنية.. فعلمنا لايتجاوز اللحظة التي نحن فيها.. بينما علمه تعالي علما مطلقا ليس له حدود، أو حواجز زمنية.. فعندما يقول:

"-اني جاعل فى الأرض خليفة" البقرة 30..

فتجاوز علمه تعالي الزمان؛ خاصة أنه تعالي:

"-فعال لما يريد" البروج 16..

بمعني أنه يملك العلم اللامحدود، والقدرة على تنفيذ مايريد..

ويقول تعالي فيما نفهم منه عدم محدودية علم الله تعالي مثلنا فى مقارنة تلفت النظر..

"-انهم يرونه بعيدا(6) ونراه قريبا(7)" المعارج..

فهو تعالى يتحدث عن يوم القيامة الذى يراه تعالي رأى العين – كما نقول عن علمنا نحن – فهو يراه فى علمه اللامحدود، فلا فرق في علم الله تعالى بين ماكان، وماسيكون.. ومن ناحية أخري فقد خلق تعالي الانسان بطباع هذه الأرض التي أوجدها، وخلقها فعلا عندما خلق الأرض، وأنه تعالي أنفق أربعة أيام في خلقها تمهيدها لهذا المخلوق، ولم يبنها كما بني السموات:

"-والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون(47)والأرض فرشناها فنعم الماهدون(48)" الذاريات ..

"-قل أانكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين(9) وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين(10)" فصلت..

وكما خلق الأرض.. خلق الانسان أيضا خلقا اقترن بالتسوية الأولية له:

"-فإذا سويته" ص 72..

"-خلق الانسان من صلصال كالفخار" الرحمن 14..

"-ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين" المؤمنون 12..

"-وبدأ خلق الانسان من طين" السجدة 7..

فطباع هذه الخلقة هي جموح للمعرفة، وتطلع للمجهول بقدرته المحدودة بهدف تعمير هذه الارض، خلقة لها شهوة الأثرة، وقدرة علي اثارة التنافس، وغرس بذور صراعات، وعداوات، ورغبة في الاستحواذ وهو ما بدا لهذه الخلقة في الجنة من التزوع نحو ما حرم عليه، ومنع عنه:

"-فكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين.."

إذن لم يبذل ابليس كبير جهد في اغواء هذه الخلقة وجعلها تأكل من الشجرة المحرمة بما جبلت عليه من اجتياز المجهول، و شهوة الأثرة، وحب المعرفة حتي لو كانت وبالا عليها..

وينحو المفسرون – غالبا - منحي التوراة في أن الجنة كانت علي الأرض، فإن كانت علي الأرض فلم غضب عليهم ربهم سبحانه وتعالي، وأخرجهم منها، فهم علي جنة أرضية، وتعاملوا معها بأخلاق أرضية.. فلم الطرد إذن؟!.. ولا عبرة بالنزول في لفظ القرآن.. ومن يأتى الاعجاز القرآنى فى التصريح التالى:

"-لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم" التين 4..

وهو التقويم الخاص بالملأ الأعلى، والقريب من عظمته، وعليائه.. ولكن اذا نزل هذا المخلوق الى الأرض؛ فهناك تقويم آخر:

"-ثم رددناه أسفل سافلين" التين 5 ..

والقرآن الكريم يحتوى على كثير من الآيات التى نستشف منها علم الله السابق لعلمنا.. فيقول مثلا:

"-يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك" الممتحنة 12..

فهن فى علمه تعالى مؤمنات قبل مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم على الايمان.. ويقول أيضا:

"-لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسول من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين" آل عمران **164** ..

فعندما أعلنوا اسلامهم للرسول صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعلمون شيئا عن الايمان، ولكنهم مؤمنون فى علم الله تعالى المحيط، وهو مايتضح من قوله تعالى لرسوله الكريم:

"-ماكنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان" الشورى **52**..

obeikandl.com

المعاملات فى الاسلام

)الأموال والثروات(

ان القرآن الكريم عد قارون من الكافرين، والنصوص القرآنية كثيرة في شأن تأثيم أمثال قارون، وفي مجال واحد هو مجال المال، والاكتناز:

"-والذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" التوبة 34.

"-ويل لكل همزة لمزة(1) الذي جمع مالا وعدده(2) يحسب أن ماله أخلده(3) كلا لينبذن في الحطمة(4) وما أدراك ما الحطمة(5) نار الله الموقدة(6)" الهمزة..

ان القرآن الكريم عندما أراد التحدث عن الناس، ومراتبهم..قال بالدرجات، والحديث القرآني بالدرجات نوعان رئيسيان:

النوع الأول: درجات في الحياة الأرضية، مثل:

"-نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" الزخرف 32.

"-وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم" الانعام 165.

النوع الثاني: درجات في الحياة بعد البعث، والحساب، مثل:

"-أفمن اتبع رضوات الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون" آل عمران 162، 163.

"-ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون" الأنعام 6.

"-ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون" الاحقاف 19.

والنوع الأول يتناول بيان تفاوت القدرة بنوعيها؛ قدرة الجسد، والمزايا، وقدرة الرزق، والمال، والبشر فضل الله بعضهم بمواهب، ومزايا، وخصائص حتي تستقيم الحياة، وتتكامل عناصر القوي المعمرة المنتجة، وهبة الله مزايا للبعض.. لا يعني تفويضا بالكبر، والبغي، والافساد.. لأنها وديعة، وأمانة، ومسئولية تسخر من أجل رضي الله، وجنته في الآخرة، ويورد القرآن أمثلة لمراد الله فيما يهب من رزق، ومال:

"-آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير" الحديد 7.

"-وانفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلي أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين" المنافقين 10.

"-والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم" النور 33..

ومن هذا ندرك مفهوم حقيقة العطاء الالهي للانسان دون تفرقة بين البشر علي أساس من نسب، أو مال، أو جاه، أو قدرة، ودون الانسياق وراء بعض المفسرين الذين مالأوا عُبّاد السلطة، والجاه، والمال، والذين جمدت فتاواهم الابداع الاسلامي عند عصر الخلفاء الراشدين، وكانت حربا استعان بها أصحاب السلطة، والمال علي القلة من الائمة المجتهدين الصادقين.. فشردوهم، وعذبوهم، وقتلوهم دون تسخير سلطتهم، وما لهم في عمارة الأرض، ومصلحة البشر من رعاياهم فوق هذه الأرض، وحاشا لله أن ينسب إليه المتنطعون ميلا نحو جنس، أو لون، أو طائفة، أو طبقة، أو ذوي حسب، ونسب، أو ذوي جاه، ومال دون الأخري فهو:

"-رب الناس.."

وهو..

"-ملك الناس .."

وهو..

"-إله الناس.."

وليس كما ادعي عليه اليهود - سبحانه عما يصفون - وادعوا نسبتهم إليه من دون الناس..

" -وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم" الحجرات 13..

" -ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض" القصص 28 ..

والطائفية، أو الطبقية الوحيدة التى يؤكدها القرآن هى طبقية التقوى، والعمل الصالح من أجل المجموع:

"-ان أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات 13..

ولاخشية من استبداد هذه الطبقة لأنها بطبيعتها غير مستبدة.. ولا ترجوا فيما تفعل غير وجه الله، والا فقدت صفتها، ووجودها، ولأهميتها فقد حددها تعالى فى مطلع القرآن الكريم.. ملخصا اياها فى ست نقاط خلال آيتين من سورة البقرة :

"-ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين(2"(

"-1الذين يؤمنون بالغيب"

"-2ويقيمون الصلاة"

"-3ومما رزقناهم ينفقون(3"(

"-4والذين يؤمنون بما أنزل اليك"

"-5وما أنزل من قبلك"

"-6وبالآخرة هم يقنون(4"(

وكيف يجيز عقل سوي أن الذي خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها يميز بعد ذلك، ويفاضل بين الخلق بسبب ما خلقه فيهم من عقل، وقوة، وفقر، وغني:

"-وهو بكل خلق عليم" يس 76..

"-ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" الملك 14..

"-وما ربك بظلام للعبيد" فصلت 46.

"-وما يستوي الأعمي والبصير(19) ولا الظلمات ولا النور(20) ولا الظل ولا الحرور(21) ومايستوى الأحياء ولا الأموات(22)" فاطر..

"-قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" الزمر 9..

"-أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون" القلم 35 ..

ومن الآيات يدلنا القرآن – كتاب الله – أن التفضيل محال من الله بين خلقه.. فالناس لديه سواء حتي من أوكل رزقهم منه بأحد البشر مثل الراعي للرعية، أو الأب للأسرة، أو الأكبر للأصغر.. الخ:

"-والله فضل بعضكم علي بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم علي ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء" النحل 71..

فالتسوية هنا تنفي التفضيل تماما..فكلاهما مرزوق من الواحد الرزاق، والمفضل ما هو سوي وسيط، ووكيل مستخلف علي ما للغير من رزق، فيورد الوكيل له نصيبه غير منقوص؛ ورغم أن البشر عند الله سواء الا أنهم متفاوتون في الرزق، ويرزق من يشاء منهم بغير حساب في أكثر من آية في القرآن في سور البقرة، وآل عمران، والنور.. ففي البقرة 212 :

"-والله يرزق من يشاء بغير حساب.."

لقد أخذت الآية علي اطلاقها، ونزع معناها من السياق الذي يقول:

"-زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب" البقرة 212.

فهكذا نري من السياق أن عجز الآية ليس له صلة بالمال، والرزق، ولكنه جزاء التقوي، والايمان في النهاية، وإلا لأصبحوا مثل الذين كفروا - والعياذ بالله - الذين زين لهم الشيطان الحياة الدنيا..

وفي آل عمران وردت في الآيتين 27،28 :

"-قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علي كل شئ قدير(27) تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب(28")

قد يتصور البعض من بلهاء الفكر ، والتفكير أن النص هنا بالرزق من غير حساب.. واضح، وصريح؛ ويعزز اعتقاده السقيم بأن الرزق مطلق لبعض الناس، وهو ما يتنافي مع القدرة، والحكمة، ودقة الخلق، وتدبيره من ايلاج، واخراج،

ولكن من يتأمل النص بفكر مفتوح، يجد أن عجز الآية جاء لتأكيد أن الله يأتي بالرزق من حيث لا يحتسب المرزوق، وليس كما يفهم ذوي العاهات، والحسابات أن كلمة "بغير حساب" تعني الاطلاق، والكثرة بلا حدود.. آهذا يتفق مع اسم الله تعالي: "العدل".. فهو ليس عادلا.. بل هو العدل نفسه، فهل يعقل أن هذا العدل يجعل من هو ذو فقر مدقع، ومن لا يستطيع احصاء أمواله لكثرتها؟!.. أهذا يليق بجلال الله، وحكمته التي يدبر بها الكون ، ومن ثم الخلق، والرزق؟ ..!

فهو تعالي كما يخرج الحي من الميت؛ يرزق من لا يملك أسباب الرزق بحسابات ذوي العاهات، والحسابات، وهو ما أكد عليه تعالي في الآية 37 من نفس سورة آل عمران عندما يرزق تلك الفتاة الصغيرة المنقطعة للمعبد، والعبادة، ولا تلتمس أسباب الرزق كما يفعل الحسابون، ويندهش لهذا نبي الله زكريا عليه السلام حتي أنه ليجد لديها من أنواع المأكولات، والمشروبات مالا وجود له فى السوق، أوالفصل من العام كما يقولون:

"-كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا" آل عمران 37..

فيتسآل النبي عليه السلام:

"-قال يا مريم أني لك هذا؟" آل عمران 37..

فترد الصغيرة المنقطعة لله.. وتؤكد:

"-قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب" آل عمران 37..

وهنا يدرك نبي الله عليه السلام أن الصلة الحقة بالخالق لا تجعل المخلوق يحتاج لشئ، وأن الرزق ليس بالسبب.. فيبادر بالقرار ليؤكد هذه الصلة بينه وبين ربه:

"-هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء" آل عمران 38..

إن زكريا عليه السلام لديه ما يؤرقه:

"-قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا(4) وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرآتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً(5) يرثني ويرث من أل يعقوب واجعله رب رضياً(6)" مريم..

وفي سورة النور ما يؤكد أن الرزق بغير حساب هو جزاء حسن الأعمال كما يتضح من سياق الآيات:

"-في بيوت أذن الله ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالعدو والآصال (36) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار(37) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله و الله يرزق من يشاء بغير حساب(38 .."(

فجزاء العمل الصالح:

1. أحسن مما عملوا.
2. ويزدهم من فضله تعالي.
3. ويرزقهم بغير حساب لمن يشاء.

وبغير حساب تأتي أيضا من قدر الله للبعض بالاثراء لأتفه الأسباب دون البعض الآخر:

"-يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.."

فعندما يترل الله الرزق من السماء؛ لايعطيه الله للبشر بالتساوى، ولكنه يتفاوت بين الناس.. فيعطى لبعضهم الكثير منه، وعادة هم قلة، ويعطى لغيرهم مايقيم حياتهم، ويبين تعالى حكمته من ذلك فى المثل الذى ضربه لنا فى القرآن عن قارون الذى بين حكماء قومه مراد الله سبحانه، وتعالى فى اثرائه بكل هذه الأموال، وأن مصدرها هو الله حيث يصف تعالى ضخامتها:

"-وآتيناه من الكنوز ماان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولوا القوة" القصص..

ولكنه يتجاهل كل هذا، وينسب لنفسه فقط الفضل فى ذلك، ويقول:

"-انما أوتيته على علم عندى" القصص..

ولكنه لايدرك بغباء الكفر، وغرور الشيطان أن هذه حجة عليه.. فهى حكمة الله فى خلقه الذين يملكون العلم الذى يستطيعون به جمع المال، وصيانته، وتنميته، واستثماره.. ثم صرفه، وتوزيعه بالعدل بين من لايستطيعون ذلك، وهم كثير..

ومن الأعمال التي تحض عليها الآيات القرآنية، وترغب فيها.. الانفاق.. لتحقيق الحكمة من الرزق الإلهي لانسان، أو شعب، ومن أكثر النصوص القرآنية في هذا الأمر ثلاث:

"(1يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه" البقرة 267.

والأمر صادر للمؤمنين بالانفاق:

أ من طيبات ما كسبوا..

والطيب غير الخبيث، أما الكسب فهو نتيجة طلب الرزق الذي وفقهم الله إليه بشرط الكسب الطيب، والانفاق من هذا الطيب، وليس من الخبيث الذي يعنى أن مصدره خبيث(حرام)، أو ردىء لايرضى به اذا أعطى له..

ب- ومما أخرج لهم من الأرض ..

شاملا ثمار النبات، وأنواع الحجارة، والمعادن، والبترول وغيرها، وقد جمع تعالي مصدري المال الرئيسيين في هذه الآية وهي خيرات الأرض، وجهد البشر الذين ينبغي الانفاق منهما دون تخصيص، أو استثناء، بحيث لا يفهم هذا الحق للغير كصدقة، أو إحسان من فضل قدرة، أو مال.. بل هو يشارك من ليس له قدرة، ولا مال.. ولا تقل الجودة في النفقة عما احتفظ به، أو ينوي الاحتفاظ به لنفسه، وهذا ينبع من قاعدتين قام عليهما الخلق:

1.ملكية الله المطلقة لكل شئ:

"-لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو علي كل شئ قدير" المائدة 5..

"-وفي السماء رزقكم وما توعدون" الذاريات 22..

.2المشاركة البشرية العامة للملكية الخاصة لخير الأرض، والقدرة(بين من يملكون، ومن لا يملكون:(

"-وفي أموالهم حق للسائل والمحروم" الذاريات 19 ..

"-آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير" الحديد 7.

"-والذين فى أموالهم حق معلوم(24) للسائل والمحروم(25)" المعارج..

فالانفاق مقترن بالايمان بالله، والرسول، وهو ما استخلف الله المؤمنين فيه، فأنابهم عنه، ووكلهم في استثماره، بحيث يصير الوكيل آثما إن عصا الأمر، وامتنع عن الانفاق، اعتقادا منه أن ما لديه ملكية خاصة، ولكنها ملكية مشتركة بين البشر تختلف نسبها بين الناس..

"-وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين" يس 47..

وينوه تعالى فى هذه الآية عن فكرة بثها الشيطان فى نفوس القادرين من الكافرين، ومن شاكلهم من المؤمنين، وهى تطرح بالتساؤل:

-كيف أعطي من منعه الله من الرزق؟ ..!

فلو كان يستحق المال، أو الخير لأعطاه الله.. وكأنه – والعياذ بالله – يشارك الله في مشيئته، ويتنصل بكل بساطة من حق الفقير، والمعوز في ماله، فقد خرج الوكيل المستخلف علي المال عن مقتضيات، وواجبات الوكالة؛ استئثارا، واختلاسا للمال موضوع الوكالة الأمر الذي يجرم الوكيل، ويجعله في ضلال مبين..

والانفاق فى الاسلام هو تحقيق الكفاية المعيشية لكل فرد من أفراد المجتمع على النحو الذى يخرجهم من دائرة الفقر الى حد الغنى، والاستغناء، بمعيار "حد الكفاية"، لاحد الكفاف.. بحيث يكون كل فرد قادرا على الانفاق على نفسه، وعلى من يعول حتى يلحق بالناس، وقد اختلف الفقهاء فى تحديد حد الكفاية، أو الغنى الذى يحرم بعده السؤال.. فمنهم من قصره على قوت اليوم الواحد، ومنهم من مده الى توفير كفاية عام، ومنهم من بالغ فى التوسع لحد توفير كفاية العمر كله،

وأعتقد أن كفاية العمر كله ماهى الا توفير العمل له، ولمن يعول سواء اعتمدت الدولة على كبار أغنيائها فى توفير فرص العمل.. أو قامت هى بذلك بالاعتماد على علماء الأمة من الفنيين، والخبراء، أو الاثنين معا ..

هذا مع توافر نظام حماية تأمينية ضد العجز، والمرض، والشيخوخة، والموت.. ومالم توفر له الدولة ذلك فله حقه فى بيت المال حتى يعمل.. أو يوفر له بيت المال شراء أصل رأسمالى يدر له دخلا دائما يغتنى به، ولايقتصر حد الكفاية على ضرورات الحياة من مأكل، وملبس، ومسكن.. بل تمتد الى توفير الرعاية الطبية، والتعليم الأساسى، وحتى تيسير الزواج..

وكما قسم تعالي الأرزاق.. فهناك أرزاقا أخري قسمها أيضا:

"-لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور(49) أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما أنه عليم قدير(50)" الشوري ..

"-ومن آياته خلق السموات والأرض وأختلاف ألسنتكم وألوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين" الروم 22.

"-لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" المائدة 48.

وكما تختلف الأرزاق.. يختلف البشر أيضا؛ وتنوع صور هذا الاختلاف هو الذي يشعل الحياة بالحركة:

"-وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم " الأنعام 165.

"-نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" الزخرف 32.

"-ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل علي العالمين" البقرة 251.

فالأصل في الخلق الاختلاف شكلا، ولونا، ولسانا، وقدرة..

والأصل في الحياة البشرية التنوع، والتعدد، والتدافع..

والأصل في عطاء الله التباين المتداخل في الارزاق.. كي يقوم التكامل بين البشر؛ وتدور عجلة الحياة..

ولكن اذا كان الأمر كذلك فى هذا الاختلاف ليحدث الدفع، والعمران.. فلم يتركه تعالى للصدفة، والظروف.. ففرض القرآن، والسُنة تدخل ولى الأمر بقواعد ثابتة دائمة، وأخرى متحركة، متغيرة لتنظيم، وتأمين، وضبط الالتزام البشرى المتبادل؛ ومن هنا يتم التشدد مثلا فى أمر الزكاة.. وهو ما شهده التاريخ الاسلامى عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة من حرب ضروس بسبب ايمان الخليفة الأول أبو بكر رضى الله عنه، وأرضاه بمسئوولية ولى الأمر عن الزكاة - التى تخص جميع المسلمين، وجمعها كاملة غير منقوصة، وقد وصمها المؤرخون "بالردة"- أى الكفر والعياذ بالله - حيث كان فهمهم للدين فى ذلك الوقت خارج مقتضيات السياسة، والمصلحة الفردية الضيقة.. فاعتبروا مانع الزكاة "كافر".. وهو ما تماونوا فيه بعد ذلك، وأهملوه.. عندما دخلت السياسة، والمصلحة الفردية الضيقة فى الدين بعد حكم "الراشدين" الذى تسللت اليه الفتن فى عهد الخليفة الثالث رضى الله عنه باتساع الدولة، والفتوحات..

وهم الذين أفاض القرآن فى الحديث عنهم، وعن نواياهم فى حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهم "المنافقون"، و"مرضي القلوب".. بيد أن التزام الرسول بالدعوة فى الأساس أطمع هؤلاء الناس، ومن هؤلاء من أوحي إلي "عثمان بن عفان" بأن ولاته(وأغلبهم من بنى أمية أقارب عثمان الذين مالوا بالدين، والدعوة نحو السياسة، واستقطاب الأتباع، والمؤيدين بالمال، والمناصب، ثم قيام دولة بنى أمية، وتوريث الحكم بعد مقتل عثمان، وبعد على بن أبى طالب) يكفون عن جمع زكاة الأموال الباطنة من نقد، وذهب، وعروض التجارة علي أن يوكل الناس فيها إلي أمر دينهم، وقصر جباية الزكاة علي الأموال الظاهرة، وقد دخلوا عليه بثلاث حجج:

1. لقد كثرت الأموال في المجتمع الإسلامي بعد الفتوحات؛ بحيث لم تعد بالناس حاجة إلي الشح، والبخل، وامساك اليد..

2. يجد الولاة مشقة في متابعة الأموال الباطنة في بيوت الناس، ومتاجرهم..

3. تتعرض الأمة بسبب جباية هذه الأموال لحرج كبير، وضرر شديد..

وقد أدي هذا القرار مع الزمن، وموت الصحابة، وبُعد الناس عن عصر البعثة إلي فتح ثغرات في جدار الإيمان المتكامل.. اتسعت يوما بعد يوم لتحي في النفس البشرية من جديد شهوة الأثرة، والاستحواذ.. الأمر الذي أدي إلي تضخم الفروق بين دخول الأفراد، ومن ثم المجتمعات، وشيوع الحقد،والتمزق، والعداء حتي بين أفراد الأسرة الواحدة.

فى مقال للأستاذ "محسن محمد" بجريدة الجمهورية الصادرة صباح 23 من مارس 2006 ينعى فيه خسارة الأسهم العربية فى يوم واحد – أى فى الدول العربية المختلفة – مامقداره 250 مليار دولار نتيجة هبوط أسعارها فى البورصة، وهو رقم يعادل بالضبط الأرباح العربية من ارتفاع أسعار البترول فى العام السابق.. أى ماكسبه العرب فى عام خسروه فى يوم واحد، والغريب فى الأمر أن أسعار الأسهم انخفضت فى هذا اليوم – الثلاثاء 16 من مارس 2006 – فى بورصات السعودية، ومصر، والكويت، والأردن، وتونس، والامارات.. وهو مايبين مدى ارتباط الأسواق، والأسهم العربية، وتوافر الأموال بكميات كبيرة لدى أفراد يكترونها فى البورصات، والبنوك..

ومن مقال للأستاذ عبد اللطيف فايد بجريدة الجمهورية الصادرة يوم 10 من يونيو 2004 يتحدث فيه عن شركات يستثمر فيها ملوك البترول من الحكام العرب خليجيون، وسعوديون تتعرض الآن للانهيار، وملاحقة مديريها، ودخول بعضهم السجن، وهذه الشركات هى: "والت ديزنى"، و"أنرون"، و"شل"، و"أرمالات"، وهى من الشركات التى اعتمدت فى العقدين الأخيرين على تدفقات عوائد البترول العربية من الحكام العرب، الذين سيجرى عليهم ماجرى للهنود الحمر حينما أخذ منهم الأمريكان الأرض، والثروات الخام، وباعوا لهم الخرز، والوعود، والأوهام.. ثم الابادة حيث تقلص عدد الهنود الحمر من 10 مليون الى

200 ألف هذه الأيام، وهم الذين احتفظت بهم أمريكا للاستفادة منهم عندما أحاطوهم بأسيجة فى المناطق الجبلية كمزارات سياحية لانسان ماقبل أمريكا.. فهل بدأ هذا العصر فى المنطقة العربية "بصدام حسين" الذى احتفظوا به فى قفص للفرجة، والسياحة للمقربين فقط، والكل فى المنطقة ينتظر.. الرئيس فى القفص الصغير، ودولته، وشعبه فى القفص الكبير كأسيجة الهنود الحمر.. ثم "القذافى".. ثم..

وليس هذا هو السفه العربى الوحيد حيث جرى العرب بثرواتهم الطائلة وراء تقليعة أوروبية أمريكية هى "البورصة" – التى تشبه لعبة القمار – التى أنشأوها فى بلادهم المتخلفة مئات السنين عن أوروبا، وأمريكا، أو أودعوا هذه الثروات فى بنوك هذه البلاد ليدعموا اقتصادها، والناس فى بلادهم يتضورون جوعا، والشباب منهم لايستطيعون الزواج، لأنهم لايجدون العمل..

وليت هؤلاء قد فعلوا هذا واكتفوا به..بل منهم من يقوم بالتبرع لجهات حيوية فى هذه الدول.. فقد تحدث الأستاذ السيد البابلى فى جريدة الجمهورية الصادرة صباح 23 من مارس 2006 نقلا عن صحيفة "الفينانشنال تايمز" البريطانية أن شخصية عربية معروفة قامت بالتبرع بمبلغ 40 مليون

دولار أمريكى(حوالى 240 مليون حنيه مصرى) لجامعتى "هارفارد"، و"جورج تاون" الأمريكيتين.. كما نشرت هذه الشخصية اعلانات على صفحة كاملة حول هذا التبرع فى صحيفتى "نيويورك تايمز"، و"الواشنطن بوست" بأمريكا اضافة الى عدد من الصحف البريطانية ..

كما تبرع "أمير الكويت" بعد تحرير بلاده من العراقيين بمليون دولار "لحديقة حيوان لندن"، وكذلك "آل مكتوم" فى الامارات الذين يمتلكون العديد من اسطبلات الخيل فى لندن، ويحتكرون مبارايات سباق الخيل.. فهل يعتبر هؤلاء الأشخاص فى عداد المسلمين؟.. أم فى عداد المنافقين من الذين أسلموا ولم يصح اسلامهم؟..أم من المشركين الذين لايؤدون زكاة مالهم لله،ولكن لأمريكا، وبريطانيا.. وقد قال تعالى فيهم صراحة:

"-فويل للمشركين (6) الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون(7)" فصلت ..

ولعله كان ضحية أحد من تصدى لتفسير القرآن من المشايخ الأغنياء حتى أدرك هذه الآية.. وقع من حيص بيص.. فكيف يؤدى المشركون الزكاة؟!.. ان الزكاة لايؤديها سوى المسلمين.. ونسى آيتى سورة يوسف:

"-ومأأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" يوسف 103 ..

تتلوها الآية الأخرى:

"-ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106 ..

فاللمال دورة يدور فيها دون توقف.. ثم يراكمه صاحبه، أو يكنزه، أو ينفقه انفاق السفه، والتبديد فى رشاوى، وشراء ذمم، ومجاملات لولى الأمر من أجل مصالح صاحب المال فقط مثل قارون الذى ضربه القرآن مثلا لهذه الفئة الضالة:

"-ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم" القصص 76..

"-كلا انها لظى(15) نزاعة للشوى(16) تدعو من أدبر وتولى(17) وجمع فأوعى(18)" المعارج..

"-والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم(34) يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون(35)" التوبة..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

>>-ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنوات..<<

والمحتجر من وضع يده على أرض موات لايملكها أحد، أو أقطع اياها من قبل ولى الأمر بهدف الافادة منها، وتعميرها؛ وقد كثرت أيام الخليفة عمر بن الخطاب هذه الأراضى بأيدى المسلمين، ولما تبين له أن الكثيرين لم يعمروها كأراض صالحة للزراعة؛ قال قياسا على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

>>-من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له..<<

فهى ثروة معطلة، ومحجورة بلا استفادة لصاحبها، فحبس خيرها، وثمرها بما ينفع الناس على نفسه، وعلى غيره.. فلااستفاد.. ولا أفاد.. وتبطل هذه القاعدة الاسلامية الزعم بوجود ملكية كلية مغلقة على انسان معين، لأن حق الملكية فى الاسلام مرتبط بمدى استخدام هذه الملكية، واستثمارها بما يفيد المجتمع ..

روى أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى امرأة، وفى يد ابنتها مسكتان من ذهب، فأشار الى الذهب قائلا:

>>-أتعطين زكاة هذه؟..

-قالت: لا..

-قال: أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار..<<

وهو مايوافق الآية الكريمة التى تحذر من كتر الذهب، والفضة دون انفاق، والكتر هنا ماتجاوز حدود الزينة، ولفت الأنظار، والبشرى لاتكون بالعذاب، ولكنها سخرية من أنها ستكون معهم أيضا فى جهنم، كما كانت معهم فى الدنيا فكانت تجعلهم من سرور، وحبور، أما فى الآخرة ستكون عليهم وبالا، وآلة من آلات التعذيب، والتنكيل.. فتسخن لأنها جيدة التوصيل للحرارة، فتكوى بها الجبهة، والجنبين، والظهر، وهى المواضع التى كانوا يقابلون بها المحتاجين، والمعوزين بالاشاحة بالوجه أولا، ثم تجنبهم، ثم الاعراض عنهم بالظهر، حتى لايعطيه شيئا..

وهذا ماحدا بفقهاء الشريعة من كافة المذاهب اذا وصفت حلى المرأة – وهى محرمة على الرجال – بالاسراف بحيث كانت دليلا على وجود فضل مال، وجبت عليها الزكاة استنادا لقوله صلى الله عليه وسلم:

>>-كلوا واشربوا والبسوا فى غير سرف ولامخيلة..<<

وليس أدل على ذلك من خشية أبى حنيفة اذا أعفيت حلى النساء من الزكاة أكثر الناس من اقتنائها ليتخلصوا من زكاتها، الأمر الذى يكدس المال على أجساد النساء من غير نفع ..

وفى جريدة الجمهورية بتاريخ 17 من نوفمبر 2005 آخر ماصدر من احصاءات اتحاد المصارف العربية من أن العالم العربى يضم وحده 200 ألف

مليونير.. يملكون 4800 مليار جنيه، وهو مايساوى 800 مليار دولار.. كما تصدر منظمة العمل العربية احصائية أخرى تحذر من أن ربع سكان الوطن العربى يعيشون تحت خط الفقر، وأن القضاء على البطالة فى العالم العربى يحتاج سنويا الى 3 ملايين فرصة عمل..

ان استثمار هذه الأموال، أو استثمار حتى زكاتها الشرعية.. والتى تبلغ 120 مليار جنيه من شأنه أن يقضى على البطالة قضاء مبرما.. فضلا عن أن زكاة المال لاتتوقف عند هذا المبلغ.. لأن الزكاة تفرض على كل من يزيد ماله على ماقيمته 84،4 جرام من الذهب.. ويحول عليه الحول.. ويؤكد د.اسماعيل شلبى أستاذ الاقتصاد الاسلامى بجامعة الزقازيق أن العالم العربى لو أخرج فقط زكاة الركاز لحقق اكتفاءا ذاتيا، ولقضى على البطالة.. حيث تصل النسبة فى الركاز الى 20 %، ومن شأن مردودها أن يقيم مشروعات عظيمة.. وعلى سبيل المثال أنه يمكن ببساطة زراعة أرض السودان لتصبح سلة الغذاء للعالم الاسلامى من خلال العمالة المصرية، والأموال العربية..

كما كشفت تقارير غير رسمية رصدها الأستاذ جلاء جاب الله فى جمهورية 11 من يناير 2007 أن سفهاء المصريين دفعوا حوالى 5 مليارات من الجنيهات رسوما فى احتفالاتهم بليلة رأس السنة.. وبالطبع صرف هذه المليارات أصحاب الملايين، والمليارات الذين يستطيعون دفع 5-50 ألف جنيه للفرد فى سهرة واحدة.. فى الوقت الذى ناشد فيه محافظ القاهرة رجال الأعمال، والجمعيات الأهلية لبناء 4 من دور الضيافة لأطفال الشوارع خصصت لها المحافظة 4 قطع من الأراضى الفضاء.. ولم يتقدم أحد.. ويعلق الكاتب أن مرضى الفشل الكلوى، ومرضى الكبد الوبائى يتزايدون يوما بعد يوم.. كما أن هناك مشاكل الزواج التى ترتبط بها قضية الاسكان، والبطالة، والتشغيل، ولقمة العيش الشريفة ..

والرزق فى الأرض متنوع، وكثير.. وقد يقل، ويشح فى زمن معين، وينضب، ويعز فى مكان معين، ولكنه ينمو، ويربو فى البر، والبحر، ولهذا لايعترف الأمر الالهى للبشر لما أقاموه بينهم من حدود ابتدعوها، وأقاموها فيما بينهم، وجعلوها دولا لأنظمة أحاطوها بالأسلحة، والجيوش التى تحول بين البشر، والعبور من الأرض المجدبة، والمنذرة بالموت الى الأرض الغنية بالخيرات التى يستحوذ عليها نفر

نهم طامع أبدا فى المزيد من ترف الثراء، والاستحواذ، وسطوة الجاه.. فيحتكرون، ويجيعون الملايين المستضعفين الذين يشاركونهم الحياة على الأرض الى حد الموت، أو التخلص منهم جوعا، وعطشا، وحرمانا من أبسط مظاهر الحياة.. حتى أن المؤسسات العالمية المتخصصة مثل "منظمة الأغذية والزراعة"، و"المجلس الاقتصادى" التابع للأمم المتحدة تؤكد أن المزيد من اكتشاف الثروات الطبيعية فى الأرض، واجادة تطويرها، وحسن استخدامها، وتوزيعها كفيل بمواجهة النمو السكانى المطرد للبشر لالآف من السنين، وهو ماأكد عليه القرآن كأصل للتشريع للبشر، وقاعدة أساسية فى توزيع الثروات.. اذ يلام المستضعفين من المؤمنين على تقاعسهم، واستسلامهم للأمر الواقع، وتشبسهم بالمكان فلا يهاجروا، ويضربوا فى الأرض حيث الرزق الوفير:

"-ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها" النساء 97..

ويعزز هذا الاتجاه الضرب فى الأرض للرزق، أو الجهاد، أو اكتشاف الثروات الطبيعية مع اتباع قاعدة الاستخلاف، ونفع الناس.. بل يعتبر أيضا استجلابا لمرضاة الله، وطمعا فى أجره تعالى فى الآخرة:

"-ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما" النساء 100..

وقد حدد القرآن خمس مبادئ ينبغى للانسان السير عليها فى هذا الشأن بما ضربه لنا كمثل للجنوح، والشهوة، والأثرة، والبغى، والاستعلاءعلى الناس تيها، وغرورا؛ وهو قارون الذى كان من قوم موسى وقد عرفها الحكماء من قومه، ولم يبخلوا عليه بتذكيره بها:

1- "لاتفرح ان الله لايحب الفرحين(76..(
2- "وابتغ فى آتاك الله الدار الآخرة.."
3- "ولاتنس نصيبك من الدنيا.."

4- "وأحسن كما أحسن الله اليك.."

5- "ولاتبغ الفساد فى الأرض ان الله لايحب المفسدين(77)" القصص ..

والمال فى الاسلام أحد ثلاثة:

1- موروث..

2- مكتسب..

3- لاموروث، ولامكتسب.. ولكن الله أغدقه مباشرة على أفراد، أو مجتمع مثل.. الأنهار، والآبار، والبترول، وأعشاب البرية، وثمار الغابات، وخيرات البحار ..

فالمال شهوة مجنونة، وزينة مثيرة للفتن:

"-وتأكلون التراث أكلا لما(19) وتحبون المال حبا جما(20)" الفجر..

"-انما أموالكم وأولادكم فتنة" الأنفال 28، التغابن 15..

"-ان الانسان لربه لكنود(6) وانه على ذلك لشهيد(7) وانه لحب الخير لشديد(8)" العاديات..

"-زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة والله عنده حسن المآب" آل عمران 14..

أولا: المال الموروث:

حرص القرآن الكريم على تنظيم المواريث بقواعد محددة لعملية انتقال حيازة المال بين الأصول، والفروع؛ وبالتفصيل مؤكدا على حقيقة الرؤية الاسلامية من خلال المصلحة العامة لمجتمع المورث، والورثة طبقا للقاعدة:

"-انما المؤمنون أخوة" الحجرات 10..

ضمن القرآن الكريم حق المورث فى استثناء مايشاء من ماله – فى حدود الثلث – كوصية يختص بها وريثا معينا درءأ لخطر، أو اشباعا لحاجة، أو تلبية لضرورة، أو التماسا لصدقات مابعد الموت.. بشرط ألا تضر بالورثة، أو تثير بينهم العداوة، والبغضاء:

"-فان كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين" النساء 11..

وقد وضع الله الوصية، والدين فى سلة واحدة، وأضفى عليها نوعا من الحماية، والأولوية.. وذلك باستقطاعهما ابتداء قبل توزيع الارث، وانطلاقا من قاعدة أخوة المؤمنين، والاحسان بعد الاسلام، والايمان.. ثم يأتى أمر الله للمسلمين المؤمنين:

"-واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا" النساء 8..

وهى قاعدة تكسر حدة الشهوة، والاستئثار لدى الورثة، وتبدد شرور الحقد، وآثام الحسد؛ رغم ماخاض فيه البعض من ضعاف العقول، ومرضى الاستحواذ، والأثرة، والنفاق لذوى الأموال، والنفوذ بأن النص منسوخ ..

ثانيا: المال المكتسب:

الأصل فى الكسب هو عائد العمل سواء أكان بدنيا، أو ذهنيا، أو مهنيا، أو تجاريا.. وشرطه أن يكون محررا، ومجردا من كل اثم.. ومن الاثم:

1- الاغتصاب، والسرقة..

2- ربح ميسر(بدون عمل أو جهد..(

3- مقابل بغاء، أو تستر على اثم..

4- فوائد ربا..

5- عوائد التجارة من غش، أو حبس، أو احتكار، أو مبالغة فى تحديد القيمة بلا أساس..

6- تخسير الوزن..

7- التزيين، والتضخيم، أو بسبب التنبؤ بغلاء السعر فى المستقبل..

8- الرشوة، والهدية فى مقابل خدمة..

9- المال العام..

-10شح الصدقة، والزكاة بمال مستحق لم يتم اخراجه، أو تأخر اخراجه..

- 11 استرداد مال صداق الزوجة بامساكها لتفتدى نفسها به:

"-واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولاتتخذوا آيات الله هزوا" البقرة 231..

ثالثا: لاموروث ولامكتسب:

وهو مما خلق الله لعباده فى الأرض من مياه بكافة مصادرها؛ أنهار، أمطار، آبار، بحار، وماتخرجه الأرض من معادن، وبترول، وغاز.. فضلا عما تخرجه من أشجار، وأعشاب، وثمار، وحبوب للأكل، والرعى للحيوان، وكلها ملك لله.. منحها لخلقه من أجل الانتفاع بها بنص القرآن:

"-هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا" البقرة 29..

"-لله ملك السموات والأرض ومافيهن" المائدة 20..

"-ألم تر أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم" السجدة 27..

"-وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" الحديد 25..

وحق الانتقاع من أهداف الخلافة فى الأرض، وتمام الانتفاع مشروط:

"-يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام" المائدة 95 ..ومشروط بحق المجتمع الفورى، وحصول الفائدة من الانتفاع:

"-وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين" الأنعام 141..

ومشروط بألا يحقق باطلا.. مثل شراء ولاة الأمر، والتأثير على أهل الحل، والعقد من الأمة:

"-ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون" البقرة 188..

ولاعبرة بادعاء البشر ملكية خاصة على أجزاء من الأرض، وأنواع من خيرها؛ وهو ادعاء يقوم على الأنا، وشهوة الأثرة، لأنها ملكية ربانية، ولايدعى أحد من البشر خلق أى منها:

"-ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" الزمر 38..

"-أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون(36) أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون(37)" الطور..

اذا :

-المال لله.

-الانسان بالنسبة للمال: وكيل، ومنتفع.

القاعدة:

"-لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" آل عمران 92..

والبر فى اللغة ضد العقوق.. وقد حدد الله البر فى قوله :

"-ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس" البقرة 177..

وتلخصه الآية فى خمس نقاط:

1. الايمان (عقيدة.(
2. الزكاة والصدقة (عمل.(
3. الصلاة (عمل.(

openkandil.com

4. الوفاء بالعهد (عمل.(

5. الصبر (عمل.(

وهى تبدأ بالعقيدة، وتنتهى بالاستشهاد فى سبيل العقيدة..

-الإنسان نفسه مال.. مقولة اقتصادية غربية معاصرة ..

-وفى الشريعة: الإنسان :

-1خليفة الله فى أرضه ..

-2ويد الله التى تعمر الأرض، وتستحوذ على النعمة، وننفقها فى مصارفها ..

-والانفاق نوعان :

-1 لسد الرمق، وشراء الحاجات اليومية المعيشية ..

-2 الإدخار، والإستثمار ..

-والإنفاق مشروط بنص الآيات:

"-يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" الأعراف 31 ..

ولا تستهجن الآيات الزينة للانسان فى غير اسراف.. فلا زهد، ولا تقشف، ولا رهبنة فى الإسلام :

"-ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" الحديد 27 ..

فلا تخمة.. ولا امتلاء.. ولا تبذير.. ليس خوفاً من النفاذ، ولكن لأن هناك من هو محدود القدرة فى الحصول على هذه الكميات من الأكل، والشرب، والزينة ..

>-من كان عنده فضل مال فليأت به على من لا مال عنده ..<

>-والله لا يؤمن.. والله لايؤمن.. والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم ..<

والإتزان هو :

"-والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً" الفرقان 67 ..

والقصد فى الإنفاق هنا سواء على نفسه، وأهله، أو على المحتاج . .

"-كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" الأنعام 41..

فلا اهلاك للنفس، والأهل، ولا اغداق على المحتاج حتى تبطره النعمة، ولكن يمكن افادة أكثر من محتاج.. والا دخل المنفق هنا فى دائرة السفه الذى يوجب الحجر، وهذه الوفرة يطلق عليها حالياً "الفائض".. وكان المسلمون الأوائل يسمونها "الفضل".. كما ذكر نص الحديث، ويقول عنه القرآن "العفو :"

"-ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو" البقرة 219 ..

-وهناك طريقتين للتعامل مع فضل المال:

1. الادخار. .
2. الاستثمار. .

والادخار نوعان:

-ادخار للظروف الطارئة مثل: الحج، والزواج، والعلاج، والبطالة.. الخ، وهو محمود حيث لا يبعد عن اقامة حياة كريمة للانسان. .

-الاكتناز بغرض حبسه عن المجتمع استحواذاً، وآثرة.. وهو مكروه، وملعون لتضييق الحياة بذلك على الناس، وحرمانهم من ثمرات تدوير هذا المال.. وجامع المال لأجل الجمع عادة ما يكون ذو أمراض أخلاقية خطيرة، فهو خطر على المجتمع أخلاقياً، ومالياً.. إذ أن الفرد عادة فى خدمة مجتمعه:

مناع للخير معتد أثيم(12) عتل بعد ذلك زنيم(13) أن كان ذا مال وبنين (14)" ن..

وهو فى غفلة من أمره:

"-ألهكم التكاثر(1) حتى زرتم المقابر(2)" التكاثر..

"-ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم" التكاثر 8..

"- وانفقوا من مارزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها" المنافقون 11..

"-أرأيت الذى يكذب بالدين(1) فذلك الذى يدع اليتيم(2) ولايحض على طعام المسكين(3) فويل للمصلين(4) الذين هم عن صلاتهم ساهون(5) الذين هم يراءون(6) ويمنعون الماعون(7)" الماعون ..

وهنا يسوق تعالى طائفة أخرى من سوء أخلاق هؤلاء حيث لايصلون الا ليراهم الناس؛ طلبا لرضاهم، والثناء عليهم، وليس لرضى الله تعالى.. كما أنهم اذا أنفقوا يعايرون الناس، ويتيهون عليهم بالصدقات، وهو منهى عنه:

"-ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس" البقرة 262..

ثم تأتى الطامة الكبرى بدخول صفوة المجتمع.. وهم رجال الدين فى رذيلة الاستحواذ بأكل أموال الناس بالباطل :

"-يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل" التوبة 34..

والنتيجة الحتمية لهذا:

"-ويصدون عن سبيل الله" التوبة 34..

يؤدى الجمع إلى النهب، وخداع العباد باسم الدين، فيصد عن سبيل الله من هداية، وارشاد للناس، فهذا الواعظ (وقد دخل وعاظ المسلمين الآن فى زمرتهم بجدارة).. الراهب قد اكتنز بطنه، وتشحم، ومن يعظهم يعيشون على الرمق.. فهل يصدقون مواعظه؟..!

ولو اكتنز بعض التجار ثرواتهم فى خزائنهم، وامتنعوا عن اخراجها، واستخدامها فى انتاج السلع الضرورية للمجتمع لشحت هذه السلع فى الأسواق، وارتفعت أسعارها الى جانب اتساع نطاق البطالة، وانتشار موجات الاجرام،

والفتن، والثورات.. وقد حرصت الدول الرأسمالية بالذات على وضع القوانين المانعة للاحتكار، والاكتناز، ومن قبلهم حظر الاسلام هذا الاتجاه:

"-والذين يكترون الذهب والفضة.."

"-ولاينفقونها فى سبيل الله.."

"-فبشرهم بعذاب أليم.."

ويركز القانون فى الآيات على ثلاث كلمات:

"-يكترون.."

"-ولاينفقونها.."

"-فبشرهم بعذاب.."

وهؤلاء لهم البشرى بالعذاب كما كان لهم البشرى فى حياتهم دائما بمصائب الناس من جراء كترهم، وعدم انفاقهم..

وقال صلى الله عليه وسلم:

>>-لايحتكر الا خاطىء..<<

>>-من احتكر حكره يريد بها أن يغلى على المسلمين فهو خاطىء..<<

وعن عمر رضى الله عنه قال:

"-من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام، والافلاس.."

وكان فى خلافته رضى الله عنه يشرف بنفسه على الأسواق، ويقول:

"-لاحكرة فى سوقنا لايعمد رجال بأيديهم فضول مال من ذهب الى رزق من أرزاق الله ينزل بساحتنا فيحتكرونه علينا.."

وعن ابن عمر قال:

"-من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله، وبرىء الله منه.."

وعن معقل بن يسار قال:

obeikandi.com

"-من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة.."

وقد يشترى المال بسطوته كرسى السلطة؛ كما اشترى معاوية، وابن العاص أعلى مراتب السلطة الاسلامية بخراج مصر، والشام، وأخذا البيعة لخلافة وراثية فى بنى أمية، وكانوا أول من أقاموا الدولة الاسلامية على أساس من الحزبية السياسية الشمولية، بدلا من شورى أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى.. كما حاولت ملكة سبأ من قبل شراء سلطانها، وعرشها من نبى الله سليمان عليه السلام وهى تجربه ان كان نبيا أم ملكا مدعيا:

"-وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون" النمل 35..

وكما كان ولاة العثمانيين يفعلون بعد احتلال سليم الأول لدول الوطن العربى من ارسال الهدايا، والأموال للسلطان فى الأستانة كى يظل فى حكم الولاية مرهقا المحكومين بمزيد من الضرائب، والاتاوات مضيقا عليهم أسباب معيشتهم..

ومن مقال الأستاذ عبد الله نصار فى جريدة الجمهورية الصادرة فى 19 من أكتوبر 2006 الذى يورد تقرير "منظمة الشفافية الدولية" عن دراسة هامة أجرتها عن الرشاوى، والفساد فى الصفقات التجارية، وقامت باستطلاع آراء 11 ألف شركة، وممثليها فى 126 بلدا حول العالم..

تقول الدراسة أن شركات دول مثل روسيا، والصين، والهند، والبرازيل تلجأ الى دفع رشاوى للفوز بالصفقات الكبيرة، وكشفت المنظمة عن فضائح، وفساد.. مثل تجاوزات شركة "هاليبرتون" الأمريكية، وحصولها على عقود مشبوهة، وفضائح أخرى مثل ماجرى فى برنامج "النفط مقابل الغذاء" للأمم المتحدة فى حصار العراق، تضمنت تقديم رشاوى بنحو 1،18 مليار دولار، وتورط 2400 شركة حول العالم فى هذه القضية..

وتؤكد المنظمة أن الشركات الدولية لاتستطيع الحصول على المناقصات، أو الصفقات الا بتقديم الرشاوى.. ولكن هناك شركات من السويد، وسريسرا، والنمسا كانت أقل الدول ميلا الى تقديم الرشاوى..

ويكشف التقرير عن السبب الحقيقى للفساد، والافساد فى الدول النامية.. وهى الشركات الكبرى، والدول الغنية التى تصدر كل الكوارث الى الدول الفقيرة، والنامية ليس فقط بعدم فتح أسواقها أمام الصادرات من هذه الدول.. بل انها تقدم الرشاوى، والاتاوات لفتح هذه الأسواق بالدول النامية بطرق ملتوية.. حتى تظل السيطرة لهذه الدول على الدول الفقيرة، والنامية ..

وقد نبه تعالى على أثر المال، وخطره على الأفراد، والمجتمعات بصفة عامة:

"-انما أموالكم وأولادكم فتنة" الأنفال 28، التغابن 15..

ويدل على ذلك مارآه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وجد الأنصار فى بلدهم، وبين أهليهم، وأموالهم.. بينما المهاجرون الذين نجوا بدينهم يعانون الغربة، والحاجة، والقلق على ماخلفوه فى مكة من أهل، ومال على الرغم من مآخاة الرسول – كحل مؤقت- بينهم (المهاجرين، والأنصار).. الا أنهم مازالوا فقراء، والأنصار مازالوا أغنياء؛ يزدادون غنا فيشير علي الأنصار فى أموال بنى النضير :

>>-ان شئتم قسمت أموال بنى النضير بينكم، وبينهم – المهاجرين – وأقمتم على مواساتهم – مشاركتهم – فى ثماركم، وان شئتم أعطيتها للمهاجرين دونكم، وقطعتم عنهم ماكنتم تعطونهم من ثماركم ..<<

فرد عليه الأنصار ليؤكدوا صدق ايمانهم، وامتداد كرمهم:

-بل تعطيهم دوننا، ونقيم على مواساتهم..

فيتزل وحى السماء مصدقا على نظرة الرسول الكريم نحو عدالة توزيع الثروات فى مجتمع المدينة، وبيان أن هذه الثروة التى طرأت عليهم ليست غنائم حرب بذلوا فيها مشقة ركوب الخيل، وتجريد السلاح، والقتال، ونيل الشهادة.. بل هى فىء الهى كرزق رده اليهم من الرعب الذى ألقاه فى قلوبهم من هيبة رسول الله:

"-وألقى فى قلوبهم الرعب" الحشر 2..

"-ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير" الحشر 6..

ولاينبغى تقسيمه بينهم قسمة الغنائم – كما يريدون – فيكون الخمس للرسول، وذوى القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والأخماس الأربعة الأخرى من نصيب المقاتلين كما يحدث فى الحروب، والغزوات.. فيقول تعالى:

"-ومأأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير(6) مأأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم ومآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب(7) للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون قضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون(8) والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون(9) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم(10)" الحشر..

وقد أقرت كقاعدة فى التشريع يبين فيها تعالى الفيء، وصفته، وحكمه، ومصارفه:

"-مأأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل" الحشر 7..

لماذا؟..!

"-كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم" الحشر 7..

فتعطى كلها للفقراء المستحقين، وليس أدل على ذلك من أن الرسول الكريم لم يقصرها على الفقراء من المهاجرين فقط.. بل ورد فى الخبر أنه أعطى منها أيضا اثنين من الأنصار ذوى حاجة..

و الوسطية، والاعتدال هى التى تميز قواعد الاسلام عامة؛ دون تطرف، ولاتعصب.. فهو ضد الاغراق، والانغلاق، والتسيب، والاسراف، والتكبر، والخيلاء:

"-لايكلف الله نفسا الا ماآتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا" الطلاق 7..

"-والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما" الفرقان 67..

وروى الطبرانى عن ثوبان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله عليه وسلم:

-مايكفينى من الدنيا؟..

>>-ماسد جوعك، ووارى عورتك، وان كان لك بيت يظلك فذاك، وان كانت لك دابة فبخ..<<

فلك من ضرورات الحياة المأكل، والملبس، ولابأس من امتلاك بيتا، أما الدابة، أو السيارة بلغة العصر، وكمالياته من أجهزة ترفيهية، ومصايف، ومنتجعات فهو زيادة فى الانفاق، وترف لايجوز فى مجتمع يفتقر فيه المسلمون الى المطعم، والمصنع، والمستشفى، أو دار للعلم..

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

>>-كل شيء فضل عن ظل بيت، وكسر خبز، وثوب يوارى عورة ابن آدم؛ فليس لابن آدم فيه حق..<<

>>-يجاء بابن آدم كأنه بذج(ولد الضأن تصغيرا وتحقيرا) فيوقف بين يدى الله، فيقول تعالى:

-أعطيتك، وخولتك، وأنعمت عليك.. فماذا صنعت؟..!

فيقول:

-يارب جمعته، وثمرته، فتركته أكثر مما كان فأرجعنى آتك به..

فيقول له:

-أين ماقدمت؟..!

فيقول:

-يارب جمعته، وثمرته، فتركته أكثر مما كان فأرجعنى آتك به.. فاذا عبد لم يقدم خيرا.. فيمضى به الى النار..<<

والعقاب الشديد لمن خان الأمانة التى أعطاها الله له كوكيل، ووسيط له تعالى ليؤتيها الغير؛ فخص بها نفسه دون أصحاب الحق فيها؛ فزاد ترفه، وتنعمه.. وان كان تعالى ليحب أن يرى أثر النعمة على عبده، الا أنه يخشى عليه من زيادتها، وعدم انفاقها فتطغيه، وتفسده، حيث يعلم تعالى فطرته التى فطره عليها:

"-كلا بل لا تكرمون اليتيم(17) ولا تحاضون على طعام المسكين(18) وتأكلون التراث أكلا لما(19) وتحبون المال حبا جما(20)" الفجر ..

"-ان الانسان لربه لكنود(6) وانه لحب الخير لشديد(7)" العاديات..

"-كلا ان الانسان ليطغى(6) أن رآه استغنى(7)" العلق..

وهذه الآيات هى التى جعلت صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن عمر لاينامون الليل قبل أن يخرجوا كل مارزقهم الله من يومهم الى فقراء المسلمين..

والترف، والتنعم من أخطر مايصاب به الانسان حيث تزيده كبرا، وخيلاء، ومن ثم غرور المال، والفساد، والافساد؛ فلا يأمر بمعروف، ولاينه عن منكر:

"-واتبع الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين" هود 116..

"-واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" الاسراء 16..

ولذلك:

"-يابنى آدم خذوا زينتكم عن كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين" الأعراف 31..

"-من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم" الحديد 11..

"-خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم(103) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم(104)" التوبة..

"-مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" البقرة 261..

"-الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون" البقرة 262..

"-ياأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة" البقرة254 ..

"-للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم" البقرة 273..

فى مجال الانفاق من أجل الحرب، والرباط بالمال، والنفس؛ منع النبى صلى الله عليه وسلم صحابيا من الاشتراك فى احدى الغزوات، ورده على أبويه ليجاهد فى رعايتهما..

وفى الانفاق عموما حذف رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا آتاه ببيضة من ذهب يتصدق بها، وهى كل مايملك لنفسه، وأهله، وهو يقول:

>>-يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة.. ثم يقعد يتكفف الناس.. خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى..<<

وهو ماأمر به سبحانه فى كتابه العزيز:

"-يسألونك ماذا ينفقون قل العفو" البقرة 219..

والعفو هو مايفضل عن الأهل، ويزيد عن الحاجة..

وقال صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك عندما جاءه يريد أن ينخلع من ماله كله:

>>-أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك..<<

وقال:

>>-من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له..<<

>>-لابأس بالغنى لمن اتقى ..<<

-وعن سعد بن أبي وقاص قال: جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت: يارسول الله بلغ بى الوجع ماترى، وأنا ذو مال، ولايرثنى الا ابنة لى.. أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟.. قال:

>>-الثلث.. والثلث كثير.. انك ان تذر ورثتك أغنياء؛ خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس.. وانك ان تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله عز،، وجل الا أجرت بها؛ حتى ماتجعل فى فم امرأتك ..<<

ومن هنا كان مبدأه صلى الله عليه وسلم:

>>-ابدأ بمن تعول..<<

وهو الزوجة، والأبناء، وقد يكون الأب، والأم، وأقرباء، وغرباء..

والانفاق نوعان..

أولهما: أحد أركان الاسلام.. وهومصرف الزكاة..

ثانيهما: مصرف يحبه الله، ورسوله، وهومصرف الصدقة:

"-خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" التوبة 103 ..

شدد الله تعالى فى أمر الزكاة بأسلوب مباشر فى خمس وثلاثين آية من القرآن، بينما لايتجاوز عدد آيات صيام رمضان السبع آيات، وعدد آيات فريضة الحج نحو أحد عشر آية..

وكما فى الصلاة – وقد اقترنت غالبا بالزكاة فى كثير من الآيات – خلا القرآن الكريم من تحديد قاطع للقدرة المالية الملزمة لمن تجب عليه الزكاة كفرض تعبدى ملزم.. ولم يحدد الحق سبحانه، وتعالى قدر الزكاة، أو نسبتها من المال.. وتركت للرسول صلى الله عليه وسلم كولى أمر المسلمين يستوحى قواعد الزكاة

من واقع الظروف الاقتصادية، والاجتماعية للمسلمين فى عصره.. فيمكن للصلاة أن تكون بوحى الهى بحكم رضى الله المشرع عن الشكل الذى يرضى عنه، والهيئة التى تليق بعظمته.. أما الزكاة فقد يكون الجزاء الحسن منه تعالى، والأداء من البشر للبشر فيدخل فيها رسوله تعالى الى البشر بالتقدير، والتشريع.. وانسحب هذا على صحابته الكرام عند تغير الظروف الحياتية، والمالية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا عمر بن الخطاب يخضع الخيل للزكاة، بعد أن كان الرسول يعفى منها أصحابها.. ثم يعدل بعدهم الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان نسبة الزكاة المقررة على الخيل منذ أيام عمر بن الخطاب فى غير ماحرج.. ومن هنا فلا بأس من تحريك أموال الصدقات صعودا، وهبوطا مع ضخامة المال، وقلته مايرفع عن فقراء المسلمين مذلة الحاجة اذا ولى الأمر ذلك..

ويقدر بعض الاقتصاديين أدنى حصيلة يمكن جمعها وفق احصاءات عالمية عن دخل مسلمى العالم كأفراد فوق حد الكفاف سنة **1984** مبلغا قدره نحو **57** مليار دولار.. تستطيع به أى منظمة ترعى فقراء المسلمين سداد الكثير، والكثير من احتياجاتهم من الغذاء، والكساء، والايواء ..

يقول صلى الله عليه وسلم:

>>-أمرت أن آخذ من أغنيائكم لفقرائكم..<<

>>-أبغونى فى ضعفائكم، انما تنصرون، وترزقون بضعفائكم..<<

>>-يامعاذ أعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم.. فترد على فقرائهم..<<

-وقال أبو سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أصنافا من المال حتى رأينا أن لاحق لأحد منا فى فضل..

وهذا يعنى أن حصيلة الزكاة وديعة الهية لدى الأغنياء، وأن أداءها دينا لله على الغنى؛ وقد أسقط أبو حنيفة، والشافعى ملكية الغنى فى قيمة الزكاة فى المال يوم الاستحقاق، وأبطلا تصرفه فيه بالبيع، أو الهبة على أساس أنه باع ما لا يملك..

وعن عائد الزكاة؛ يقول صلى الله عليه وسلم:

>>-من أدى زكاة ماله؛ فقد ذهب عنه شره..<<

وعن نوعيتها يقول:

>>-ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمان: من عبد الله وحده، وعلم لا اله الا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام.. ولم يعط الهرمة، ولاالدرنة، ولاالمريضة، ولاالشرط اللئيمة، ولكم من وسط أموالكم، فان الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره..<<

ويعين تعالى وسطية الانفاق:

"-والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما" الفرقان 67 .

زكاة الفطر:

قال الفقهاء فى حكمها: هى سنة واجبة، وليست سنة محببة.. حيث أن صوم رمضان معلق القبول حتى تؤدى؛ فقال عنها صلى الله عليه وسلم:

>>-صدقة الفطر طهارة للصائم من اللغو، والرفث، ورفقا بالفقراء فى يوم الفطر لاغنائهم بها عن السؤال فى هذا اليوم..<<

الكفارات:

خلق تعالى الانسان حرا، مختارا، وترك له أمر الكفر، والايمان، وتركه أيضا يأخذ من الايمان بقدر طاقته الروحية التى ركبت فيه:

"-ونفس وماسواها(7) فألهمها فجورها وتقواها(8) قد أفلح من زكاها(9) وقد خاب من دساها(10)" الشمس ..

والحر المختار عادة مايقع فى الخطأ؛ سهوا، أو عمدا.. وقد أخذ المشرع العصرى فكرة العقوبات البدنية، والمالية، والنفسية من التشريع السماوى لكفاءته فى الردع، والتبصر قبل الوقوع فى الخطأ، ثم استفادة المجتمع من العقوبات المالية بجعلها لفقرائه لرفع مستوى معيشتهم باستمرار، وهو ماأسماه الفقهاء بالكفارات استلهاما من لفظ القرآن:

"-لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم" المائدة 89..

"-ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام" المائدة 95..

"-وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" البقرة 184..

"-وأتموا الحج والعمرة فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ولاتحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أمنتم فمن تمتع من العمرة الى الحج فما استيسر من الهدى" البقرة 196..

"-والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذالكم توعظون به والله بما تعملون خبير (3) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (4)" المجادلة..

وقال صلى الله عليه وسلم:

>>-الصدقة تطفىء المعصية كما يطفىء الماء النار ..<<

الصدقة العامة المنثورة :

يتوهم كثير من المسلمين أن أوجه الانفاق فى الاسلام لاتتجاوز الزكاة بنوعيها: المال، والفطر.. فمن بين سور القرآن 114 ورد فى 37 منها تذكير الله تعالى الدائم ببر الفقراء، واستغرق الحديث عن ذلك 97 آية؛ وهذه طائفة منها:

"-انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" التوبة 60 ..

"-ماسلككم فى سقر(42) قالوا لم نك من المصلين(43) ولم نطعم المسكين (44)" المدثر..

"-ماأغنى عنى ماليه(28) هلك عنى سلطانية(29) خذوه فغلوه(30) ثم الجحيم صلوه(31) ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه(32) انه كان لايؤمن بالله العظيم(33) ولايحض على طعام المسكين(34) فليس له اليوم هاهنا حميم(35) ولاطعام الا من غسلين(36) لايأكله الا الخاطئون (37)" الحاقة ..

"-وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى" الليل 18..

"-ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم" الحديد 18 ..

"-ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم" التغابن 17..

ويأتى عمرو بن الجموح، وهو شيخ كبير، وذو مال عظيم ليتوجه لرسول الله بالسؤال: أين نضع أموالنا؟.. وفيما ننفقها؟.. وتنزل الآية الكريمة:

"-يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فان الله به عليم" البقرة 215..

وقال صلى الله عليه وسلم:

>>-السخى قريب من الله.. قريب من الناس.. قريب من الجنة.. بعيد عن النار، والبخيل بعيد من الله.. بعيد من الناس.. بعيد من الجنة.. قريب من النار، ولجاهل سخى أحب عند الله تعالى من عابد بخيل..<<

>>-أيما مسلم كسى مسلما ثوبا على عرى.. كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع.. أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلم على ظمأ.. سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم..<<

>>-ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقرائهم، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا، وعروا الا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا، ويعذبهم عذابا أليما ..<<

ومن هنا ندرك أن قيام الأغنياء بسد عجز الفقراء وظيفة اقتصادية اجتماعية، وهى ليست مجرد اطعام الجائع، ولكنه أيضا التزام فرضه الله على الأغنياء ليحد من شهوة الأثرة، وحب المال، والاكتناز، والتضخم، ومن ثم البغى، والفساد، والافساد..

وفى مصر وحدها ثلاثة أمثلة صارخة؛ أولها: أيام الاحتلال البريطانى عندما وجدت مصانع الاستعمار الانجليزى، ومعه حفنة من المرابين المصريين أن تجعل مصر مزرعة للقطن، بعد أن خسرت مزارع القطن الأمريكي بعد الثورة الأمريكية بصرف النظر عن مصلحة البلاد، والعباد طالما أنهم يجنون منه الثراء الفاحش، والنهب المحرم..

وثانيها: ماحدث تحت اسم الانفتاح.. فتحكم فى مصر، وسياساتها حفنة من التجار، والمصرفيين، والسماسرة؛ ونهبوا مدخرات البنوك، وأغرقوا البلاد فى طوفان من الاستهلاك الرخيص، فى الوقت الذى سعوا فيه الى تدمير قلاع الصناعة النامية بها، وتوظيف زراعتها فى انتاج الثمار، والمحاصيل التى يعود عليهم تصديرها بالربح الخرافى المهول مثل الفراولة، والكنتالوب.. دون توفير محاصيل رغيف العيش من قمح، وذرة..

وثالثها: عندما قنن النهب، والسرقة بعد هذه المرحلة ليصبح النهب، والسرقة حقا مباحا لمن أراد أن يشترى السلطة، والسلطان باسم القانون الذى وضع ليخدم هذه الطائفة، ومصالحها.. التى طغت فى البلاد.. فأكثرت فيها الفساد ..

وأشار تقرير البنك الدولى ذو العلاقة الوثيقة بالعاصمة الأمريكية فى مارس 1986 الى أن العالم يعانى التدهور الاقتصادى، والعجز المالى، والمجاعات رغم وفرة الانتاج الغذائى العالمى، وتفوقه على معدل النمو السكانى.. وهذه نتيجة حتمية لعدة أسباب عالمية، ومحلية؛ مثل التفاوت الكبير فى ثروات الدول، والأفراد فى الدولة الواحدة، والهيمنة المالية، والاقتصادية لقلة من الدول المتقدمة علميا، وصناعيا على غالبية الدول المتخلفة رغم ثراء قدرتها الزراعية، والتعدينية؛ بسبب تواطؤ قلة وطنية رأسمالية، متطلعة الى الاثراء على حساب شعوبها، وافتقارها القاتل الى الغذاء، والعلاج، وقد قرأنا كثيرا عن ملوك القمح الفائض الذى يحرقونه فى

أوروبا، وأمريكا، والزبد، واللبن الذى يلقونه فى البحار، والمحيطات، والبن الذى يرصفون به الشوارع فى البرازيل، واللبن الذى سكبوه بمصر فى الترع دون التبرع به، أو بيعه بسعر التكلفة (وهؤلاء مسلمون).. اصرارا منهم على الثراء الفاحش، وحرمان، واذلال المحتاجين شعوبا، وأفرادا.. ونعلم الآن ماتمر به أمريكا من أزمة اقتصادية يتنبأ أكثر المتفائلين من الاقتصاديين بأنها بداية النهاية، وتتبعها الآن أوروبا التى جمعها الله فى اتحاد، تسقط فيه أكثر من دولة بالانهيار الاقتصادى، والافلاس لتقوم باقى دول الاتحاد لنجدتها حتى تفلس هى الأخرى، ناهيك عن ثورات الشعوب التى تدفع من أموالها، وضرائبها، وجاء الدور على لصوص مصر، وباقى دول البترول، يقول تعالى:

"-ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير" آل عمران 180 ..

نشرت الجمهورية فى عددها الاسبوعى الصادر فى15 من فبراير2007 عن التحقيق الذى يجريه "مكتب مكافحة الاحتيال البريطانى" فى لندن عن تورط 2200 شركة فى فضيحة دفع رشاوى مالية لنظام الرئيس العراقى الراحل صدام حسين فى ظل "برنامج الغذاء مقابل البترول" الذى أشرفت عليه منظمة الأمم المتحدة..

وقد تمت الرشاوى فى صورة تضخيم قيمة التعاقدات بنسبة 10 % ، ومن بين الشركات التى شملها التحقيق شركات "جلاسكو سيمشكلين"، و"زينيكا وايلى" الكيميائية، وشركة "مايين أند جونسون" للبناء، وهناك توصية بضرورة التحقيق مع عضو البرلمان البريطانى "جورج جلاوى" بتهمة خرق العقوبات المفروضة على العراق بحصوله على أموال بترول من صدام..

وفى دولة الاسلام يوجد المشركون، والكتابيون، وربما أسرى من الأعداء يأبى الله على المسلمين ألا يبخلوا عليهم من فضل الله:

"-لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان يحب المقسطين" الممتحنة 8..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع الأسير الى المسلم قائلا: أحسن اليه..

واثنى تعالى على الأبرار الذين:

"-يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا(7) ويطعمون الطعام على حبه مسكيا ويتيما وأسيرا(8) انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءا ولاشكورا(9)" الانسان..

الجزية والعشور والخراج :

الجزية: هى أشبه بضريبة الدفاع، والخدمات الأمنية، والمعيشية، وهى أول ضريبة تصاعدية فى العالم تطبق بمقدار 48 درهما على الموسر، 24 درهما على متوسط الدخل، 12 درهما على ماهو دون ذلك، ويعفى منها الفقراء..

العشور: تعتبر كضريبة تعتمد على نسبة العشر لجباية المال، تفرض على حاصلات الزروع، وعمليات البيع، والشراء، وكانت تفرض على الأراضى المملوكة للمسلمين حربا، واقطاعا، واستصلاحا، كما فرضت على الأراضى التى أسلم أهلها، وهم عليها دون حرب، وكذلك فرضت على التجار الأجانب غير المسلمين عند قدومهم الى ديار الاسلام برا، أو بحرا على أن تكون مرة واحدة فى السنة حتى لو تكرر قدومه..

الخراج: وفرضت على الأراضى المفتوحة، ولم يوزعها ولى الأمر اقطاعا، او منحة على المسلمين، وفق الوحى الالهى بقسمة غنائم الحرب:

"-واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل" الأنفال 41 ..

تلك الأرض التى اعتبرت فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ملكا عاما للمسلمين، بدأت قصتها بعد فتح العراق، وتفاقمت بعد فتح الشام، ثم بلغت الذروة بعد فتح مصر..

ففى العراق طلب المحاربون من سعد بن أبى وقاص أن يقسم بينهم أربعة أخماس الأرض التى فتحوها بسيوفهم اعمالا لنص القرآن، وكذلك طلب المحاربون

من أبو عبيدة بن الجراح فى الشام، ثم طلبوا ذلك من عمرو بن العاص بعد فتح مصر، وامتنع الأمراء الثلاثة للجيوش الفاتحة عن تلبية طلب الفاتحين، بتقسيم الأرض عليهم.. ولم يتشاور القادة فيما بينهم، بل اتفقوا أن يردوا الأمر الى الخليفة عمر بن الخطاب ..

ويجمع الفاروق عمر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشاورهم فى الأمر.. فيشير عليه عبد الرحمن بن عوف بالتقسيم، فيقول النابغة الحقوقى عمر رضى الله عنه:

-فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت، وورثت عن الآباء، وحيزت؟!.. ماهذا برأى..

ويلحون عليه فى التقسيم؛ فيبدى رأيه من وجهة أخرى:

-لست أرى ذلك.. والله لا يفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نيل، بل عسى أن يكون كلا على المسلمين.. فاذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها؛ فما يسد به الثغور؟!.. وما يكون للذرية، والأرامل بهذا البلد، وغيره من أهل الشام، والعراق؟..!

ويكثر القوم على عمر قائلين:

-أتقف ماغنمناه بأسيافنا على قوم لم يحضروا، ولم يشهدوا، ثم لأبناء أبنائهم ولم يحضروا؟..!

ويصر عمر قائلا: هذا رأى..

قالوا: استشر، فيدعوا اليه المهاجرين الأول، فاختلفوا، ويطالب المقتسمين بالحسم قائلين: لتتسع دائرة الشورى ياأمير المؤمنين.. فيرسل الى عشرة من كبار الأنصار، خمسة من الأوس، وخمسة من الخزرج.. فيستشيرهم عمر:

-أنى لم أزعجكم الا لتشتركوا فى أمانتى فيما حملت من أموركم، فانى واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق، خافنى من خالفنى، ووافقنى من وافقنى.. ولست أريد أن تتبعوا هذا الذى هو هواى، معكم من الله كتاب ينطق بالحق، فو الله لئن كنت نطقت بأمر أريده ماأريد به الا الحق..

قال الأنصار:

-قل نسمع ياأمير المؤمنين..

قال عمر:

-قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنى أظلمهم حقوقهم، وانى أعوذ بالله أن أرتكب ظلما، لئن كنت ظلمتهم شيئا، وأعطيه غيرهم لقد شقيت، ولكنى رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم، وأرضهم، وعلوجهم.. فقسمت ماغنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس؛ فوجهته على وجهه، وقد رأيت ان أحبس الأرضين بعلوجها، ، وأضع عليهم فيها الخراج، وفى رقابهم الجزية يؤدونها .. فتكون فيئا للمسلمين المقاتلة، والذرية، ولمن يأتى بعدهم.. أرأيتم هذه الثغور؟.. لابد لها من رجال يلزمونها.. أرأيتم هذه المدن العظام كالشام، والجزيرة، والكوفة، والبصرة، ومصر؟.. لبد لها من ان تشحن بالجيوش، وادرار العطاء عليهم.. فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرضون، والعلوج؟..!

قال كبار الأنصار:

-الرأى رأيك.. فنعم ماقلت، ورأيت.. ان لم تشحن هذه الثغور، والمدن بالرجال، ويجر عليهم مايتقون به رجع أهل الكفر الى مدنهم..

ولكن لازال الناس يصرون على التقسيم؛ فلزم عمر الصمت ثلاثة أيام لايتكلم فى ذلك.. حتى طلع على الناس معلننا رفضه، وتعليله لهذا الرفض من واقع القرآن، والسنة عن حقيقة الاسلام فى شأن المال، والملكية، وحتمية النظر المستقبلى فى عدالة توزيع الثروات..

وقد سجل لنا أحد منظرى، ومؤرخى الاقتصاد الاسلامى مبدأ الفاروق عمر بن الخطاب المستند الى روح الشريعة الممتدة الى يوم القيامة(وقد أخذ بهذا المبدأ حديثا برنامج الأمم المتحدة للبيئة من حيث توزيع الثروات الطبيعية بين الحاضر، والمستقبل بما يسمى التنمية المستدامة التى تسمح باستخدام الثروات الطبيعية فى الوقت الحاضر بما لا يتخطى حق الأجيال القادمة فى هذه الثروات، وحتى لايستفذ الجيل الحالى كل الثروات الطبيعة دون الأجيال القادمة :(

"-انى قد وجدت حجة.. قال تعالى فى كتابه:

"-ومأأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير(6) ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب(7) -"ومأأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير(6) ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب(7).. ثم قال سبحانه:

"-للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون قضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون(8).. ثم لم يرض عز، وجل حتى خلط بهم غيرهم فقال:

"-والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (9).. فهذا فيما بلغنا – والله أعلم – للأنصار خاصة، ثم لم يرض الله حتى خلط بهم غيرهم فقال :

"-والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم(10).. فكانت هذه عامة لمن جاء من بعدهم، فقد صار هذا الفيء بين هؤلاء جميعا، فكيف نقسمه لهؤلاء، وندع من تخلف بعدهم بغير قسمة؟.."..!

وهنا أجمع المسلمون على رأى عمر الذى كتب لقادته بترك الأرض لملاكها دون تقسيم؛ ليصبح خراجها من أهم مصادر الدخل لجهاز الحكم الاسلامى.. دون النظرة المحدودة، وضيق الأفق، وتقديم المصالح الشخصية على المصالح العامة.. وهو ماأودى بالمسلمين، وحياتهم، ومستقبلهم فيما يعانون منه من الفقر، والهوان فى أنحاء العالم؛ معارضين الحقائق الثابتة:

"-ومامن دابة فى الأرض الا على الله رزقها" هود 6..

"-وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم" العنكبوت 60..

"-ولاتقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم" الأنعام 151..

"-ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم" الاسراء 31..

ولكن هذا جناه الأغنياء، والقادرين على الفقراء، وغير القادرين.. يشاركهم بعض فقهاء المسلمين من الذين جاروهم فى هذه الجناية، بل أفتوهم، وزينوا لهم التمتع بالأموال، والسفه فى انفاقها بعيدا عن المحتاجين لهذه الأموال ..

يقول صلى الله عليه وسلم:

>>-ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا الا بما يصنعه الأغنياء ..<<

وبين اعلان الصدقة، واخفائها فائدة فى كل منهما، فقد يؤدى الاعلان الى التنافس بين المنفقين، أو يوصى المنفق زوجته، أو أولاده، أو أحد ذويه فى العلن باخراج الصدقة لتعوديهم على الانفاق، واشعارهم بالسعادة التى تنتاب المنفق، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر عائشة بأن تذبح شاة، وقد يكون فى السرية مايرفع الحرج عن المحتاج خاصة ان كان هذا المحتاج مثلا موسرا، ولكنه فى ضائقة مؤقتة، وقد يحب المنفق السرية فيما ينفق كأن يعطى الأرملة مثلا، أو احدى قريباته دون اثارة حفيظة زوجته، أو أولاده.. يقول تعالى:

"-ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون بصير" البقرة 271..

"-الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون" البقرة 274 ..

يقول الحديث القدسى عن رب العزة:

}-الفقراء عيالى.. والأغنياء وكلائى.. فمن منع مالى عن عيالى أذقته نارى، ولاأبالى..{

ويقول الرسول الكريم:

>>-أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا.. فقد برئت منهم ذمة الله..<<

>>-ياأبا ذر: اذا اشتريت لحما، أو طبخت قدرا فأكثر مرقته، واغرف لجارك منه..<<

>>-تهادوا.. فان الهدية تذهب حر الصدر ..<<

>>-تهادوا.. تحابوا ..<<

حق المسلمين فى المصادرة والتأميم:

يقول الرسول الكريم:

>>-المسلمون شركاء فى ثلاث: الماء، والكلأ، والنار.. وثمنه حرام..<<

والماء مفروغ منه، أما الكلأ فهو المرعى، ولاتستأثر به جماعة دون الأخرى، والنار تنسحب الى مواد الطاقة فى العصر الحديث من بترول، وكهرباء، وفحم، عدا الطاقة الشمسية التى أعطاها الله كاملة للمسلمين هى ومصادر الطاقة الأخرى، فاستفاد بها غير المسلمين، حتى أنهم يفرضون عليهم اقامة مشاريع الطاقة الشمسية فى أراضيهم التى حباها الله بالضياء طول العام بحجة أن الشمس لكل البشر..

وقد تنزل كارثة ببلد كالجفاف مثلا.. فيضطر أهله الى مصادرة جميع ماتحت يد الأغنياء من تجار، وأمراء، وغيرهم من مال، أو طعام، وخلافه بهدف اعادة توزيعها على الناس بالتساوى لحفظ حياتهم دون الاحتكار، وارتفاع الأسعار، وأخطار السطوة الباغية لشهوة الأثرة، والاستحواذ..

وقد يضطر الناس الى الاستفادة بأرض، أو منجم، أو مصنع بسبب جهل، أو انشغال، أو تربص بغرض الاثراء من خلال الحبس، والاحتكار بنزع الملكية الخاصة، وتعويض صاحبها التعويض المناسب، وتوجيهها نحو الملكية العامة بما يسمى الآن بالقطاع العام لفائدة المجتمع من هذه الأرض، أو المنجم، أو المصنع.. وذلك بناء على القاعدة القرآنية:

"-كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم" الحشر 7..

والقاعدة النبوية:

>>-لاضرر ولاضرار فى الاسلام..<<

جيء لرسول الله بسارق ليقيم عليه الحد، وقد بدا عليه الجوع، وهزال الجسم، واذ حاوره النبى فيم سرق؟!.. تبين أنه كان جائعا لم يذق الطعام لأيام، فقال صلى الله عليه وسلم:

>>-لاقطع فى مجاعة مضطر ..<<

>>-كل المسلم على المسلم حرام.. دمه، وماله، وعرضه..<<

وكتب الخليفة عمر لأحد عماله يقول فى جائع سرق من بيت المال:

"-ليس عليه قطع.. له فيه نصيب.."

وروى فى سيرة عمر الخليفة أنه ألزم أهل ماء دية رجل استسقاهم فمنعوه حتى مات عطشا.. فقد قتلوا نفسا زكية بغير حق، فليس لأحد حق فى ماء الله ليسقى، أو يمنع..

وقال لقوم اشتكوا اليه أعرابا فى الصحراء لم يعطوهم دلوا، ولارشاء، ولم يدلوهم على الماء:

"-ألا وضعتم فيهم السلاح .."!

ولكن الاستثناء أن الشعب هو الذى يؤمم، ويصادر للمجموع، وليس لفرد بعينه.. فهى مصلحة مرسلة مطلقة لعموم المجتمع.. فالمال مال الله، والناس بلا استثناء مستخلفين عليه، وأيديهم عليه أيد مؤقتة مهما توارثوا شراء الفتاوى الضالة، والمضلة، والتى أفسدت جمال العهود الاسلامية، وجعلت من بعض المسلمين مثلا سيئة صدت الناس عن سبيل الله.. رغم ميراثهم القيم من أحكام خلفاء رسول الله الراشدين، وغيرهم على المال العام الذى يخص كافة المسلمين.. فعندما علم عمر بن الخطاب أن الصحابى بلال بن الحارث المزنى لايقوم بزراعة كل الأرض التى أقطعها له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستدعاه اليه، وبادره قائلا:

-أراك لاتطيق مافى يدك..

-أجل ياأمير المؤمنين..

-أنظر ماقويت عليه منها فأمسكه، ومالم تطق، وتقو عليه.. فادفعه الينا نقسمه بين المسلمين..

-لاأفعل والله..

-والله لتفعلن ..

عطل بلال حق المجتمع فى أرض لاينتفع بها، ولاينفع بها غيره، فوجب نزعها من أجل المجموع الذى لايجد مثلها، وعمر أمير المؤمنين جميعا يشعر شعورا حارا بمسؤليته عن هذا المجموع الذى يسهر على مصالحه، والتوسعة عليه، وفى النهاية – بحسه الاقتصادى، والدينى- هو مال معطل لايستفيد منه صاحبه، ومن ثم فسوف لايستفيد بيت المال من خراجها أيضا..

وبدأبه فى تفقد أحوال الرعية يعلم من مصادره أن كبار الملاك ترعى خيولهم، وقطعانهم وحدها فيما يملكون من شاسع أراضى المرعى دون أنعام صغار الملاك، فيبعث برسالة الى عامله على "الربذة" يقول فيها:

"-ياهنى(اسم عامله) أضمم جناحك على الناس، واتق دعوة المظلوم فانها مجابة، وأدخل رب العديمة(صاحب القطيع الصغير من الابل)، والغنيمة(قطيع الغنم)، ودعنى من نعم عثمان، ونعم ابن عوف فانهما ان هلكت ماشيتهما رجعا الى نخل، وزرع.."

وعندما عاتبه صحابى من بنى ثعلبة أجابه بلسان الحق القوى، فقد ولاه الله من أجل هؤلاء الضعفاء، وهو يعمل لهم، ومن أجلهم:

"-الضعيف أولى بحماية ولى الأمر.."

وبهذا يصبح عمر بن الخطاب المصدر الرئيسى للتشريع الاقتصادى فى العالم منذ 14 قرنا من الزمان، فهو بذلك يضع المجتمعات أمام مسؤليتها نحو اعادة النظر باستمرار فى دخول الأفراد، وتطور طوائفه المختلفة صعودا، وهبوطا، والا أصيب بفوضى الاحتكار، وتكدس الثروات، ثم الفساد، والفتن التى تؤدى الى الانهيار المادى، والأخلاقى للمجتمع ككل.. وفى هذا يقول:

"-مامن أحد الا وله فى هذا المال حق.. الرجل، وحاجته.. والرجل، وبلاؤه .."

وقد أباح الامام الفقيه "العز بن عبد السلام" للقائد "سيف الدين قطز" مهاجمة قصور المماليك عندما دقت طبول الحرب مع التتار، واستجدى منهم المال، والحلى لتجهيز الجيش، فبخلوا، وانكروا مالديهم من نعمة، وقد طبقت هذا المبدأ عدة ولايات أمريكية فى العصر الحديث كضرائب تصاعدية على الحلى، والتحف، واللوحات، والتماثيل لمشاهير الفنانين التى يقتنيها، ويكترها أصحاب الملايين، وهذه الضرائب أقل ماكان يمكن أن تنتجه قيمة هذه المقتنيات الباهظة لو استثمرت فى مشروعات انتاجية تعود بالنفع على العاملين فيها، وسائر أفراد المجتمع، وهو ماحرصت عليه أغنى دول العالم، وأكثرها التزاما بالملكية الفردية، وحرية حركة رأس المال لمواجهة مابالنفس البشرية من نوازع الأثرة، والاستحواذ دون صالح المجتمع، وأمانه، وسلامه الاجتماعى ..

عمر وادارة الأزمات الاقتصادية (عام الرمادة:(

وكأن الله قد ابتلى يثرب، وكل بلاد الحجاز، ونجد، وتهامة بجدب شديد اتصل لنحو تسعة أشهر، أهلك الزرع، والضرع، بعد أن جفت الآبار، وامتنع الماء فى أعقاب الثامن عشر من الهجرة، وفى ولاية عمر ليتعلم الناس – حتى قيام الساعة - من هذا الفكر العملاق كيفية مواجهة الأزمات القاتلة، وكيفية ادارتها، واجتيازها، والعبور بالناس الى بر الأمان، بأقل الخسائر من الأنفس، والممتلكات..

ماهى الاجراءات التى اتخذها هذا المسؤول مرهف الحس، والشعور بما حمله من أمانة، وعلى وجه السرعة، وبنفسه؛ دون النظر الى وضعه الاجتماعى فقائد، وأمير.. فيحمل الدقيق، والسكر، والزيت لبيوت المسلمين.. بعد أن بعث لولاته على الشام، ومصر، وفارس، والعراق يستغيثهم بما هو أكثر من حق بيت المال من زكاة، وخراج، وعشور، وصدقات.. مستندا الى الآية:

"-وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب" البقرة 177..

كما عمد الى النص القرآنى يستلهم منه المحرمات، ورخصها، ومن المحرمات الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ورخصتها:

"-فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان الله غفور رحيم" النحل 115..

وعندما تأخرت عليه قوافل الأمصار راح يقدح ذهنه فيما يتخذ من اجراءات أكثر من ذلك كى يخفف عن الناس وطأة الأزمة، فيطلع عليهم ليلغى حدود ملكية الطعام مهما قل، فتلك ظروف تحتم على كل فرد من المجتمع اقتسام اللقمة فلا يأكل منها حتى يشبع، وجاره جوعان لايجد اللقمة.. فيقول:

"-لو لم أجد للناس مايسعهم الا أن أدخل على أهل كل بيت عددهم.. فيقاسمونهم أنصاف بطونهم.. حتى يأتى الله بالحياة فعلت.. فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.."

"-نطعم ماوجدنا من الطعام.. فاذا لم نجد أدخلنا على أهل كل بيت عددهم.. فشاركوهم فى طعامهم.. فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.."

وجادله بعض المسلمين فى انتزاع كسرة الخبز من الفم حتى تقسم على فمين.. فيقول:

"-الغنى اليوم من مازال فى يده ليوم واحد كسرة خبز واحدة، ونصفها يسد حاجته يوما.. ومازاد عن الحاجة يصير فضلا يجب أن يخرجه هذا الغنى الى الفقير.."

وهو فى هذا يستلهم قول الرسول المعلم:

>>-من كان عنده طعام اثنين.. فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة.. فليذهب بخامس، أو سادس..<<

هذا هو عمر الخليفة ياأولياء أمور المسلمين.. الذى كان لايأكل فى بيته عام الرمادة، فيخرج بما يأكل الى الناس حتى يشاركوه طعامه فيخفف عنهم، وليرى الناس أن خليفتهم لايخص نفسه بشىء لايجدونه..

الربا:

وعن الربا، وفوائد الديون القاتلة.. يتحدث الأستاذ محسن محمد فى الجمهورية الصادرة فى الرابع من أغسطس 2005 عن رجل من الاسكندرية باع هو، واخوته كل مايملكون لانشاء مصنع للنسيج ينتج قماشا للتنجيد.. يكاد يشبه ماتصنعه ايطاليا؛ وذلك عام 1982.. يحتوى المصنع على 3 ماكينات نسيج ايطالية، ويعمل به 16 عاملا.. ولأنه يهوى هذا العمل فانه يتابع تطوره فى العالم.. فوجد ان الألمان قد سبقوا الايطاليين فى هذا المضمار.. فقرر شراء ماكينة المانية، وعندما وجد مالديه من سيولة مالية لايكفى لشراء الماكينة.. اتجه الى الاقتراض من بنك التنمية الصناعية، فى وقت كانت فيه البنوك تبحث عن مقترضين.. فأقرضه البنك 330 ألف جنيه عام 1991 معطيا اياه فترة سماح سنة يبدأ بعدها دفع الأقساط ..

تتدخل الحكومة فى تلك الأثناء لتضاعف ضريبة المبيعات الى 17 % .. ورغم استيراده الماكينة قبل فرض الضريبة الا أنهم أصروا على تحصيل الضريبة.. ثم تجد أحداث تزيد من أعباء الرجل بقيام حرب الخليج، وماتبعه من كساد سوق التريكو، وتبدأ المأساة مع البنك.. قام الرجل بسداد 294 ألف جنيه من أصل المبلغ، وبقى عليه 36 ألف جنيه عجز عن سدادها.. فطلب مهلة من البنك لحين تحسن الأحوال الاقتصادية، وقبل البنك بشرط أن يوقع شيكات بالمبلغ، وفوائده.. وعندما لم يقم بسدادها فى وقتها.. تقدم البنك الى النيابة التى أمرت بالقبض عليه.. ليضطر هو للاختفاء.. فتسوء حالة المنصع، وتتضاعف الفوائد، وغرامات التأخير.. حتى صار المبلغ البسيط(36 ألف) مليون جنيه.. توسل اليهم من مخبئه عن طريق الوسطاء ليعتبروه متعثرا مثل رجال الأعمال الكبار، وتخفيض الفوائد.. ووافق البنك بشرط بيع الماكينات الأربعة مقابل سداد الدين، وحتى لايسجن بيعت الماكينات، مع المصنع بمبلغ 415 ألف جنيه.. أخذها البنك مقابل دينا قدره 36 ألف جنيه.. أفلس الرجل.. أغلق المصنع.. شرد 16 عاملا.. ضاعت 16 أسرة.. والسبب فوائد البنوك التى وضعنا فيها مدراء من أذناب اليهود المرابين؛ الذين يتقاضون الملايين بزعم أنهم خبراء ، وماهم الا خبراء تخريب الاقتصاد الواعد الذى نجحت فيه دولا كثيرة مثل الهند، والصين لاهتمامها بالمصانع الصغيرة المنتشرة فى البيوت، والقرى ..

ويعلق الكاتب بقصة مماثلة من بريطانيا عندما تقدم زوجان لاقتراض مبلغ 5750 جنيها استرلينيا من أحد البنوك، وعندما تأخر فى السداد تضاعف المبلغ الى 384000 جنيها خلال 15 سنة بالفوائد، واصر البنك على تحصيل هذا المبلغ الذى يصل 30 ضعفا من أصل الدين.. ولكن القضاء أنصف الزوجين باعفائهما من سداد هذا المبلغ الكبير، كما أيدت محكمة الاستئناف فى لندن الحكم، وحرضت الزوجين على دفع هذه الفوائد المبالغ فيها.. فدفع البنك بوجود اتفاق وصفته المحكمة بأنه اتفاق غير محترم اذا كان بهذا الاستغلال.. هذا فى لندن.. فهل نحن منتهون؟ ..

تلك هى البنوك ياحكماء المسلمين.. ذلك هو الربا، والظلم .. الذى يدمر، ولايعمر، وقد رفضته المحكمة فى البلاد التى فرضته على المسلمين، واستمرأة المسلمون.. ويقع الحكم فى ذلك بغير نصوص محددة فى الشريعة.. فهو من باب المصالح المرسلة، ومن الممكن احتسابه من باب جور البنوك، والقائمين عليها من استغلال حاجات الناس، وعلى الدولة التدخل للحد من سطوة هذه البنوك، والقائمين عليها لمصلحة الناس، واقتصاد البلاد..

الفتن.. وأشراط يوم الدين(*)

حديث عبد الله بن عمر المشهور رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم :

"-تقاتلكم اليهود.. فتسلطون عليهم؛ ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله.."

واعجاز الحديث فى كلماته المرتبة ؛ فيقول: "تقاتلكم اليهود" .. فقد جاءوا الى فلسطين لقتال المسلمين.. تصديقا لقوله تعالى :

"-وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا" الاسراء 104 ..

فلما جاءوا لم يضيعوا وقتا.. أعلنوا دولتهم سنة 1948.. ودخلوا "سيناء" مهاجمين "مصر" فى غضون 8 سنوات سنة 1956 بعد خروج "الانجليز" منها الذين تنازلوا لهم عن "فلسطين" التى وعدوهم بها من قبل(وعد بلفور 1917)

ليعلنوا دولتهم بدعم أوروبى - أمريكى.. ثم كرروا الاعتداء بعد 11 عاما فى 1967 ليس على مصر وحدها هذه المرة.. بل تخطتها الى "سوريا"، و"الأردن" فى وقت واحد.. فتسلطنا عليهم بعد 6 سنوات فى 1973.. وقد أخذ منا مدى "الفاء التعقيبية" ست سنوات فى الاعداد، والتجهيز.. وقد تأخذ "ثم" وقتا أطول قليلا لاجلائهم، أو اذلالهم؛ واخراجهم من المسجد الأقصى عندما يهاجر المسلمون الى دينهم مرة أخرى بعد التيه، والشتات الطويل الذى فرض على بنى اسرائيل من قبل عندما تخاذلوا، وجبنوا عن دخول هذه الأرض المقدسة.. وذلك بعد أن تصفو قلوب المسلمين بعد توحدهم، وتخلصهم من أطماع الدنيا، والتنافس عليها ليستطعوا سماع النداء(نداء الحجر).. بمعنى أن الله سيسخر لهم قوى الطبيعة فى هذه الحرب.. مع بقاء بعض بنى اسرائيل فى فلسطين بعد هذه الحرب كما تتحدث الآيات:

"-عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا" الاسراء 8..

ولنا وقفة عند أحاديث الدجال التى قال عنها الامام النووى نقلا عن القاضى: هذه الأحاديث فى قصة الدجال حجة، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى.. من احياء الميت الذى يقتله.. ومن ظهور زهرة الدنيا ، والخصب معه، وجنته، وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت.. فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى، ومشيئته؛ ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل، ولا غيره، ويبطل أمره.. ويقتله عيسى عليه السلام.. وما أرى الا أن عصره قد بدأ بفتنة الاستعمار الغربى للمسلمين منذ قرنين من الزمان.. وحتى الآن.. فهم يفعلون كما يفعل.. وأفعالهم تفتن المسلمين عن دينهم؛ رغم علمهم بأنهم كفار.. فسوف لا يظهر هذا الدجال الا منهم، ولم يردهم عن فتنتهم الا عيسى عليه السلام الذى يدعون الايمان به حتى أنهم يؤلهونه، وسيبدأ عليه السلام بقتل هذا الذى يمثلهم وهو المسيح الدجال.. وربما جعل الله تعالى هذا الشرف لعيسى عليه السلام ليس لأنه رفع، فقد رفع الله ادريس عليه السلام قبله:

"-واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (56) ورفعناه مكانا عليا (57)" مريم..

ولكنه - عيسى عليه السلام – قام يوما ما بمعجزات من هذا القبيل:

"-اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى" آل عمران **110**..

وقد أجرى تعالى هذه المعجزات على يد عيسى عليه السلام مؤيدا بثلاث:

1. روح القدس(جبريل عليه السلام..(
2. العلم..
3. الاذن من الله تعالى ..

وسوف لا يكون المسيح الدجال مؤيدا بهذه الثلاث، ولذا سمى دجالا..

وهناك اجتهادات قيمة يجب أخذها فى الاعتبار لبعض الباحثين(1) المعاصرين تدل على النظر الثاقب، والعميق فى النصوص الواردة، ومطابقتها للواقع المعاصر:

فقد قسم علماء السلف الصالح علامات الساعة إلي قسمين:

علامات صغري، وعلامات كبري.. والعلامات الصغري كثيرة جدا منثورة في كتب الصحاح؛ ومنها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: (إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويكثر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتي يكون لخمسين أمراة القيم الواحد).[رواه البخاري.[

يقل العلم: يقصد به العلم الديني الحقيقي.

ويقل الرجال، ويكثر النساء:من جراء الحروب العالمية التي حدثت بين أقوام يأجوج، ومأجوج في أوربا، وآسيا منذ خمسين عاما، حيث قضت علي الملايين من الرجال(2.(

obeikandl.com

عن أنس أيضا أن النبي صلي الله عليه وسلم قال:(من أشراط الساعة أن يتباهي الناس في المساجد) أي يتباهون في عمارتها، ونقشها، وتزويقها، كما يحدث اليوم..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"بينما النبي صلي الله عليه وسلم يحدث إذ جاء أعرابي فقال: متي الساعة؟ قال:(إذا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة). [رواه البخاري..]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:(لا تقوم الساعة حتي يمر بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه). (رواه البخاري). وذلك بسبب تكاليف الحياة، والمعيشة وتعقيداتها.. انطلاقا من كون الرجل هو رب الأسرة، والمسؤول عن الانفاق عليها، ورعايتها، وبسبب الفتن الدنيوية التي تشد الناس إليها بقوة..

عن زياد بن لبيد رضي الله عنه قال: ذكر النبي صلي الله عليه وسلم شيئا فقال:(ذاك عند أوان ذهاب العلم، قلت: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا إلي يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأراك من أفقه رجال المدينة، أوليس اليهود، والنصاري يقرأون التوراة والأنجيل، لا يعملون بشئ مما فيه(3)).. (ابن ماجة- كتاب الفتن ..(

فى ابن ماجه، والحاكم عن أبي أمامة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قوله عن الدجال:(يصيب الناس في زمنه جفاف، فقيل يا رسول الله فمما يعيش الناس إذا كان ذلك؟ قال: التسبيح، والتكبير، يجري ذلك منهم مجري الطعام..(

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (يحشر الناس علي ثلاث طرق: راغبين، وراهبين، أثنان علي بعير، وثلاثة علي بعير، وأربعة علي بعير، وعشرة علي بعير، ويحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا).. ألفاظ هذا الحديث الشريف تتعلق بأمرين :

الأول اختراع وسائل نقل تتسع لأكثر من راكب واحد، وتكون بديلا عن وسائل النقل المعروفة قديما.. كالجمال، والخيل، وفي هذا تأكيد لحديث رسول الله

صلي الله عليه وسلم: (ليتركن القلاص، فلا يسعي إليها) أي الجمال فلا يستعملنها..

والأمر الثاني يتعلق باختراع الكهرباء.. لأن الكهرباء شكل من أشكال النار(الطاقة)، وهي التي يجتمع عليها الناس في منازلهم، وأماكن عملهم بالليل والنهار.. كما نشاهد اليوم، ومما جاء في علامات الساعة أيضا حديث:<<تشبهت النساء بالرجال، والرجال بالنساء>>.. وأن الدول الحديثة تستعين بأعداد كبيرة من النساء الى جانب الرجال فى أعمال الشرطة، والأمن من أجل استتاب الأمان في بلادها كما نري اليوم..

وأما العلامات الكبري فهي:

عن حذيفة الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلي الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال:(ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال إنها لن تقوم حتي تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسي بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلي محشرهم).. (رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه..(

فالدخان هو إشارة إلي ظهور صناعات جديدة، ومعامل كبيرة ينطلق من أبراجها الدخان بكثرة، وكذلك ظهور اختراعات حديثة تعتمد أساسا في تشغيلها علي مواد قابلة للأشتعال كالبترول، والفحم الحجري ينتج عن احتراقها الدخان أيضا، ويشير أيضا إلي عدم جدوى الأسلحة القديمة فى الحرب، والقتال، واختراع أسلحة جديدة ينتج عنها الدخان، وأخر هذه الاسلحة الفتاكة القنابل الذرية، فالدخان هو ميزة هذا العصر فلذلك يمكن تسميته عصر الدخان..

والدابة: هي وسائط النقل الحديثة كالطائرات، والقطارات، والسيارات، والبواخر التي حلت بديلا عن وسائل النقل القديمة.. مصداقا لقوله تعالي في سورة التكوير :

"-وإذا العشار عطلت" التكوير 4..

أي استغناء الناس عن الجمال، وغيرها من الحيوانات في ركوبهم، وسفرهم، وتنقلاتهم، واستبدالها بمخترعات حديثة أقوي، وأسرع كما يقول تعالي:

"-وخلقنا لهم من مثله ما يركبون" يس 42..

ثم نصل الى حقيقة المسيح الدجال.. والدجال هو ما يسمي اليوم بالاستعمار، أو الرجل الأبيض كما ذهب بعض الباحثين المعاصرين(1 ..(

عن نعيم والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال في فتنة الدجال)انما أحدثكم هذا لتعقلوه، وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه، فاعملوا عليه، وحدثوا من خلفكم، وليحدث الاخر الأخر فانه من أشد الفتن(4.((

وروي عمران بن حصين رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:(ما بين خلق آدم إلي قيام الساعة خلق أكبر من الدجال) صحيح مسلم..

وعن سفينة مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: [ألا لم يكن نبي قبلي إلا قد حذر الدجال أمته].. لهذا كان اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر شديدا لدرجة أن أكثرهم أعتقد أنه سيري الدجال في حياة النبي صلي الله عليه وسلم، أو في زمن أصحابه الخلفاء الراشدين من بعده..

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتي ظنناه في طائفة النخل، فانصرفنا من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم رحنا إليه فعرف ذلك فينا فقال:(ما شأنكم؟.. فقلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتي ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي علي كل مسلم، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا ، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ فقال أربعون يوما، يوم كسنة ويوم كشهرويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، فقلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا.. اقدروا له

قدره ، قلنا: يارسول الله وما اسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي علي القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذري، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيدهم شئ من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية العرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ..(

فاذا درسنا هذا الحديث الشريف دراسة موضوعية نخرج بالنتائج التالية:

أولاً: كل من استمع الى هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أن الدجال قريب منهم يسكن بساتين النخيل فى المدينة المنورة، وذلك بسبب الشروح الكثيرة التى ضمنها الرسول صلى الله عليه وسلم أوصاف الدجال، وأحواله، واقتراب موعد ظهوره، وخروجه..

ثانياً: عند ظهور الدجال، وخروجه، وحلوله فى بلاد المسلمين، سينشأ بينه وبين المسلمين جدال، ونقاش حول أمر يدعو له ويعمل من أجله بقوة. . لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم..(

ثالثاً: يصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه شاب قطط أى شعره أجعد جعودة مكروهة، وعينه اليمنى طافئة، أو طافية، أو ممسوحة.. أى ذهب نورها..

رابعاً: أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم حين مشاهدته، وادراكه أن نقرأ عليه فواتح سورة الكهف(كما أشرنا من قبل).. وفواتح سورة الكهف هى:

"-وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً(4) مالهم به علم ولا لأبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا(5.."(

كى يعلم الدجال صدق القرآن المجيد فى معلوماته، واخباره الغيبية التى تتعلق بمستقبل البشرية، والمتعلقة أيضاً بحقائق خروج المسيح الدجال، ونهايته.

خامساً: يخبرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: أن الدجال حين يخرج من مكمنه ينزل فى بلاد الشام، والعراق؛ أى يغزوها، ويحتلها وهذا ما حدث بعد

الحرب العالمية الأولى حين زحفت جحافل الغرب على البلاد العربية فى المشرق، والمغرب(5..(

سادساً: يصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم سرعة الدجال فى سفره، وانتقاله بأنها تعادل سرعة الريح.. وهذا الوصف اشارة الى استعماله وسائل نقل سريعة، وقوية يستغنى بها عن وسائل النقل القديمة المعروفة..

سابعاً: ويصفه أيضاً أن لديه امكانيات، ووسائل تمكنه من انزال المطر، وزراعة الأرض زراعة جيدة، وانبات محاصيل ذات مواصفات جيدة أيضا، وأنه نتيجة اعتماده على وسائل متطورة، ومتقدمة فى مجالات الرى، والزراعة، وتربية الحيوانات الداجنة سينعم بخيرات لا حدود لها، وهذا الأمر ذكر فى روايات أخرى بأن الدجال حينما يخرج؛ يخرج معه جبال من خبز، وجبال من فواكه، وجبال من الخضرة، وجبال من ثريد، أى تتبعه خيرات الأرض يتصرف بها حسب أهوائه..

ثامناً: ثم يخبرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: أن البلاد، والشعوب التى تقاطعه، وتخالفه، وتقطع صلتها به؛ تهمل بلادها فيصبحون ليس بأيديهم شئ من أموالهم، وخيراتهم وهذا اشارة إلى الحصار الإقتصادى الذى يقيمه الدجال ضد الدول التى تختلف معه بنظام حكمها، وبآرائها السياسية، ومواقفها الدولية ، ولأن خيرات الأرض بيديه يتصرف بها حسب أهوائه، وميوله الإستعمارية..

تاسعاً: يعلمنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: أن الدجال لديه امكانات تساعده فى استخراج كنوز الأرض، وخيراتها من الذهب، والمعادن الأخرى، والبترول.. يقول عليه السلام:(يمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك) . وأن الدجال هو أكثر الناس فائدة من استخراج هذه الكنوز، وأنه يحملها إلى بلاده لينعم بخيراتها، ويستفيد وحده منها، وإن هذه الأراضى المليئة بالخيرات، والكنوز تكون مهملة من قبل أصحابها الحقيقيين بسبب جهلهم، وتخلفهم العلمى..

عاشراً: ثم يصور لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم صورة حقيقية عن تقدم الدجال فى مجال الطب.. لدرجة أنه يقوم بإجراء عمليات جراحية يكون الإنسان خلالها كالميت تماماً، وبعد انتهاء العملية، ونجاحها يعود الإنسان أكثر

حيوية، وأكثر نشاطاً، وقوة(ثم يدعو رجلاً شاباً، فيضربه بالسيف فيقطعه، ثم يدعوه فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك..(

وجاء فى حديث تميم الدارى أنه رأى الدجال مقيداً بالسلاسل فى دير، أو كنيسة فى جزيرة ، وقال :

)فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد). هذه الصورة عن حال الدجال التى صورها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تدل على واقع الدجال قبل خروجه من جزيرته.. حيث أنه يقع تحت تأثير الكنيسة، ومكبل بأغلالها وأنه حينما ينطلق ويخرج يعمل من أجل نشر تعاليمها، وبوحيها..

لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم:(فإن خرج وأنا فيكم فأنا حجيجه).. وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً :

)فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف) التى تتضمن انذاراً من الله إلى الدجال ينذره فيه بسوء العاقبة، وتدمير حضارته، ومشيداته العظيمة إذا استمر بدعوته إلى عبادة الله المخلوق عيسى ابن مريم عليه السلام:

"-وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً .."

وفى حديث حذيفة بن أسيد عن الدجال قال:

)-يخرج فى نقص من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين.. فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طى فروة الكبش ..(

وهذا الحديث فيه اشارة إلى سوء أحوال المسلمين يوم خروج الدجال من جزيرته، وكنيسته.. وأن الدجال يسيح فى الأرض فلا يترك شبراً منها إلا وصل إليه، وعاينه.. عدا مكة، والمدينة.. فلا يستطيع دخولهما(يرد كل ماء، ومنهل إلا المدينة، ومكة حرمهما الله تعالى عليه) فلا يدخلهما ..

وفى حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

)-إنه لم يكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وانه مكتوب بين عينيه كافر.. يقرأه كل مؤمن كاتب، أو غير كاتب، وإن من فتنه أن معه جنة، وناراً.. فناره جنة، وجنته نارا ..(

وفى هذا اشارة إلى كمالياته، ومغرياته الدنيوية، فى حديث حذيفة السابق الذى يوضح كيف أن الدجال يسيح فى الأرض من أجل نشر دينه، وعقيدته، والتبشير بهما، لكن هنالك إشارة خفية ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم تتعلق بدراسته السرية لموارد الرزق، وكنوز الأرض، وخيراتها المتواجدة فى تلك البلاد التى يزورها، ويقصدها:

)-يرد كل ماء، ومنهل..(

وفى حديث الباهلى رضى الله عنه الذى أكد فيه عظم فتنة الجدال، وأنه لم تكن مثلها فتنة منذ أن خلق الله آدم أول رسول للبشر، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كاتب وغير كاتب، فى هذا الحديث الشريف وضح النبى صلى الله عليه وسلم: أنه بالرغم من وضوح كفر الدجال، وبيان خطته بدعوة الناس إلى الإيمان، والإعتقاد بالمسيح على أنه الرب، والإله؛ مع هذا الوضوح فى دعوته الباطلة، وأن المسلمين لا يمكن أن ينخدعوا بمثل هذا الكلام.. فالمتعلم، وغير النتعلم منهم يعلم علم اليقين أن دعوة الدجال باطلة، وكفره ظاهر للجميع كأنه مكتوب على جبينه، ومطبوع عليه، مع هذا فقد أكبر النبى صلى الله عليه وسلم فتنة المسيح الدجال، وعظمها لما يملك الدجال وقتها من الحيل، والألاعيب المموهة.. وكذلك لما يملك من إمكانات، وخيرات، وكنوز، ومخترعات حديثة، وتفوق علمى فى كل مجالات الحياة المدنية، والعسكرية مما يساعده على إقناع الشعوب، وكافة الناس بالأخذ بفكره، ومعتقداته، والوقوف إلى جانبه، والإستعانة بعلومه، ونظرياته، ومخترعاته، والاعتماد على مساعداته المادية فى كل مجالات الحياة..

من هنا جاء خوف النبى صلى الله عليه وسلم من أن تتأثر أمته بهذه الحضارة المزيفة التى يدعو اليها الدجال، ويعمل من أجلها.. خاصة أنها تكون فى تلك الأيام أحوج ما تكون إلى تلك المساعدات، والمخترعات، والتجهيزات المتطورة.. وبحاجة أكبر إلى علومه المتقدمة فى كل مجالات الحياة العامة، والخاصة، نظراً لتفككها،

وتراجعها عن ركب الحضارة بسبب انشغالها بتوافه الأمور، وافتقارها إلى علماء حقيقيين فى شتى العلوم الدينية، والدنيوية..

ثم يذكر الباهلى رضى الله عنه:

)-أن الدجال يأتى بسبعين ألف من اليهود يحملون أسلحتهم، وسيوفهم..(

وفى هذا الكلام اشارة الى مساعدة الدجال لليهود، واعتمادهم عليه فى العودة الى فلسطين - وطنهم المزعوم - واستعمارها.. ولذا يتساءل "حاييم وايزمان(6)" فى مذكراته:

"-مأسباب حماس الانجليز لمساعدة اليهود فى فلسطين؟!.. ويجيب أن تدين الانجليز هو الذى ساعدنا فى تحقيق آمالنا، لأن الانجليزى المتدين يؤمن بما جاء فى التوراة من وجوب عودة اليهود الى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الانجليزية أكبر المساعدات فى هذه الناحية.."

ولايخطىء وايزمان اذا قال ان كل مسيحى يؤمن بالكتاب المقدس- وكلهم يؤمنون به بلا شك- عقيدته الأساسية هى ملكية اليهود لفلسطين.. ولم يمح الزمن، ولا الأحداث هذا الاعتقاد، ففى العصر الحديث يعلق الدكتور المسيحى الأمريكى"جيرى فالويل(6)" على اتفاقية كامب ديفيد فى احدى محاضراته:

"-بالرغم من الآمال الوردية، وغير الواقعية تماما التى أبدتها حكومتنا الأمريكية حول اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر، واسرائيل.. فان هذه الاتفاقية لن تدوم.. ولكن أنا، وأنت نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط الى أن يأتى اليوم الذى يجلس فيه الاله المسيح على عرش داود فى القدس.."

وماندعوه "الدجال" يقولون عنه "الاله المسيح".. ملك اليهود، ومانراه هذه الأيام من قيام اسرائيل بتهويد القدس، واتخاذها عاصمة لهم، ومحاولة هدم المسجد الأقصى، بعد محاولات اقتحامه المتكررة لاقامة هيكل سليمان الا تمهيدا لعودة ملكهم الدجال.. أما العرب، والمسلمين فقد لازوا بالفرار من التاريخ، وأصبحوا خارجه تماما..

وقد استغلت السياسة الدولية بقيادة أمريكا التشنجات الدينية الاسلامية(طالبان، وبن لادن) فى محاولة لترويض، ومباركة العالم العربى، والاسلامى لصالحها من أجل احتلال أفغانستان، والعراق الاسلاميتين.. فى الوقت الذى راحت تشجع فيه نفس التشنجات الدينية داخل مجتمعاتها المسيحية بالنظر الى حالة الدروشة فى المجتمع الأمريكى المتمثل فى صفوف الانجليكيين، والتصاقهم بالحركة الصهيونية، وبالدولة الاسرائيلية باعتبارها ضرورة تاريخية لعودة ظهور المسيح عليه السلام(7 ..(

ومن خلال الأحاديث الشريفة التى تضمنت وصف "حمار الدجال" نستخلص منها الآتى:

أولاً: فى حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وصف الحمار على الشكل الآتى:

)-تحت الدجال حمار أقمر طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً يتناول السحاب بيمينه ويسبق الشمس إلى مغربها) <كتر العمال ..<

فى هذا الحديث إشارة واضحة إلى "الطائرة" التى هى من مخترعات الدجال فى آخر الزمان، فلفظ حمار "أقمر" أى لونه "فضى".. وهذا هو لون الطائرة، و"أذناه الطويلتان" هما "جناحا الطائرة"، وما تبقى من ألفاظ الحديث لا ينطبق إلا على الطائرة، لأنه لا يسبق الشمس إلى مغربها إلا الطائرة.. وقد نوه القرآن الكريم الى الطائرة التى ستكون أداة من أدوات من يكفر بالرحمن ليظهروا بها على الناس:

"-ومعارج عليها يظهرون" الزخرف 33..

ويتحدث القرآن فى آيات أخرى عن تجاوزنا طبقات الجو العليا بهذه الطائرة التى سنشترك معهم فى ركوبها، ولكنه يتعجب من جحود الكافرين لهذه الهبة من الله:

"-لتركبن طبقا عن طبق(19) فما لهم لايؤمنون(20)" الانشقاق..

ثانياً: وروى أبو نعيم عن أبى حذيفة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

)-يصف حمار الدجال: يخوض البحر لا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيبلغ قعره فيخرج الحيتان ما يريد ..(

وهذا الحديث يشير إلى اختراع "البواخر العملاقة" منها ما هو مخصص "لصيد الحيتان" بأدوات صيد قوية تغوص فى أعماق المحيطات، ومنها ما هو مخصص "لنقل البضائع وشحنها"، وهذا النوع مزود "بروافع آلية"(أوناش) من أجل تحميل البضائع إلي السفينة، وتفريغها منها، والبواخر هي وسيلة النقل التي خرج بها الدجال من جزيرته إلي شتي أنحاء العالم، وقد وصفت بأن صوتها يصل إلي الخافقين من شدته، ويخرج الدخان من حلقه، ولكل منها غاطس لايزيد عمقه عن قعر المرسى فى الميناء..

ثالثا: الوصف الأخير لحمار الدجال ينطبق علي القطارات التي كانت تعتمد في سيرها علي الفحم الحجري، وهي وسيلة النقل البرية الأساسية التي كان الدجال يعتمد عليها في تنقلاته البرية الداخلية في البلاد التي وصل إليها واستعمرها، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن هذا الحمار (يأكل الحجارة – أي الفحم الحجري - ويسبقه جبل من الدخان- أي يخرج دخانه الكثيف من مقدمته - ويركب الناس في جوفه - أي بداخله- وليس علي ظهره)، وهذا مصداق قوله تعالي في سورة التكوير:

"-وإذا العشار عطلت" التكوير 4 ..

أي أن في أخر الزمن.. زمن خروج الدجال، وزمن عودة اليهود إلي فلسطين يستغني الانسان عن ركوب، واستعمال الجمال.. بسبب اختراع وسائل نقل أقوي، وأسرع..

نستنتج من ذلك كله أن الدجال بشكل عام هو شعوب أوروبا الغربية، وأمريكا(8).. وبشكل خاص هو سكان الجزر البريطانية الذين خرجوا من بلادهم بعد عصر الاكتشافات الجغرافية الذى بدأه الأمير هنرى ابن ملك البرتغال، وساحوا فى الأرض يكتشفونها، ويبحثون عى خيراتها، ويستعمرونها، وقد وزعوا الارساليات التبشيرية فى كل أنحاء الأرض لتدعوا الى عبادة المخلوق، ولتشيع أن المسيح ابن الله، وأن لله ولد هو عيسى بن مريم:

"-وقالوا اتخذ الرحمن ولدا(88) لقد جئتم شيئا ادا(89) تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا(90) أن دعوا للرحمن ولدا(91)" مريم ..

obeikandl.com

الهوامش

(*) يوم الدين هو يوم يعز فيه الدين، ويحكم به بين الناس يوم القيامة، فمن أشراطه أن يعز دين الله فى آخر الدنيا كما عز فى أولها.. يعنى فى أول الخلق..

(1) نذير المرداني في مقال نشره علي موقع الجماعة الأحمدية الرسمي (2005) تحت عنوان "حقيقة المسيح الدجال"، والأحمدية.. حركة غنوصية محدثة مؤسسها ميرزا غلام أحمد قاديان(وقاديان بالهند من أعمال البنجاب) وقد تسمي لهذا

بالقاديانية أيضا؛ وقد عاش فيما بين 1839، 1908.. والغنوص في الحركات الدينية (يهودية – مسيحية – إسلام) هي فلسفة صوفية؛ واسم علم علي المذاهب الباطنية غايتها معرفة الله بالحدس.. لا بالعقل، وبالوجد.. لا بالاستدلال، ولكنها تقول بإلهين للخير، والشر علي طريقة الأديان الفارسية التي جمعها الاسلاميون تحت أسم المجوسية..

وتقول الأحمدية بتجسد النبي، والمسيح في القادياني؛ وأن المسيح لم يصلب، ولم يرفع.. ولكنه مات في الظاهر، وخرج من القبر، وهاجر إلي الهند، وقبره في سرى نكر..

(2)وكثرة النساء هنا هي كثرتهم في الحياة العامة، ومشاركتهم الرجال في كل صغيرة، وكبيرة.. مع عزوف الرجال عن ذلك الى حد ما، كما أن الكلام لا يخص المسلمين فقط.. فنري أن الجيوش في إسرائيل، والدول الغربية تضم كثيرا من البنات، والنساء بأعداد كبيرة، وفي مهام قتالية حتي بلغت 40% في إسرائيل، أما القيم الواحد لخمسين إمرأة مانجده من أعتمادهن الآن علي الشهادات، والوظائف أكثر من اعدادها لتكون أنثي، وأم.. فالحديث للاحصاء العددى فقط، ولسن أزواجا للرجل بالضرورة ..

(3)وهو القرآن الآن بالنسبة لنا، فمثلا القرآن يقول ان الشمس تدور حول الأرض لأن الله سخرها للأرض، ولكننا نقول بعكس مايذكر.. لأن الغرب المسيحى الدجال قال ذلك، ونحن نصدق الغرب دون تفكير.. فلماذا نفكر؟!.. وهم يقومون لنا بهذه المهمة..

(4) قال الباحث فى مطلع بحثه: ان الخطأ الشائع بين عامة المسلمين أن ذكر موضوع الساعة، وظهور المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها انما هو ضرب من اضاعة الوقت، والجهد، وانصراف عما هو أهم، لذلك نجد أن من النادر ورود ذكر هذه المواضيع على ألسنة علماء اليوم.. ان المطلع على دراسات علماء المسلمين من السلف الصالح يجد أن مواضيع الساعة كانت بالنسبة اليهم فى غاية الأهمية، لدرجة أنهم أفردوا مجلدات خاصة بها، وأمروا أن تعمم، وتدرس لأطفال المسلمين حتى تستوعبها أجيال المسلمين.. كما أن قراءة أخبار

الساعة، ومايتصل بها من مواضيع له بالغ الأثر فى تصحيح سلوك الناس، وتحسين أعمالهم، والبعد عن قراءتها، والتفكير فيها ينسى على طول الزمن تلك الحقائق من الأذهان، وتقلصها فى النفوس، فيقع الاستبعاد لها، والاستخفاف بها، أو الانكار لوقوعها ممن لاعلم عندهم، وقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن؛ فيقول:"قولوا اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من قتنة المحيا والممات".. قال مسلم: بلغنى أن طاوسا راوى الحديث عن ابن عباس قال لابنه: أدعوت بها فى صلاتك؟..

قال: لا..

قال: أعد صلاتك ..

(5)وماحدث فى مطلع هذا القرن الواحد والعشرين من احتلال أمريكا - الاستعمار الجديد - للعراق، وقد قيل فى أسباب الاحتلال ايمان جماعة بوش الابن(رئيس أمريكا) الدينية بضرورة انهيار بابل(العراق) من أجل سرعة مجيء المسيح الذى يعتقدون أنه سيأتى من أجلهم حسب نبؤات كتبهم..

(6)محمد عيسى داود.. "الخيوط الخفية.."

(7)من مقال أحمد عباس صالح فى الجمهورية 16 من ديسمبر 2004..

(8)وأمريكا الآن صاحبة النظام العالمى الجديد، ثم العولمة بعد ذلك كى تسهل السيطرة على مقدرات، وثروات الشعوب باسلوب جديد من الاستعمار غير المباشر..

الوحى.. وفجرالفلسفة

الفلسفة كلمة يونانية من مقطعين هما "فيلو Philo "بمعنى "حب"، و"صوفيا Sophia "بمعنى "الحكمة"، فتكون الكلمة مجتمعة بمعنى "حب الحكمة " ..Philosophiaوكان "فيثاغورس" أول من وصف نفسه "بالفيلسوف"، وعرف "الفلاسفة" بأنهم الباحثون عن الحقيقة بتأمل الأشياء، أما أفلاطون فعرف

الفلسفة بأنها علم الواقع الكلى.. فجعلها علما، والعلم مهمته الكشف عن كيفية حدوث الأشياءThe how ، والفلسفة مجالها البحث عن علل الأشياء The why .. فهدف العلم تحصيل العلل القريبة، وهدف الفلسفة هو العلم بالعلل البعيدة، أو العلل الأولى، ثم جاء أرسطو ليجعل الفلسفة تشمل كل المعارف العقلية ابتداء من التشريع الى الميتافيزيقا(مابعد الطبيعة، أو العلويات).. ثم جاء الفلاسفة فى العصر الحديث ليميزوا بين الفلسفة الخلقية، والفلسفة الطبيعية، وبين الفلسفة السياسية، والفلسفة الأولى، أو الميتافيزيقا..

وقد تلقى الفلاسفة فكرهم عن الروح من الدين، ومنه تلقوا فكرهم عن بطلان الظواهر المادية، وتعلموا التفرقة بين العقل، والمادة، فتعلموا كيف ينفذون الى ماوراء الحس، ويوغلون فى تصفية كنه الموجودات الى أعماق لاتغوص فيها الأجسام، وآفاق لاتدركها الأبصار..

وقد استعاروا من الدين عقائد المؤمنين به فى تعليل أصل الكائنات، والتنبؤ بمصيرها بعد مغادرتها الحياة.. فقالوا ان السماء، والأرض خلقتا من الماء، وقالوا بالدورات الكونية التى تبدىء العالم، وتعيده على طول الدهر، وقالوا بالحساب، والعقاب، وفهموا أن قدرة الله تختلف عن قدرة المادة التى تعمل بالجهد، والعناء، فتعلموا أن الله يخلق بالكلمة، أو بالمشيئة.. فيفعل مايريد، كما أخذوا أيضا تحريفات الدين، وأوهامه من الكهنة بعد اندثار الدين، وتعاليمه بموت الرسول، والمؤمنين به..

وكانت الفلسفة اليونانية على اتصال بأبناء كل دين قديم من تخوم الهند الى ضفاف النيل، وساعدهم الحظ فخلت بلادهم من الكهانات الراسخة التى تستأثر بالتفكير فى مسائل الكون، ومسائل العقيدة.. فالكهانات الراسخة عادة ما تقوم على العروش العريقة فى أودية الأنهار الكبار مثل مصر، والعراق، والهند.. فاختار فلاسفة اليونان فيما أخذوه، واختاروا فيما نبذوه، وتزودوا من رسالة الايمان لرسالة البحث فى الحكمة، والعلوم ..

ويرى بعض المؤرخين أن الفلاسفة الاغريق، أو بعضهم اتصل بمصر، وبالكهنة المصريين، وتعرف على كثير من أسرار الكهنوت المصرى المأخوذ عن

الوحى السماوى.. حيث كانت مصر واقعة فى دائرة هبوط الوحى، واتصال السماء بالأرض فى سيناء المفتوحة على هذه المنطقة الممتدة شمالا من "القدس الشريف".. مدينة السلام الى "مكة".. أم القرى جنوبا، ومن "دجلة"، و"الفرات" شرقا الى "النيل" فى مصر غربا.. كما تميزت هذه المنطقة بأنها ملتقى التجارة العالمية، والتى تتلاقى فيها كافة الأجناس البشرية من أنحاء المعمورة، ومن أقدم أسرار هذا الكهنوت الهرمسية.. وهى وجهة النظر التى تطرحها "الكتابات الهرمسية باللغة الاغريقية".. التى تنسب الى من يدعى "هرمس"، والذى قيل انه "كاهن مصرى"، وأنه "نبى"، وقيل هو الاله "تحوت المصرى"، واعتبر "جيوردانو برونو".. أشهر فلاسفة ايطاليا فى عصر النهضة الفلسفة الهرمسية ديانة.. بل وأصل الديانات جميعها، وترجمها "مارسيليو فيشنو" الفيلسوف الايطالى الذى أحيا الأفلاطونية فى عصر النهضة الى اللاتينية، واعتبرها خلاصة الحكمة المصرية، وأصل الافلاطونية، نظرا للتشابه الكبير بينهما ..

بدأ تاريخ الفلسفة في اليونان بمن أطلق عليهم العرب "الحكماء السبعة" من أساطين الحكمة وهم يبدأون "بطاليس"، وينتهون "بأفلاطون".. والاصطلاح الحديث لهذه الطائفة هو "الفلسفة قبل السقراطية **Pre-Socratic philosophy** "، ابتداء من طاليس فى القرن السادس ق.م. حتى القرن الرابع ق.م.، ويبلغ عددهم أربعة عشر فيلسوفا هم: "طاليس"، و"انكسيمندريس"، و"انكسيمانس"(مدرسة ملطية)،و"هرقليطس"(مدرسة أيونية)، و"فيثاغورس"(المدرسة الفيثاغورية)، و"أكسانوفان"، و"بارمنيدس"، و"زينون"، و"مليسوس"(المدرسة الايلية)، و"أنبادقليس"، و"ديسوقريطس"، و"أنكساغورس"، و"غرغياس"، وكانوا تلاميذا لبعضهم البعض، فكونوا مدارس، وجاءوا من المراكز اليونانية وأشهرها "ملطية"، و"أفسوس"، و"قولوفون"، و"ساموس" فى الشرق، و"ايليا" فى الغرب ..

فطاليس الملطي **Miletus Thales of** من ملطية(**624 - 550 ق.م**).. وهو أول المشهورين من فلاسفة اليونان الملقب "بأبى الحكماء" الذى قال كما قالت الأديان من قبله أن "الماء أصل كل شيء"، وأن الروح تحرك المادة، ووهم أن الأرض سابحة على الماء، وأن الشمس تخرج منه، وتعود اليه:

"-وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما" الكهف 86 ..

وهو القائل:

"-إن للعالم مبدعا لاتدرك صنعته العقول من جهة هويته، ولكنه يدرك من جهة آثاره.."

ويطلق عليه الفيلسوف "الموحد" فيذكر عنه فى فلسفته الالهية أنه كان يقول "باله واحد"؛ وأن هذا الاله مختلف عن الانسان، وأن صفات الله ليست تلك الصفات التى ينسبها الشعراء الى الآلهة؛ والتى هى صفات انسانية خالصة.. فالله لانواقص فى ذاته.. حيث لم يلد، ولم يولد، ولايموت، وليس كالبشر.. يبدأ وجودهم فى لحظة.. بل هو موجود منذ الأزل(اللابداية..(

ويقول ان المبدع الأول هو "الماء".. فالماء قابل لكل صورة؛ ومنه أبدع الجواهر كلها من السماء، والأرض، وما بينهما.. وهو علة كل مبدع.. وعلة كل مركب من العنصر الجسماني، فذكر أن من جمود الماء تكونت الأرض، ومن إنحلاله تكون الهواء، ومن صفوة الهواء تكونت النار، ومن الدخان، والأبخرة تكونت السماء، ومن الاشتعال الحاصل في الأثير تكونت الكواكب.. فدارت حول المركز دوران المسبب علي سببه بالشوق الحاصل إليه ..

وتقول التوراة - احدى كتب الوحى - عن الماء:

"-إن مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالي ، ثم نظر إليه نظرة الهية.. فذابت أجزاؤه.. فصارت ماء، ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات، وظهر علي وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الأرض ثم أرساها بالجبال.."

والماء كان فى البدء حيث كان عليه العرش العظيم:

"-وكان عرشه علي الماء" هود 7..

وهو أصل الأحياء:

"-وجعلنا من الماء كل شئ حي" الأنبياء 30..

وعن الدخان والابخرة التي كونت السماء أخبر تعالي:

"-ثم أستوي إلي السماء وهي دخان" فصلت 11..

وجاء من بعده "أنكسماندريس" فقال بخروج الانسان الأول من الماء، وطين البحر..

وحكي عن أنكساغورس(611 – 547 ق.م.) أنه وافق سائر الحكماء في المبدأ الأول.. انه العقل الفعال، غير أنه خالفهم من قوله:

"-إن الأول الحق ساكن غير متحرك.."

ومن ملطية أيضا قالإنكسيمانس Anexime(588 – 524 ق.م:(.

"-إن الأزلي.. لا أول له، ولا آخر.. فهو مبدأ الأشياء.. ولابدء له، هو المدرك من خلقه أنه هو فقط، وأنه لا هوية تشبهه، وكل هوية مبدعة منه، هو الواحد ليس كواحد الأعداد، لأن واحد الأعداد يتكثر وهو لا يتكثر .."

أما أنبادقليس أو امبذقليس Empedocles (495 – 435 ق.م.) فيقول:

"-هو العلم المحض، وهو الإرادة المحضة، وهو الجود، والعزة، والقدرة، والعدل، والخير، والحق.. لم تزل هويته فقط.. لا أن هناك قوي مسماة بهذه الأسماء.. بل هي هو، وهو هذه كلها.."

واذا كانت "مدرسة مليطية" فى طليعة جند الحكمة الالهية.. فان آسيا الصغرى، وما حولها أنجبت فى الجيل التالى لجيل طاليس طائفة من الفلاسفة هم: "أكسينوفانس"، و"هيرقليطس"، و"فيثاغورث"، و"ديمقريطس"، و"أنكسفوراس"؛ ورسالة أكسينوفانس الكبرى تنحصر فى لومه الشديد على كل تشبيه، أو تمثيل توصف به الأرباب.. فحقيقة الاله عنده تنبع من خيال الانسان، فلو تخيل الأثيوبى ربه لتخيله أسود، أفطس على مثاله ..

ويقول فيثاغورثPythagoras الذى ولد بجزيرة ساموس على مقربة من آسيا الصغرى سنة (570 ق.م.)، وكان مذهبه "نسخة يونانية" من "الديانة الهندية:"

"-واحد ليس كالآحاد، ولا يدخل في العدد، ولا يدرك من جهة العقل، ولا من جهة النفس، فلا الفكر العقلي يدركه؛ ولا المنطق النفسي يصفه.. فهو فوق الطبقات الروحانية غير مدرك من نحو ذاته.. وإنما يدرك بآثاره، وصنائعه، وأفعاله.."

وأقدم الكائنات عنده أربعة هى: الأب، والصمت، والعقل، والحق، ومن الأولين صدر الاثنان الآخران..

ويأتى أنكسفوراس بعد فيثاغورث فى الزمن، والمكانة بين حكماء آسيا الصغرى، وهو الذى عمم كلام هيراكليتوس عن الكلمة **Logos** وسماها **Nous** أى العقل.. واصفا اياه بأنه جوهر خالد، واحد لايتعدد، وأنه مصدر حركة دوارة، والأثر الأكبر الذى يذكر لهذا الفيلسوف أنه كان أول من نقل الفلسفة من آسيا الصغرى الى "أثينا" فى أيام "بركليس".. حيث كانت أثينا تتنكر للمباحث الفلسفية، وتتهم من يبحثون فيها، وينقطعون عن الشعائر الدينية بالكفر، ولم يسلم أنكسفوراس من تعصب أهلها عندما سنوا قانونا يعاقب كل من يتعرض للأشياء "التى فى العلا"، ويهجر عبادة الأرباب الأوليمبية، وماجرى مجراها.. فاتهموه بالكفر لأنه كان يقول بأن الشمس صخر محمى، وأن القمر كالأرض من تراب، ولولا بركليس لما نجا من مصير كمصير سقراط بعده بقليل..

وقبل الانتقال الى المدرسة الأثينية الكبرى(سقراط - أفلاطون - أرسطو) نلم بثلاث مدارس فلسفية كانت لها عناية خاصة بمسائل العقيدة الدينية وهى: "مدرسة ايطاليا الجنوبية"، ومدرسة الرواقيين، ومدرسة آبيقور، وبعض فلاسفتها لاحق للمدرسة الآثينية فى الزمان، ويرجع نشاط المدرسة الايطالية أيضا الى مدارس آسيا الصغرى حيث نبغ منهم كثير من أصحاب الآراء الفلسفية أجدرهم: "بارمنيدس"، و"زينون"، و"أنبادقليس.."

ولباب مذهب بارمنيدس أنه لاجود لغير الواحد، وان كل وجود غيره، وكل مانراه من التعدد، والتغير انما هو وهم الحس، وخداع المظاهر، والعالم قديم لم يحدث، والواحد الذى يؤمن به بارمنيد ليس خالقا للكون.. بل هو حقيقة الكون.. ويعتبر زينون الايلى أبرع المدافعين عن مذهب أستاذه بارمنيد..

أما المدرسة الرواقية فقد أوشكت أن تكون نحلة دينية، فقد امتازت بعلم كعلم اللاهوت فى المسيحية، أو علم الكلام فى الاسلام، وهى لاحقة لمدرسة سقراط، وأفلاطون، وأرسطو فى تاريخ الظهور، وأشهر فلاسفتها: "زينون"، و"كليانتاس"، و"شريسبس"، وكلهم متقاربون فى تارخ الميلاد..

فزينون ولد عام 336 ق.م. فى قبرص، وعاش، وعلم فى أثينا، وخلاصة رأيه أن الله هو العقل الفاعل، والهيولى هى المادة المنفعلة، ويترادف عنده معنى الله، والعقل، والقدر، وزيوس، وقد كان الوجود الواحد منفردا لاشريك له؛ فشاء أن يخلق الدنيا.. فأصبح هواء، وأصبح الهواء ماء، وجرت فى الماء مادة الخلق، أو كلمة الخلق Spermtikos Logos كما تجرى مادة التوالد من الأحياء، فبرزت منها مبادىء الأشياء وهى النار، والماء، والهواء، والتراب.. ثم برزت الأشياء كلها من هذه المبادىء على التدريج..

وتعريف القدر عند زينون أنه القوة التى تحرك الهيولى، وهى قوة عاقلة؛ لأن مايتصف بالعقل أعظم مما يتجرد منه، ولاشىء أعظم من الكون ..Cosmos فهو عاقل لأنه عظيم، ومع ذلك لم يخلص من اللوثة المادية فى تصور الله، ولا فى تصور الروح.. فالروح عنده هى جوهر غازى حار، وهى مركبة من النفس ..Psycheبمعنى التنفس، ومن العقل ..Varros وهو من عنصر الأثير، ومن نقائض المذهب الرواقى أنه يأبى اقامة الهياكل لله لأنها أقل من أن تبلغ مرتقاه..

ولد كليانتاس Cleanthes بعد زينون بسنوات لأنه، ولد على الأرجح سنة 331 ق.م.، وكان مولده بآسيا الصغرى، ورأيه أن الله روح يسرى فى جميع أجزاء الكون، وأن الروح الانسانية قبس من ذلك الروح، وأن الشمس هى مناط النظام فى الكون، لأنها تنشىء الليل، والنهار، وتقلب الفصول، والسنين، وقد كان امام اللاهوتيين بين فلاسفة الرواقيين؛ لأنه أول من أسهب فى اقامة الأدلة على وجود الله ..

ومن أسباب الايمان بالله عند كليانتاس أربعة أسباب يخصها بالتنويه وهى الوحى الذى يكشف الغيب، وعظمة الخيرات التى تجود بها الأرض، والسماء، ورهبة النفس أمام أسرار الوجود، وظواهره الرائعة كالبروق، والرعود،

والعواصف، والأهوال، والأوبئة، والصواعق، والبراكين.. وهذا النظام المحكم الذى يبدو للنظر فى حركة الأجسام السماوية، ومواعيد الأفلاك، والبروج؛ مما يرفض العقل حدوثه بالمصادفة، والاتفاق..

وكانت لهذا الفيلسوف صلوات يخاطب بها الله كأحسن ماتكون الصلاة، ولكنه يذكر الله باسم زيوس، كما كان معروفا بين الاغريق..

وولد شريسبس **Chrisppus** ثالث هؤلاء الفلاسفة بعد كليانتاس بنحو خمسين سنة، وكان مولده فى قليقية، ومقر تعليمه فى أثينا، وهو أوفرهم محصولا، وان لم يحفظ من كتبه غير شذرات.. فمن براهينه على وجود الله أن الكون أكبر من أن يخلق للانسان وحده.. فوجوده عبث ان لم يكن هناك اله أكبر من الانسان، ويرد على من يتخذون الشر دليلا على بطلان العناية الالهية فيقول :

"-انه ليس أضل من أولئك الذين يتخيلون أن الخير قابل للوجود بغير وجود الشر معه، لأن الخير، والشر ضدان يستلزم وجود أحدهما وجود الآخر.. فكيف يتأتى للعدل معنى من المعانى بغير الأخطاء، والاساءات؟!.. وماهو العدل ان لم يكن هو منع الظلم؟!.. ويعلل الآلام بأنها عقوبة من الله..

وتأتى مدرسة آبيقور(342 - 270ق.م.) فى الموضع الوسط بين مدرسة الرواقيين، ومدرسة أثينا الكبرى، ونعنى منها على الخصوص مذهب "أرسطو".. الذى اشتهر بمذهب "المشائين"، ورأس هذه المدرسة هو سقراط **Socrates**الذى ولد بأثينا(469 - 399ق.م.).. أستاذ أفلاطون، وأسبق القائلين فى القوم برد العقيدة، والعبادة الى الضمير، ولكنه لم ينصرف الى مباحث ماوراء الطبيعة كانصرافه الى مباحث الأخلاق، والسياسة، وقواعد المعرفة، والثقافة النفسية.. فكان قصارى مأثر عنه من الآراء فى مسائل العقيدة أنه يؤمن بخلود الروح، وسلامتها من الفساد مع الجسد بع الموت، وكان يتكلم عن الآلهة تارة، وعن الاله تارة أخرى.. الا أنه يترهها جميعا عن تلك الخلائق البشرية التى تعزى اليها فى قصص الرواة، وأساطير الشعراء، ويؤمن برعايتها للبشر، ولايرى لانسان عبادة مقبولة اذا خلت من خلوص النية، وصفاء الضمير.. ويقول:

"-إن الباري تعالي لم يزل هوية فقط.. وهو جوهر فقط، وإذا رجعنا إلي حقيقة الوصف، والقول فيه وجدنا المنطق، والعقل قاصرين عن اكتناه وصفه، وحقيقته، وتسميته، وإدراكه.. لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره.. فهو المدرك حقا، والواصف لكل شئ وحقيقته، وتسميته، وإدراكه.. والواصف لكل شئ وصفا، والمسمي لكل موجود اسما.. فكيف يقدر المسمي أن يسميه اسما.. وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفا؟!.. فنرجع فنصفه من جهة آثاره، وأفعاله، وهي أسماء، وصفات.. إلا أنها ليست من الأسماء الواقعة علي الجوهر المخبرة عن حقيقته، وذلك مثل قولنا إله أي واضع كل شئ، وخالق أي مقدر كل شئ، وعزيز أي ممتنع أن يضام، وحكيم أي محكم أفعاله علي النظام ، وكذلك سائر الصفات.."

ومن مذهب سقراط:

"-أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان علي نحو من أنحاء الوجود.. إما متصلة بكلها، وإما متميزة بذواتها، وخواصها.. فاتصلت بالأبدان استكمالا، واستدامة.. والأبدان قوالبها، وآلاتها.. فتبطل الأبدان، وترجع النفوس إلي كليتها .."

ومن الوحى في القرآن الكريم:

"-وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" مريم 9..

ومن الأخبار ذات المغزي عن سقراط أنه اقتبس الحكمة من فيثاغورس، واقتصر من أصنافها علي الإلهيات، والأخلاقيات، واشتهر بالزهد، ورياضة النفس، وتهذيب الأخلاق، وأعرض عن ملاذ الدنيا، واعتزل إلي الجبل وأقام في أعلاه، ونهي رؤوساء زمانه عن الشرك، وعبادة الأوثان، فأثاروا عليه الغوغاء، وألحوا إلي ملكهم في قتله، فحبسه الملك ثم سقاه السم..

ولما أغتيل سقراط بالسم، ومات.. قام مقامه أفلاطون الإلهي **Plato** الذى ترجح ولادته فيما بين(**429، 427 ق.م.**)، وجلس علي كرسيه، وقد أخذ منه العلم وكذلك من "تيماوس"، وضم إليه العلوم الطبيعية، والرياضية، وتبع سقراط فى مباحث الأخلاق، والسياسة، والثقافة النفسية، وتبع فيثاغورس فى العقيدة الروحية، ومزج الفلسفة بالرياضة، والدين، ولو لم يكن أفلاطون وثنى البيئة لكان

أرفع الالهيين تنزيها للوحدانية.. فالوجود فى مذهب أفلاطون طبقتان متقابلتان.. طبقة العقل المطلق، وطبقة المادة الأولية، أو الهيولى ..Hyle ومن أقواله:

"-إن للعالم محدثا مبدعا أزليا واجبا بذاته.. عالما بجميع معلوماته علي نعت الأسباب الكلية، كان في الأزل.. ولم يكن في الوجود رسم، ولا طل.. إلا مثالا عنده، ربما يعبر عنه "بالهيولي"، وربما يعبر عنه "بالعنصر"، ولعله يشير إلي صور المعلومات في علمه.."

ثم جاء أرسطو Aristotle (384 - 322 ق.م.) ليوضح أن المبدأ الأول واحد من حيث أن العالم واحد، وأنه واجب الوجود لذاته.. عقل لذاته، وعاقل، ومعقول لذاته.. أما انه عقل فلأنه مجرد عن المادة.. منزه عن اللوازم المادية، فلا تحتجب ذاته عن ذاته، وأما انه عاقل لذاته، فلأنه مجرد لذاته ، وأما انه معقول لذاته؛ فلأنه غير محجوب عن ذاته بذاته، أو بغيره، وواجب الوجود لا يعتريه تغير وتأثر من غيره، وأن واجب الوجود حتي بذاته.. باق بذاته.. أي كامل في أن يكون بالفعل مدركا لكل شئ.. نافذ الأمر في كل شئ..

وتوسع أرسطو تلميذ أفلاطون فيما بعد الطبيعة توسعا لم يسبق اليه بين الفلاسفة الأوائل، ووضع للجدل معياره الذى سمى بعد ذلك "بعلم المنطق"، وفصل بين الحدود.. فبالغ أحيانا فى الفصل بينهما، ولكنه أقام القواعد الأولى على أساس صحيح، والله عند أرسطو هو العلة الأولى، والمحرك الأول؛ لأن العقل لايقبل التسلسل فى الماضى الى غير نهاية، ولابد لهذا المحرك أن يكون مستغنيا بوجوده عن كل موجود، وكل صفة من صفات الله تتعلق به، ولاتليق بغيره، وهى قائمة به، ولاتقوم على غيره، ومن هذه الصفات الارادة، والعلم كما تقدم، ومنها الكرم، والرحمة، والخير، والعدل، والحكمة، وسائر صفات الكمال.. فالله لايريد العالم لأنه لايحتاج اليه، ولكن العالم يريد الله، لأنه متوقف عليه..

وهذا هو الخطأ الذى جاء من الغلو فى مذهب أرسطو.. تناوله الحكماء الدينيون فلم ينكروا المقدمات، ولكنهم أنكروا النتيجة التى جاءت من المقدمات، فقالوا:"ان الله لايعقل الا أشرف معقول".. نعم لاجدال فى ذلك، ولكن أشرف معقول هو الذى يتحقق به كمال صفاته من القدرة، والعلم، والرحمة، والجود، وانما

يتحقق جوده بايجاد المخلوقات، ويتحقق علمه بنفى الجهل بها، وتتحقق رحمته برعايتها، وتهذيبها.. أما كيف يكون ذلك فالبحث فيه علة الخطأ فى جميع تلك الفروض، والأقيسة، لأنه سبحانه، وتعالى جل عن التشبيه.. فليس كمثله شيء، وليست أعمالنا كأعماله على فرض من الفروض..

ومن هنا فان المدرسة الأثينية عرضت على الفهم ماأخذته من ايمان الأولين.. فنقلت البناء من أساس الايمان الى أساس البحث، والقياس، وان موقفها من المادة كان كموقف التسليم بالأمر الواقع..

ومن كبار تلامذة أرسطو "ثيوفراسطوس Theophrastus (371- 286ق.م.)"، ومن كبار أصحابه، وشراحه.. يؤثر عنه:

"-الإلهية لا تتحرك، ومعناها لا تتغير، ولا تتبدل لا في الذات، ولا في سنة الأفعال .."

وممن وافق أرسطو في جميع آرائه "الاسكندر الأفروديسي"، وزاد عليه في الاحتجاج علي أن الاله عالم بالأشياء كلها.. كلياتها، وجزئياتها علي نسق واحد، وهو عالم بما كان، وبما سيكون.. ولا يتغير المعلوم، ولا يتكثر بتكثيره.. يقول الكتاب:

"-يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير" لقمان 16 ..

يقول فلوطارخيس الذي ظهر فى القرن الخامس ق.م. وتفلسف بمصر، ثم سار إلي ملطية مقيما بها:

"-هو مبدع فقط..لم يزل بالأزلية التي هي أزلية الأزليات، وكل مبدع ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته عنده، أي كانت معلومة له.. فالصورة عند ما لا نهاية.. أي المعلومات بلا نهاية.."

ويقول أكسنوفانِس(كزينوفانيس:(

"-إن المبدع الأول هو آنية أزلية دائمة ديمومة القدم، لا تدرك بنوع صفة منطقية، ولا عقلية.. مبدع صور كل صفة، وكل تحت نطقي، وعقلي، فاذا كان

هذا هكذا، فقولنا ان صور مافى هذا العالم المبدعة لم تكن عنده، أو كانت، أو كيف أبدع؟.. ولم أبدع؟.. محال.. لأن العقل مبدع، والمبدع مسبوق بالمبدع، والمسبوق لايدرك السابق أبدا؛ فلا يجوز أن يصف المسبوق السابق.."

ووجهات نظره هذه وغيرها تقتصر على شعره الباقى، والذى يتضمن أيضا هجاء، ونقدا لمجموعة واسعة من الأفكار الاغريقية مثل الاعتقاد بالبانثيون(آلهة الأوليمب..(

أما زينون الأكبر(زينون الإيلي **Zeno of Elea** (من أهل قنطس، وعاش فيما بين(490 - 430 ق.م.) فكان يقول:

"-ان المبدع الأول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر، وصورة كل جوهر، فعلمه غير متناه.. وهو قادر علي أن يفني العوالم يوما ما إذا أراد، وحكي "فلوطارخيس": أن زينون كان يزعم أن الأصول هي الاله، والعنصر فقط.. فالاله هو العلة الفاعلة، والعنصر هو المنفعل.."

ولكن ديمقريطيس **Democritus (460 – 361** ق.م.)، وشيعته مثل "فليوخوس" فلأنه كان يقول بالأخلاط الأربعة: "الماء"، و"الهواء"، و"التراب"، و"النار" فكان يعتقد أن المبدع الأول ليس هو العنصر فقط، ولا العقل فقط.. بل الأخلاط الأربعة وهي "الأسطقسات".. أوائل الموجودات كلها ..

ويري هِرَقْل الحكيم(هيراقليطوس 490 - 430ق.م.) أن النور الحق هو الذي لا يدرك من جهة عقولنا، لأنها أبدعت من ذلك النور الأول "الحق".. إنها تدل عليه.. إنه مبدع للكل..

وكان يقول:

"-ان السماء في النشأة الأخري تصير بلا كواكب.."

وفى الكتاب عن الوحى ضمن مشاهد القيامة:

"-وإذا الكواكب انتثرت" الانفطار 2 ..

ويقول أيضا:

"-تبقي النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة في هذا العالم الذي أحاط به النار إلي الأبد عقاب السرمد .."

وفى القرآن الكريم:

"-ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين" الأعراف 40..

ويقول:

"-وتصعد النفوس الشريفة الخالصة الطيبة إلي العالم الذي تمخض نورا، وبهاء، وحسنا في ثواب السرمد.. وهناك الصور الحسان لذات البصر، والالحان الشجية لذات السمع.. ولأنها أبدعت بلا توسط مادة، وتركب أسطقسات فهي جواهر شريفة.. روحانية.. نورانية.."

يقول الكتاب:

"-ولمن خاف مقام ربه جنتان(46) فبأى آلاء ربكما تكذبان(47) ذواتا أفنان(48) فبأى آلاء ربكما تكذبان(49) فيها عينان تجريان(50) فبأى آلاء ربكما تكذبان(51) فيهما من كل فاكهة زوجان(52) فبأى آلاء ربكما تكذبان(53) متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان(54) فبأى آلاء ربكما تكذبان(55) فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان(56) فبأى آلاء ربكما نكذبان(57) كأنهن الياقوت والمرجان(58) فبأى آلاء ربكما تكذبان(59) هل جزاء الاحسان الا الاحسان(60)" الرحمن ..

وغيرها كثير من آيات النعيم التى وعد بها المتقون(النفوس الطيبة ..(

وكان هيراقليطس يقول ان الكلمة (Logos)هى مناط الوجود كله، وكل شيء عند الله جميل، ولكن الناس هم الذين يعتبرون بعض الأمور من الخير، وبعضها من الشر، ولكنه لا يقول بالخالق، ولابحاجة الموجودات الى موجود..

واتخذ كل من خروسيبس(ليوسيبوس)، وزينون في قولهما الخالص:

"-إن المبدع الأول.. واحد محض.. أبدع العقل، والنفس دفعة واحدة؛ ثم أبدع جميع ما تحتها بتوسطهما.."

ومن حكم ديوجالس الكلبي(ديوجينس Diogenes of Sinope (327 – 413) ق.م.) أن الاله ليس علة الشرور.. بل علة الخيرات، والفضائل، والجود، والعقل.. جعلها بين خلقه.. فمن كسبها، وتمسك بها نالها، لأنه لا يدرك الخيرات إلا بها..

أما بُرُقلس فى القرن الخامس ق.م. فقال:

"-جواد بذاته، وعلة وجود العالم جوده، وجوده قديم لم يزل.. فيلزم أن يكون وجود العالم قديما لم يزل، وليس يخلو الصانع من أن يكون لم يزل صانعا بالفعل، أو لم يزل صانعا بالقوة، وأن الزمان لا يكون موجودا إلا مع الفلك، ولا الفلك إلا مع الزمان.. لأن الزمان هو العاد لحركات الفلك، ثم لا يجوز أن يقال متي، وقبل إلا حين يكون الزمان، ومتي، وقبل أبدي.. فالزمان أبدي، وحركات الفلك أبدية، والفلك أبدي".. يقول الكتاب:

"-هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون(5) ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون(6)" يونس ..

"-وبالنجم هم يهتدون" النحل 16..

"-إن عدة الشهور اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض" التوبة 36..

وقال:

"-إن العالم حسن النظام.. كامل القوام، وصانعه جواد خير، وليس بشرير، ولا يقدر علي نقضه غيره.."

ومن هنا اذا نحن رجعنا الى تاريخ الايمان فى بنى الانسان وجدنا أن اعتماده على "الوعى الكونى" أعظم جدا من اعتماده على القضايا المنطقية، والبراهين العقلية، وأنه أقوى جدا من كل يقين يأتى من جانب التحليل، والتقسيم، ولم تكن الفلسفة نفسها معنية باقامة البراهين على وجود الله للاقناع بعقيدة، والتوسل الى

ايمان، وانما كان الكلام فى وجود الله عند الفلاسفة الأقدمين من قبيل الكلام فى مباحث العلوم، وتفسير الظواهر الطبيعية.. فأرسطو مثلا لم يثبت وجود الله ليقنع به منكرا يدين بالكفر، والالحاد، ولكنه أثبته لأن تفسيره لظواهر الكون لايتسم بغير هذا الاثبات، ولم يحاول أن يقنع به أحدا فى زمانه على طريق التدين، والايمان ..

obeikandl.com

فتنة الاستنساخ

من الفتن التى ابتلى بها المسلمون أيضا فتنة الاستنساخ التى لا أعتبرها سوى آية، وبيانا عمليا للبشر لتقريب قدرته فى اعادة الخلق:

"-قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون" يونس 34..

"-الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون" الروم 11 ..

"-وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه" الروم 27 ..

ففى صبيحة الأحد الثالث والعشرين من شهر فبراير سنة 1997؛ نشرت جريدة "الأوبزرفر" البريطانية خبراً أثار ضجة عالمية.. مصحوبا بصورة للنعجة "دوللى.."

تقول تفاصيل الخبر أن فريقاً علمياً بأحد المراكز العلمية فى اسكتلندا "معهد روزلين" بقيادة "إيان ويلموث"، ومشاركة رئيسية من "كيت كامبل" قد تمكنوا من انتاج نعجة اسموها "دوللى" بغير طريق التزاوج الطبيعى المعروف فى الثدييات(رتبة من الحيوانات تلد وترضع صغارها.. وضعوا الانسان على رأسها) ولكن عن طريق الاستنساخ الجسدى (اللاجنسى)، وليس عن طريق التكاثر الجنسى العادى، الذى يتم فيه التقاء الذكر بالأنثى، لانتاج الأمشاج المذكرة، والمؤنثة الذى ينتج من اتحادهما الجنين ذو الخلية الواحدة، وتم الاعلان عن هذه النعجة بعد ولادتها بثمانية أشهر ..

وفى الخلايا الجسدية تنقسم الخلية انقساما فتيليا**Mitotic** ، حيث ينتج عن الخلية الأصلية خليتان، وهى الفترة""**M** ، وتسمى الفترة بين كل انقسامين متتاليين "المرحلة البينية **Interphase**"– ، وتنقسم المرحلة البينية الى ثلاث فترات.. فتسمى الفترة التى تلى تمام الانقسام مباشرة باسم"**G1**" ، تليها الفترة "**S**"، ثم الفترة ""**G2** التى تسبق الانقسام، ويعتمد هذا التقسيم للمرحلة البينية على نشاط حمض **DNA** الموجود فى الكروموسومات ..

وفى بداية التجربة أخذ العلماء الاسكتلنديون خلية جسدية من ضرع(ثدى) نعجة فنلندية بيضاء الوجه **Fin Dorset Ewe** وهى الفرد المانح فى التجربة **Donor**، وتعتبر هذه الخلية من ناحية النشاط التكاثرى، أو الانقسامى خلية

ساكنةQuiescent Cell ، وهى المرحلة G1 من مراحل دورة الخلية Cell)Cycleتمر الخلية الحية الطبيعية فى حياتها أثناء النمو فى طريقها للإنقسام الميتوزى- العادى- بثلاث مراحلG1,S,G2 ، وهى مراحل تمثل الطور البينى Interphaseالذى يسبق دخول الخلية المرحلة الرابعةM- - وهى مرحلة الانقسام الميتوزى كما أوضحنا، وتكون المادة الوراثية (DNA) أى الجينات فى حالة تضاعفDuplication ، حيث يتم التضاعف الفعلى فى المرحلة -S- نتيجة لنسخ المادة الوراثيةReplication ، فتكون الخلية فى المرحلة G2 ذات مادة وراثية مضاعفة تمهيدا فى دخول المرحلة -M- وهى مرحلة الانقسام)، وعليه فاذا أخذت الخلية من الفرد المانح فى احدى المرحلتين S,G2 تكون مادتها الوراثية مضاعفة..

وهذا هو الجديد الذى أتى به "إيان ويلموث"، وزملاؤه من أخذهم خلية جسدية ساكنة بمجرد انتهاءها من الانقسام فى الدورة السابقة لإنقسامها الميتوزى العادى.. بحيث تحتوى نواتها على المعدل الطبيعى للمادة الوراثية(DNA) ، وهذا يجعل نواة مثل هذه الخلية متوافقة، ومناسبة لسيتوبلازم البويضة التى ستدمج معها بعد ذلك.. فجميع المراكز البحثية قبل تجربة دوللى أجمعت على استحالة احداث التكاثر اللاجنسى فى طائفة الثدييات..

فمنذ عام 1979 وعلماء الهندسة الوراثية يحاولون توجيه الجينوم(المحتوى الوراثى للكائن الحى من الجينات) الى الحصول على نسخ من هذا الكائن، ولكن واجهتهم صعوبة اجراء عملية الاستنساخ على الخلايا الناضجة التى تخصصت جينوميا، وهو تخصص بعض الجينات لأداء وظيفة محددة وفقا لبرنامج وراثى مسبق عند اتحاد الحيوان المنوى بالبويضة.. فتصبح هذه الخلية نشطة فى أداء تخصصها الجديد، أما باقى المحتوى الوراثى فيدخل فى طور الكمون، ولم يستطع العلماء معرفة سبب هذا الكمون، ولا امكانية تنشيط باقى الجهاز الوراثى مرة أخرى.. فلجأوا الى استنساخ الخلايا الجنينية المبكرة؛ وذلك بتقسيم الخلايا الجنينية الثمانية الى خلايا مفردة، فتنزع نواة احدى الخلايا بما تحتويه من جينات وراثية ليتم نقلها الى حافظة مناسبة لاستمرار عملية التكوين الجنينى..

ولكى يتم ايقاف نشاط الجينات الفعالة فى هذه الخلية الجسدية فإنه يتم تجويعها عن طريق تنميتها فى وسط غذائى به تركيزات منخفضة جدا من المواد الغذائية(وسط غذائى فقير)، وعند درجة حرارة منخفضة.. ومن هنا تحكموا فى نشاط الجينات لارجاع الخلية الجسدية لحالتها الجينية اجبارا عن طريق التجويع **starvation**، أو الحرمان الغذائى؛ مضافا اليه درجات الحرارة المنخفضة لمدة أسبوع؛ وبذا أصبحت جميع الجينات فى المادة الوراثية للخلية فى صورة خاملة، وتكون قد عادت اليها ذاكرتها الجينية التى فقدتها عند التمايز، أو التعضى..

وفى نفس الوقت أخذت بويضة ناضجة، وغير مخصبة من نعجة اسكتلندية سوداء الوجه **Scottish Blak Face Ewe** وبواسطة جراحة ميكروسكوبية دقيقة سحبت النواة من تلك البويضة بما تحمله من مادة وراثية، بينما ظل السيتوبلازم موجودا بداخل غشاء الخلية (البويضة) التى ما هى الا مجرد وعاء، أو حقل مناسب يوفر مناخ الانقسام، ويفى بحاجاته، ويوفر مستلزمات استمراره..

فى الخطوة التالية توضع خلية الضرع بجانب البويضة لدمجهما معاً بواسطة الحث الكهربى، ونبضة كهربائية أخرى تستحث عملية انقسام النواة الخاصة بخلية الفرع(الخلية الجسدية).. وتعد هذه الخطوة من العمليات المعقدة لأنها تحتاج إلى دقة كبيرة، وتتم فى أنابيب الاختبار.. فهى تخضع للتجريب، والمحاولات المتعددة.. حيث تم الاندماج فى **29** حالة فقط من**277** محاولة استنساخ بهذه التقنية بنسبة **10 %** فقط ، ولم يعش من الحالات التسع والعشرين التى بدأ فيها الانقسام بالفعل؛ والذى لابد من استمراره لمدة ستة أيام قبل زرع الجنين فى الرحم سوى حالة النعجة "دوللى" فقط..

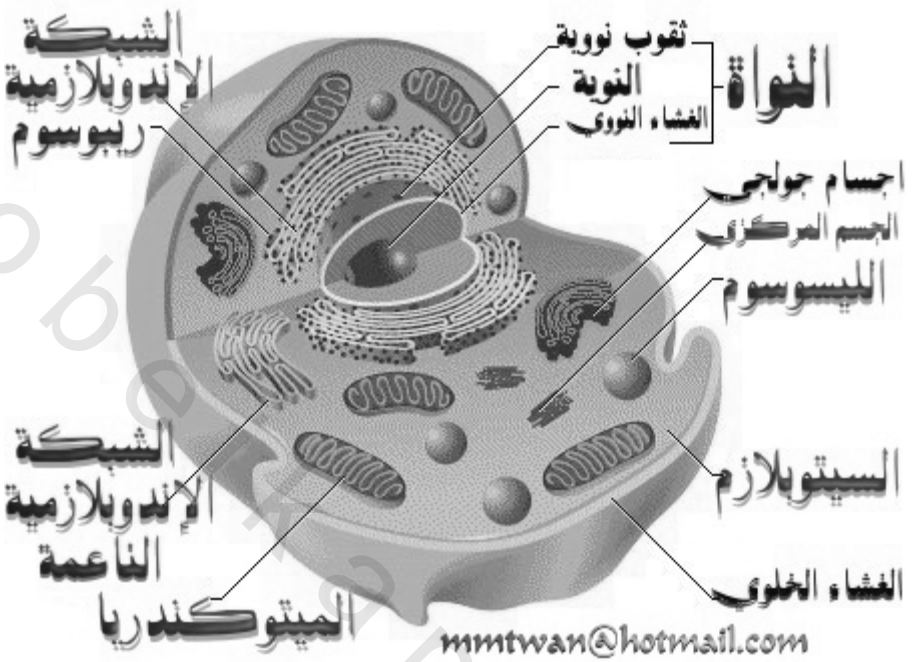

شكل مجسم لخلية حيوانية يبين مكوناتها الأساسية..

يتم للجنين عدة انقسامات بعد مرور الأيام الستة لتصبح الكتلة الخلوية الجنينية جاهزة للنقل، والتثبيت، أو الزرع داخل رحم نعجة ثالثة لتقضى فترة حمل كاملة..

وبعد فترة الحمل التى تبلغ فى الخراف 150 يوماً تمت الولادة، ونتج حمل صغير أنثى طبق الأصل من النعجة المانحة للخلية الجسدية وهى خلية الأم، ولكن بلا أب، وهى تحمل صفات الأم المانحة، ولا تحمل أى صفة من النعجة التى حملتها لمدة خمسة أشهر، وكذلك لا تحمل أى صفة من صفات النعجة التى أخذت منها البويضة..

ضج الناس، وهاجوا اثر استماعهم لخبر تناقلته وكالات الأنباء العالمية عن استنساخ طفلة فى احدى الدول المتقدمة – لم يعلن عنها – وكأن الخبر قد توجه بخاصة الى المؤمنين بوحدة، وقدرة الخالق.. بيد أن المتعقل لبواطن الأمور يدرك أن البشرية تسير الى حتفها، بعد أن انتابها الانزلاق البطيء.. فراحت تستحث الخطى الى النهاية، وكأنها تستعجل الانتحار.. ولسوف تكون النهاية بهذه العقليات السفيهة التى جعلت العلم تجارتها – وهى تتجر فى كل شيء – والهوس الذى أغرت

به ذوى المال، والسلطان فى هذا العالم.. فأى فائدة ستعود على العالم من استنساخ المزيد من البشر، والكرة الأرضية قد ضاقت بمن عليها.. مع سوء توزيع الثروة، وتلوث البيئة.. وقانون الحياة المعروف هو التنوع، والانتخاب للأصلح..

ان فكرة الاستنساخ تصلح للمصانع التى تقوم فكرتها على تكرار المنتج الواحد، أما الانسان – الذى كرمه الله - لأنه ذروة الخلق.. فهو معجزة فى حد ذاته.. فى خلقه.. وتنوع خلقه، وأفكاره، ومعتقداته، ولغاته، وعاداته، وتقاليده، والعجيب أن هذه الدول تبيح تشريعاتها العلاقات غير المشروعة، والاجهاض، وتعترف بالأولاد غير الشرعيين، وتبيح أيضا قوانينها قتل الأجنة، وحرية المرأة فى علاقاتها خارج المنزل تحت مسميات مللنا سماعها من حرية المرأة، وحرية البحث العلمى، وحرية الاعتقاد، وغيرها.. ومن الحرية ماقتل..

وتجربة النعجة دوللى تجربة فاشلة فى حد ذاتها.. فليس هناك صدفة فى العلم، فمن 277 محاولة تنجح 29 منها فى الاندماج بنسبة 10 % تقريبا.. فهذا ليس علما.. بل صدفة محضة حتى لو كانت فى الأحياء، اذ لابد من نجاح التجربة بنسبة تفوق الخمسين بالمائة لتعميمها، والحكم عليها من حيث قبولها كحقيقة علمية من عدمه خاصة وأن التجربة كتب لها النجاح مرة واحدة، وليست مضمونة النجاح مرة أخرى، كما أن التجربة أجريت على خلية من الضرع، ولم تجرب على خلايا من مناطق أخرى بجسم أنثى الغنم؛ لأن السلوك الوراثى للخلايا يختلف من خلية الى أخرى، ولم تجر التجربة أيضا على حيوان ثدى آخر كالفأر مثلا، وهى كائنات أعقد وراثيا، والتقنيات الوراثية الجنينية التى سبق اجراؤها على أجنة الفئران فشلت فى انتاج فئران بالغة قادرة على الحياة..

ومن المشاكل التى تعترض هذه التقنية صعوبة الوصول الى الوسط الحيوى المتوافق وراثيا.. فالجينات الوراثية فى النواة المنزوعة من خلية ما تترك 10 % من هذا المحتوى الجينى لدى سيتوبلازم الخلية وهو الذى يتوزع بنسبة 5 % للميتوكوندريا، 5 % موزعة على العضيات الأخرى للخلية، وهو الأمر الذى قد لايتوافق مع جينات النواة الطارئة على هذه الخلية فيؤدى الى تدمير جينات هذه النواة، وينشأ السؤال.. هل ستعيش هذه النواة فى الوسط الجديد بصورة عادية؟.. هل ستصاب بأمراض وراثية من جراء هذا التغيير؟ ..

تتعرض المادة الوراثية للخلايا الجسدية فى العادة للعديد من التغيرات الايجابية، والسلبية على حد سواء أثناء نموها، وتجديدها، وانقسامها، وهى تغيرات تراكمية، فتقوم انزيمات الصيانة بالخلية.. البالغ عددها عشرين انزيما باصلاح هذه التغييرات قدر الامكان، وفى حالة تجربة النعجة دوللى ترتد الخلية اتدادا وراثيا ناقصا لتغير التركيب الكيميائى لبعض الجينات التى يمكنها فى هذه الحالة التعبير عن نفسها، واظهار وظيفتها.. مما يؤثر على الصفات الوراثية للكائن الحى مستقبلا، وبالتالى فالارهاصات بانتاج انسان بمثل هذه التقنية هى ضربا من الوهم، والخيال.. فهذا الاستنساخ سيكون مسألة لاانسانية – على حد تعبير د. مارجريت برازير أستاذ القانون الدولى بجامعة مانشستر البريطانية – فهذا الانسان المستنسخ من سيكون أبواه، وأقرباؤه، وهى الأشياء التى تميز الكائن الحى.. ناهيك عن الطرق التى يتم بها نزع النواة من الخلية الجسدية، ثم زرعها فى البويضة منزوعة النواة، وهى الحقن المجهرى بابرة ميكرونية، أو القذف النفاث بقذيفة من التنجستن، أو القذف البخارى، أو الحث الكهربى بالنبضات المحددة الآمنة، أو استخدام أشعة الليزر، وكلها طرق لانأمن باستخدامها من امكانية تغيير المحتوى الوراثى الحساس جدا للتاثيرات الفيزيائية، والكيميائية، وحتى التأثيرات الطبيعية بفعل الأشعة الكونية مثلا ..

ثم يلحق الفشل بهذه التجربة مرة أخرى عندما يسرع الهرم، والشيخوخة المبكرة الى النعجة المسكينة دوللى، وتموت لأنها أكملت فقط عمر أمها ان جاز لنا أن نسميها أما، ولم تبدأ من جديد، وأصبحت حياة أمها محسوبة عليها.. فما جدوى هذا العبث، أو الدعارة العلمية التى ينفق عليها من أموال، وشقاء دافعى الضرائب على بعض من أصابهم الهوس، والافتتان بالظهور، والشهرة ممن فاتتهم فرصة الظهور فى مشاهد الأفلام الساخنة لافتقادهم أى موهبة.. حتى لو كانت عقدة التجرد من الملابس أمام الكاميرات ..

ماأرى هذا الزلزال الذى أصاب العالم عامة، والمؤمنين خاصة من كم الضوضاء الفارغة الذى صاحب هذه التجربة، وشهورها الطوال الا أن الله تعالى أراده لتقريب فكرة البعث، والنشور، والعودة الى الحياة مرة أخرى فى عصر العلوم، والتكنولوجيا:

"-ولايحيطون بشيء من علمه الا بما شاء" البقرة 255..

خاصة وأن العالم أجمع قد خبر الخلق جيدا فى المواليد التى تحدث يوميا بالملايين من كافة الأجناس من أدناها الى أرقاها، وتاجها وهو الانسان، والمتوج على عرش الأرض، والحياة، وخبر الموت من الملايين التى تموت يوميا من كافة الخلائق، ولكنه لم يصدق العودة، والاعادة التى ظهرت فى هذه التجربة التى ربما تبعها، أو سبقها الكثير المعلن، وغير المعلن، ورغم امتلاء القرآن الكريم بآيات الخلق، والموت، والاعادة، والكل يعلمها، لأنها واضحة كالشمس، ولاتحتاج مفسرا.. وكذلك الأحاديث النبوية التى توقفنا عند أحدها مما اتفق عليه الشيخان البخارى، ومسلم، ويعتبر معجزا فى مادته اذ فسر كيفية العودة بكلمات يسهل تفسيرها على ضوء المعطيات العلمية الحديثة:

-عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"بين النفختين أربعون .."

ويبدو من السياق أن أبا هريرة استحى أن يستوضح النبى ان كانت يوما، أو شهرا، أو سنة، وهى فعلا معلومة لاتفيد الموتى فى شيء، لأن النفخة الأولى ستقضى على من فى الأرض، والثانية ستوقظهم، وتعيدهم الى الحياة.. حيث يشرح الحديث كيف سيحدث هذا :

"-ويبلى كل شيء من الانسان الا عَجْب الذنب، فيه يركب الخلق، ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل.."

فالمادة الوراثية (DNA) لكل انسان تتجدد فى نخاع العظام(فى تجويف العظام) الذى سوف لا يبقى منه سوى آخر جزء فى نهاية العمود الفقرى(العجب، أو الذيل)، والذى قال عنه الرسول: "فيه يركب الخلق"، وهو قد جف، وتحجر بما فيه من مادة ورائية، ولا يحييه الا الماء ليعود الى الحياة مرة أخرى؛ كما تنبت البذور الخامدة من عدة سنوات، وهى تحوى أجنة جافة بها المادة الوراثية لهذا النوع من النبات، وهو ماقام به أحد الباحثين فى جامعة "أوبسالا" السويدية، ويدعى "د. اسفانت بابوه" من استنساخ DNA الفرعونى من احدى المومياوات المصرية، كما

أعلن فريق بحثى آخر من نفس الجامعة عن استنساخ جينات طفل(الكتاب الوراثى لهذا الطفل الذى مات من مئات السنين) مصرى فرعونى عمره 2400 سنة..

"-أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى" القيامة 40..

وليس الأمر فقط بحفظ، واستنبات المادة الوراثية DNA فقط على الأرض، ولكن هذه الشفرة الخاصة بكل انسان قد كتبت مكوناتها بطريقة احصائية فى أم الكتاب، محفوظ فى مكان مكين، أمين:

"-ان نحن نحى الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى امام مبين" يس 12..

"-قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ" ق 4 ..

ومن اعجاز هذا الحديث أن العالم قد سبق يوم القيامة، ولم ينتظر حتى يموت الانسان للاستفادة من نخاع العظام.. بل أصبحت خلايا نخاع العظام Stem cells of bone marrow))الآن مصدرا لمنح الحياة فى الأعضاء المختلفة من الجسم بشرط أن تؤخذ من نخاع نفس المريض(بسبب التوافق الوراثى) لعلاج بعض الاضطرابات بما فى ذلك اصابات الحبل الشوكى، والشلل الدماغى، والرضوض الدماغية، والقدم السكرى، ونخر رأس عظام الفخذ، وأمراض القلب، وذلك بحقن تركيز عال من هذه الخلايا البرانشيمية الجذعية التى تصلح لتجديد أى نوع من خلايا الجسم المختلفة من قلبية، وعصبية، وغيرها ..

نهاية بنى اسرائيل فى القرآن

-سورة الاسراء مكية تحدد نهاية بنى اسرائيل. .

-سورة الحشر مدنية تحدد بداية هذه النهاية. .

ذهب المفسرون مذاهب شتى فى بداية النهاية لبنى اسرائيل، وذهب المؤرخون مذاهب أخرى، وعندما يكون الاختلاف كبيراً يقع الشك فى الروايات.. فلم يقرن أحدهم سورة بأخرى فى الحدث الواحد، أو الأحداث القريبة، ولم يقرن أحدهم السورتين ببعضهما(الحشر، والاسراء).. كما لم يقرن أحدهم سورتى "الفيل"، و"البروج" ببعضهما.. من التفاسير، وكتب التاريخ التى كتبها المسلمون مثل "الطبرى"، و"ابن خلدون".. ولطالما رجحت أن أول الحشر بالنسبة لليهود هو أيضاً فى القرآن، وليس النهاية فقط، وفى سورة "الحشر" المسماة باسم الحادث الجلل، وهى السورة التى شرحت حادثة خروج يهود "بنى النضير" بقدر من التفصيل.. يقول تعالى فى إيجاز بليغ يصف ما جرى على يهود بنى النضير:

"-هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر" الحشر 2..

وهو تعالى ينسب الخروج لنفسه، كما سيُخرج البشر يوم القيامة.. فهم طلائع الحشر.. ففى مكيدة خبيثة تدل على دناءة الطبع، وغباء الفكر، واضمار الغدر دائما لمن يسالمهم.. انكشف للنبى صلى الله عليه وسلم نيتهم فى قتله بالقاء صخرة عليه، وهو جالس بين أصحابه مستندا الى جدار لهم، عندما جاءهم مستعينا بهم فى دية قتيلين من "قبيلة بنى عامر" الذين كان لهم عهد، وأمان مع كل من المسلمين، ويهود بنى النضير.. فلما هب قافلا الى المدينة أخبر أصحابه بما أضمروه.. فقرر حربهم، والمسير اليهم، وحصارهم عندما لاذوا بحصونهم، وقد كان هذا الخروج، وهذا الحشر وعدا من الله تعالى فى الآية **104** من سورة الاسراء.. سورة النهاية :

"-وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا.."

وكلمة من بعده أى من بعد حادث هلاك فرعون، وغرقه.. فأراد تعالى تكريم هؤلاء القوم مرتين؛ مرة بإخراجهم من الذل، والهوان الفرعونى، وبالتالى يرثون أرض فرعون، وأرض العماليق التى يبدو أنه كان على علاقة جيدة بهم - لقرب الصلة بينه، وبينهم - وهم ماوصفهم القرآن على لسانهم "بالقوم الجبارين"، ولعلهم كانوا(العماليق) لايختلفون كثيرا عن فرعون شدة، وقسوة، وجبروتا، وهو ماجعلهم يميلون الى الخنوع، والخوف منهم، حتى لايفعلوا بهم كما فعل بهم فرعون، فجبنوا، وآثروا السلامة:

"-قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها" المائدة 22 ..

وأول الحشر مع مفهوم الآخرة بأنها الحشر الأعظم، وكلمة الأولى تأتى فى القرآن فى أكثر من مناسبة بمعنى الدنيا(ونفهم أيضاً من القرآن أن اليهود الذين خرجوا من الجزيرة العربية أيام البعثة النبوية اتجهوا نحو الشام، وفلسطين.. وهى أرض المحشر، وهذا أول الحشر ..(وتعتبر سورة الاسراء من سور النبؤات فى القرآن كسورة "الروم"، وسورة "النجم"، وسورة "ص" إذ تنبئ عن النصر للمسلمين، والهزيمة، والفرقة للكافرين، فيقول تعالى:

"-غلبت الروم(2) فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون(3) فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويوم إذن يفرح المؤمنون(4) بنصر الله(5)" الروم .. وهى موقعة بدر ..

"-أم يقولون نحن جميع منتصر(44) سيهزم الجمع ويولون الدبر(45)" القمر.. وهى أيضا موقعة بدر..

وقد تكون الخندق:

"-جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب" ص 11 ..

وفى سورة الاسراء والتى نزلت بمكة ينبئ تعالى عما جاء إقراراً فى سورة الحشر:

"-وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً(4) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً(5.."(

وهى أولى المعارك مع المسلمين، إذ لم يذكر التاريخ عباداً لله هاجموا بنى إسرائيل، وأذلوهم غير المسلمين أيام النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وكان اليهود فقط هم أهل كتاب حتى سموا أنفسهم بشعب الله المختار فكيف يتحدث القرآن عن عباداً لله يعرفونه أكثر من المسلمين مع النبى محمد؟!.. وقد خاض المفسرون، والمؤرخون مذاهب شتى عن تلك الجيوش التى أبادت بنى إسرائيل، وشردهم.. ولكن السؤال لهؤلاء، وأولئك هل كانت جيوشا مسلمة؟!.. أم كانت جيوشل تعبد الأصنام مثل جيوش "بختنصر"؟..

"-ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا" الاسراء 6 ..

وذلك حال اليهود، وقد علا نفيرهم، وكثرت أموالهم، وتعاظم نفوذهم :

"-إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم" الاسراء 7..

ولن يحسنوا فهم يزدادون صلفاً، وغروراً كل يوم:

"وإن أسأتم فلها" الاسراء 7..

وهم يسيئون كل يوم بالفعل، وكل لحظة:

"-فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا" الاسراء 7..

وكلمة وعد الآخرة جاءت بلفظها فى آية الجمع من الشتات فى سورة الاسراء

الأرض.. السكون والحركة

ظاهر الآيات القرآنية تثبت أن الشمس هى التى تدور على الأرض، وبدورانها يحصل تعاقب الليل، والنهار على سطح الأرض، وليس لنا أن نتجاوز ظاهر هذه الأدلة الا بدليل أقوى من ذلك يصوغ لنا تأويلها عن ظاهرها، ومن الأدلة الشرعية على أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل، والنهار مايلى:

" -فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب" البقرة 258..

" -فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برئ مما تشركون" الأنعام 78..

الأفول من الشمس لا عنها، ولو أن الدوران للأرض لقال: "فلما أفلت عنها.."

" -وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال" الكهف 17..

الازورار، والقرض من الشمس دلالة على أن الحركة من الشمس، ولو كانت من الأرض لقال: "يزاور كهفهم عنها".. كما أن باضافة الطلوع، والغروب الى الشمس يدل على أنها هى التى تدور؛ وان كانت دلالتها أقل من دلالة قوله: "تزاور"، و"تقرضهم.."

" -وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون" الأنبياء 33 ..

يدورون فى فلكة كفلكة المغزل.. كما قال ابن عباس..

" -يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً" الأعراف 54..

الليل يطلب النهار.. والطالب مندفع لاحق، ومن المعلوم أن الليل، والنهار تابعان للشمس..

"-ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير" لقمان 29..

" -خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار" الزمر 5 ..

والتكوير يعنى يديره ككور العمامة دليل على أن الدوران من الليل، والنهار على الأرض، ولو كانت الأرض تدور لقال: "يكور الأرض على الليل والنهار.."

"-يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير" فاطر 13..

"-" -الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون" الرعد 2..

"-الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون" الرعد 2..

دليل على أن الشمس، والقمر يجريان جرياً حسياً مكانياً؛ لأن تسخير المتحرك بحركته أظهر من تسخير الثابت الذى لا يتحرك..

" -والشمس وضحاها(1)والقمر اذا تلاها(2)" الشمس..

وتلاها أتى بعدها، وهو دليل على سيرهما، ودورانهما على الأرض، ولو كانت الأرض تدور عليهما لم يكن القمر تالياً للشمس بل كان تالياً لها أحياناً، وتالية له أحياناً لأن الشمس أرفع منه، والاستدلال بهذه الآيه يحتاج الى تأمل..

" -والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم(38) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم(39) لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون(40)" يـــــس..

فاضافة الجريان الى الشمس، وجعله تقديراً من ذى عزة، وعلم يدل على أنه جريان حقيقى بتقدير بالغ.. بحيث يترتب عليه اختلاف الليل، والنهار، والفصول، وتقدير القمر منازل يدل على تنقله فيها، ولو كانت الأرض تدور لكان تقدير المنازل لها من القمر.. لا للقمر، ونفى ادراك الشمس للقمر، وسبق الليل للنهار يدل على حركة اندفاع من الشمس، والقمر، والليل، والنهار..

"-ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا" الفرقان 5..

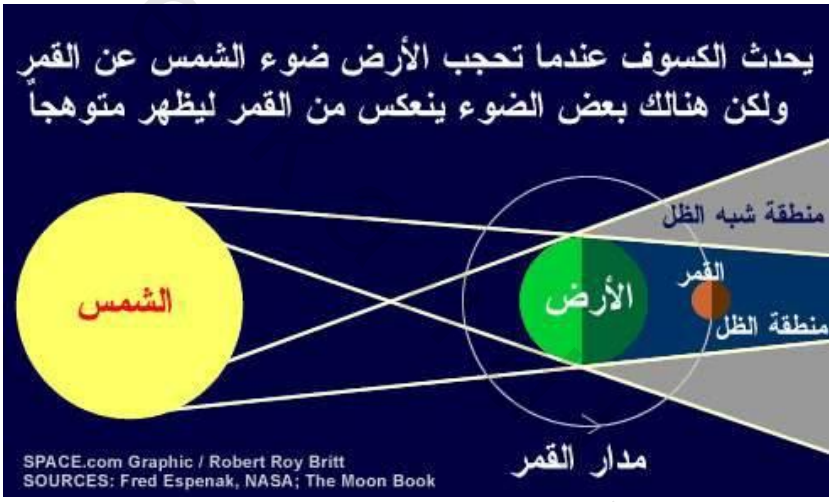

مخطط توضيحى لكسوف الشمس يبين مناطق الظل وشبه الظل بالنسبة للأرض(عن شبكة المعلومات العنكبوتية(

الظل هو مابين الضوء الخالص، والظلمة الخالصة، وهو يبقى فى الأرض من طلوع الفجر الى شروق الشمس، ومن غروب الشمس الى هبوط الليل.. فهما منطقتان يقعان على طرفى الظلمة بعد الغروب، وقبل الشروق فى اليوم التالى(كما فى الرسم).. فهو ظل ممدود على طرفى الظلمة يسمح بالرؤية حتى تنسخه الشمس، ولو شاء تعالى أسكنه، ولم يمده، وهو ظاهرة مقترنة بقوانين الضوء، ومايتبعه من ظل فى المنطقة المقابلة لمصدر الضوء.. يتبعهما منطقتى شبه ظل، وقد جعل الله الشمس مصدرا للضوء الذى ينسخ الظل، وهو تعالى لم يجعلها مصدرا للضوء فقط.. بل

يظل يتبعها لأنه جعلها دليله.. يسير أينما تسير.. فهو أمامها، وخلفها، وهو مايثبت حركة الشمس حول الأرض ..

ذكرت الشمس فى القرآن 32 مرة؛ منها مرتان عند نهايتها، 30 مرة فى حياتها الدنيا، ويشير الرقم 30 على عدد أيام الشهر فى التقويم الشمسى أغلبها(23 مرة) تأتى مع أفعال الحركة(مثل.. تأتى، بازغة، سخر، تدلك، تشرق، تطلع، تسجد، تجرى، تدرك)، وتأتى دائما مقترنة بالقمر المتحرك مثلها.. وقد جاءت فى القرآن مسخرة للأرض، وأهلها، ولم ينسب القرآن تسخيرا(حركة) للأرض:

"-وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى" الرعد 2..

"-وسخر لكم الشمس والقمر دائبين" ابراهيم 23..

"-وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر" النحل 12..

"-وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى" لقمان 29..

"-وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى" فاطر 13..

"-وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى" الزمر 5..

"-والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره" الأعراف 54..

وتوضح الآيات أن دورة القمر مع الشمس، وليست مع الأرض.. فكلاهما مسخرين للأرض، ويدوران حولها، ولم يقترن ذكر الشمس بالأرض أبدا فى القرآن، فلا يصح أن اقتران ثابت بمتحرك ..

ذكرت الأرض فى القرآن 451 مرة؛ فلم ترد ولا مرة مع أفعال الحركة سوى أفعال التسبيح فقط.. وهى تقترن دائما بالسموات.. لأنهما مشتركان فى الثبات، وعدم الحركة.. وقد نسب الله تعالى السجود لكل الكائنات؛ ماعدا السموات، والأرض لايسجدان:

"-ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس" الحج 18..

ويقرر صراحة:

"-والأرض وضعها للأنام" الرحمن 10..

والوضع من الثبات.. كما قال قبل ذلك عن الميزان:

"-والسماء رفعها ووضع الميزان(7) ألا تطغوا فى الميزان(8) وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان(9)" الرحمن..

فقد رفع السماء، ووضع الأرض.. كما وضع الميزان الذى لايمكنه الوزن بالقسط، والدقة اللذان يوصى بهما الا اذا كان فى وضع الثبات كالأرض تماما ..

وقد عرفوا حديثا أن للسماء أبوابا؛ كما نوه القرآن من قبل:

"-وفتحت السماء فكانت أبوابا" النبأ 19..

"-ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون" الحجر 14..

فأبواب السماء لها مجازات معينة لاتتغير الا اذا كانت الأرض ثابتة ..

وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لأبى ذر – رضى الله عنه – وقد غربت الشمس:

>> -أتدرى أين تذهب؟ ..<<

قال: الله ورسوله أعلم ..

قال :

>> -فانها تذهب فتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، فيوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها>>.. متفق عليه ..

فقوله <<ارجعى.. فتطلع>>..ظاهر جداً فى أنها هى التى تتحرك، وتدور على الأرض، وبدورانها يحصل الطلوع، والغروب..

والأحاديث كثيرة فى اضافة الطلوع، والغروب، والزوال الى الشمس.. فانها ظاهرة فى وقوع ذلك منها؛ لا من الأرض عليها(1..(

ويخبرنا تعالى بمثل فى القرآن عن أحد ملوك الأرض الصالحين، وفاتح عظيم يسمى "ذى القرنين" منحه الله بصطة فى العلم، والجسم، وكان طموحا ، ومولعا بالشمس كنجم خلقه الله، وسخره للبشر، وكان حكيما يأخذ بأسباب العلم..

ومن أسباب العلم الرؤية بالعين، وتعيين الحقائق على الطبيعة، فآل على نفسه بما أعطاه الله من الأسباب، والامكانيات أن يتتبع هذه الشمس من الطلوع.. الى الغروب، وقد كان له ذلك.. فجاب الأرض فاتحا حتى بلغ أول مابلغ مغرب الشمس:

"-حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما" الكهف 86..

والعين الحمئة هى عين ماء، ولكنه يحتوى على طين أسود حام، وقد وجد أحد الباحثين، والمهتمين بهذا الأمر(6) بأن هذه العين ينطبق عليها وصف الجغرافيين لمصب نهر الأمازون الواقع على خط الاستواء فى البرازيل بأمريكا الجنوبية، والذى تحمل روافده الهابطة من جبال الانديز كميات هائلة من الطمى، ردمت هذا الحوض، وملأته بكميات كبيرة من الطمى، والصلصال..

) خريطة توضح حوض نهر الأمازون، ومصب النهر فى المحيط الأطلنطى باللون الأزرق..(

ثم اتجه ذو القرنين شرقا ليتحرى مطلع الشمس على جزيرة صغيرة بأندونيسيا تسمى "هالماهيرا(6)" عبارة عن غابة استوائية مدارية لاتصلح لبناء قرى، أو مدن لأنها كثيفة الأشجار:

"-حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا" الكهف 90 ..

وفى كلتا الحالتين أكد تعالى على وجود أقواما التقوا بذى القرنين، بمعنى أنها أماكن ماهولة بالسكان الذى كانوا شهداء على هذا الحدث، ومنهم قوم قضى بينهم ذو القرنين بالعدل، بعد أن ترك الله له الخيار فى ذلك:

"-قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا(86) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا(87) وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا(88)" الكهف..

ووجود الناس هنا يقطع بالدليل أنه شاهد مغربها بالفعل فى العين الحمئة، وشاهد مطلعها عيانا، لا كما يقول الذيول من مشايخنا، أو مشايخنا الذيول أنه يمكنه الوقوف على شاطى البحر، أو المحيط ليراها من بعيد وكأنها تزل فى المياه.. وكأنه طفل يلهو بلعبة يحبها، ثم يأتى جل جلاله ليسلينا بها.. تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا.. كذلك أثبت تعالى حركتين للشمس؛ هما.. الغروب، والطلوع، وليس الشروق.. لأن الشروق قد يفيد فعلا خارجيا طرأ على الشمس، ولكن الطلوع هو فعلها بنفسها..

ولما كان المتخصصون فى علوم الدين، وعلوم الطبيعة فى بلاد المسلمين لايلتقون، ولايتلاقون، وكل حزب بما لديهم فرحون، وانعزل كلاهما حتى عن الناس.. قام من غير المتخصصين من استطاع البحث، والدراسة، والتمحيص بعد أن وجدوا من أنفسهم الاهتمام، والصبر.. فقام أحد هؤلاء الباحثين بالاطلاع الوافر فى هذا الجانب؛ حتى أنه قام برحلات كالتى قام به ذو القرنين قديما ليستقصى هذا الأمر بنفسه، فجمع من الأدلة ماجعله يتأكد أن مغرب الشمس فى جزر المالديف بالمحيط الهندى.. فهى تقع على خط الاستواء، ومحاطة بمياه المحيط الحامية، أو برك المياه الحامية.. وتتكون من أرخبيل يضم حوالى 1190 جزيرة، يقع بعضها شمال خط

الاستواء، والبعض الآخر جنوبه، وتنتشر على هيئة جزر مرجانية(Atoll وهى جزر حلقية الشكل تحيط بجسم مائى ضحل متصل بالبحر)، وتمتد هذه الجزر على هيئة سلسلة بمسافة 820 كم من الشمال الى الجنوب، 130كم عند أوسع نقطة فى الأرخبيل بين خطى العرض 7.07 ْ شمالا، 0.40 ْ جنوبا.. وعند خط الاستواء تكون الشمس عمودية عليه، ومن ثم تكون حرارة هذا المكان أعلى من أى مكان آخر على سطح الأرض فتبلغ 30-32 ْم. وهى حامية كالشمس الحامية، ويبلغ عمق المحيط حول جزر المالديف حوالى 2500 متر فى اتجاه الشرق، 4000 متر فى اتجاه الغرب.. ومن أدلته أيضا أن هذه الجزر البركانية مأهولة بالسكان، وقابلة للسكنى منذ خمد بعضها مع الزمن، وهؤلاء السكان ثبت تاريخيا وجودهم منذ حوالى 3350 سنة، وهو ماكشفه البحار، وعالم الآثار الاسكندنافى(8) "ثور هايردال "Thor Heyerdalh أثناء رحلاته على متن مركب مصنوع من القصب مثل تلك المراكب التى كانت مستخدمة قديما فى بلاد ما بين النهرين، ومصر فى كتابه "سر جزر المالديف "The Mystery of the Maldives عن شواهد تبرهن على زيارة أقوام لجزر المالديف، وسكناها منذ 4000 سنة، وذلك بوجود حجارة منحوت عليها رموزا شمسية تشبه نفس الرموز فى حضارة مصر القديمة، وبلاد مابين النهرين، والهند.. هذا عن غروب الشمس.. أما عن مطلعها فقد أبحر ذو القرنين شرقا من المحيط الهندى، وبمحاذاة خط الاستواء حتى الوصول الى المحيط الهادى، والاستمرار فى عبور هذا المحيط حتى بلوغ مطلع الشمس فى وسط هذا المحيط فيما يعرف الآن بجزر كيريباتى التى تقع بين خطى طول 173، 177 شرقا، وتمتد من الشمال الى الجنوب بمساحة قدرها 800 كم2، وتمتد المسافة من الشرق الى الغرب بمقدار أكبر من 3218كم2.. ومن الحقائق العلمية المستقرة أن الشمس تطلع فى نفس الوقت تقريبا على المناطق القريبة، أو المحاذية لخط الاستواء، كما تغرب أيضا فى نفس الوقت تقريبا فى هذه المناطق، وهو مايجعل طول الليل، والنهار متساو فى هذه المناطق.. أى 12 ساعة للنهار، 12 لليل فى كل يوم من أيام السنة؛ فتطلع الشمس على منطقة كيريباتى فى السادسة، والنصف صباحا فى كل يوم من أيام السنة، وتغرب عنها فى السادسة، والنصف مساء فى كل يوم من أيام السنة مدى الحياة.. وهى جزر منبسطة، وخالية

من الجبال، والتلال، والبراكين التى قد تمنع رؤية الشمس، أو حجبها؛ فأرضها مسطحة، وتحيط بها المياه من جميع الجهات، وبينها، وبين اليابسة آلاف الأميال.. وهو موقع نادر، ومتميز، ولايوجد له مثيل على الكرة الأرضية.. وقد احتفل العالم أجمع بميلاد الألفية الثالثة بطلوع أول أشعة للشمس على سطح الأرض فى جزر كيريباتى التى تجمع على أرضها ممثلوا وسائل الاعلام العالمية، ومجموعات كبيرة من الباحثين، والسياح.. ويعتبر سكان هذه الجزر أنفسهم أول من تطلع عليه الشمس كل يوم على وجه الكرة الأرضية، ويطلقون "مطلع الشمس، أو أوتن تاى بلغتهم" Otin Taaiعلى بعض مزاراتهم؛ وهى تقترب فى لفظها، وهجائها من كلمة أتينAten ، أو أتون Atonفى اللغة المصرية القديمة..

"-ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا ماشاء الله وكل آتوه داخرين (87) وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون (88)" النمل ..

دائما ما يقحم المسلمون المعاصرون هذه الآية فى سياق الحديث عن وهم دوران الأرض حول الشمس ليدللوا أن القرآن يثبت ذلك.. حتى وقع فيه خاصتهم.. وهى آية تناقض كم الآيات التى أوردناها من ناحية، والناحية الأخرى هى موقع هذه الآية وسط آيات تورد أحداث يوم القيامة، وهو واضح للعامة.. فما بال العلماء، خاصة وقد وردت آيات أخرى فى غاية الوضوح عن حالة الجبال يوم القيامة.. لاتختلف كثيرا عن هذا الوصف فى تفتت الجبال، وتناثرها.. وخروجها عن ثباتها، ورسوخها التى كانت عليه فى الدنيا.. فيقول:

"-يوم تمور السماء مورا(9) وتسير الجبال سيرا(10)" الطور..

"-اذا رجت الأرض رجا(4) وبست الجبال بسا(5)" الواقعة..

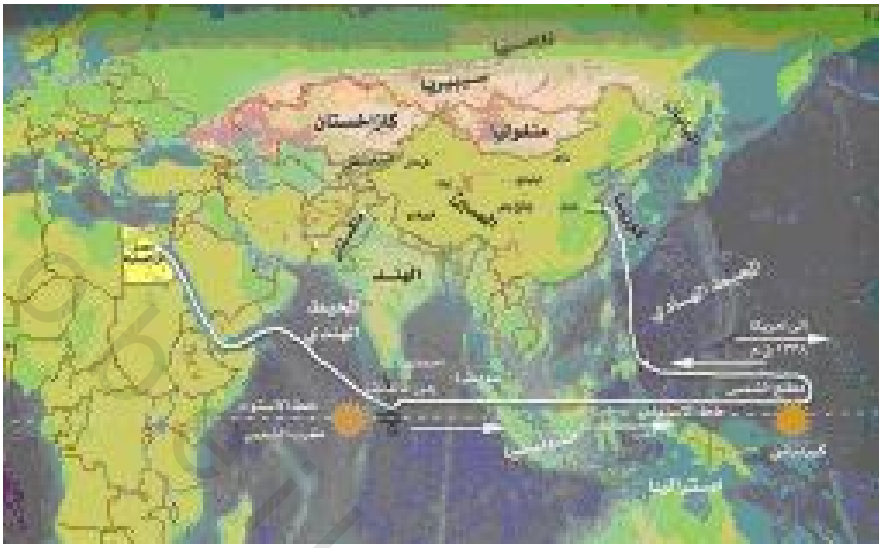

خريطة توضح موقعى مطلع الشمس ومغربها على خط الاستواء(عن كتاب فك أسرار ذى القرنين(

"-وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة" الحاقة 14..

"-يوم تكون السماء كالمهل(8) وتكون الجبال كالعهن(9)" المعارج..

"-يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (4) وتكون الجبال كالعهن المنفوش (5)" القارعة..

"-ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا (105) فيذرها قاعا صفصفا (106) لاترى فيها عوجا ولاأمتا (107) يؤمئذ يتبعون الداعى وخشعت الأصوات للرحمن(108)" طه..

"-واذا الجبال نسفت" المرسلات 10..

"-يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا" المزمل 14..

"-وسيرت الجبال فكانت سرابا" النبأ 20 ..

"-واذا الجبال سيرت" التكوير 3..

ولايتحقق ذلك فى الدنيا كما هو واضح من سياق الآيات.. فيكون النسف يوم القيامة.. حيث لاوظيفة لها كما كانت فى الدنيا من الثبات.. ومن هنا سنرى مشهدا مغايرا للأرض يوم القيامة:

"ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا" الكهف 47 ..

فعندما تزال الجبال سنرى الأرض صفحة ممتدة على طول البصر:

"يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار" ابراهيم 48 ..

وقد استخدمت الآيات أفعالا قوية كى تؤثر فى رسوخ الجبال، ومتانتها مثل: الدك، والبس، والنسف، ثم التسيير لتبدوا كالسراب للناظر اليها بعد أن صيرها الدك، والبس، والنسف كالعهن، والعهن المنفوش، والكثيب المهيل الذى يسهل تلاشيه، واختفاؤه..

أما فى الدنيا.. فهى ثابتة مثبتة للأرض:

"-وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى" الرعد 61..

"-والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى" الحجر 19..

"-وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون" النحل 15..

"-وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون" الأنبياء 31..

"-أمن جعل الأرض قراراوجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى" النمل 61..

"-وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم" لقمان 9..

"-وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها" فصلت 10..

"-والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى" ق 7..

"-وجعلنا فيها رواسى شامخات" المرسلات 27..

"-والجبال أرساها" النازعات 32..

"-ألم نجعل الأرض مهادا(6) والجبال أوتادا(7)" النبأ..

"-أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت(17) والى السماء كيف رفعت(18) والى الجبال كيف نصبت(19)" الغاشية..

وقد وقع المسلمون حديثا فى وهم دوران الأرض حول الشمس.. على غير الحقيقة التى بينها خالقها سبحانه وتعالى فى القرآن.. ومع أن الموضوع ليس الا رجما بالغيب من هؤلاء المدعين بدوران الأرض.. وماهى الا مجرد آراء، وأفكار، ومدارس اعتقادية.. الا أنهم يجزمون بذلك.. بل منهم من يتخذه عقيدة دون عقيدته القرآنية.. التى تتضح فى الآيات، وللأسف أشدهم عقيدة فى دوران الأرض.. أشدهم تدينا، ولهم أطروحات دينية، ونظرات قرآنية، ويتبعون فرقا ظهرت حديثا أيضا مثل ما يطلقون على أنفسهم الاخوان المسلمين، أوالسلفيين، ولهم تفسيرات للآيات الصريحة عن دوران الشمس، وتسخيرها للأرض.. يؤلونها، ويلوون عنقها كى تتفق مع أقوال أساتذتهم الغربيين الذين يدعون الدوران للأرض دون الشمس.. ثم يرمون غيرهم بالعلمانية، والليبرالية.. وهم يجهلون تماما أن العلمانية، والليبرالية نشأت فى الغرب مع بروز هذه الأفكار.. فقد كانت أراء كوبرنيكوس عن دوران الأرض هى نقطة البداية.. عندما أعلن أن الأرض ليست مركز الكون.. وبالتالى لم يعد الانسان أيضا مركز الكون، وهو تبعا لهذا ليس بهذه الكرامة، والأهمية التى أولتها له الرسالات السماوية، وجعل الخالق الأرض، وماحولها من نجوم، وشمس، وقمر له دون غيره من المخلوفات التى ماهى الا مسخرة له.. بل لم تخلق الا لخدمته، ومادام الأمر كذلك فلم يعد للانسان القدرة على ادعاء امتلاكه للحقيقة المطلقة.. حتى لو كانت عن طريق الوحى، ومن هنا بزغت شمس العلمانية فى القرن السادس عشر.. باعتبار أن العلمانية هى التفكير فى النسبى بما هو نسبى، وليس بما هو مطلق.. وبعدها مباشرة فى القرن السابع عشر تأسست نظرية العقد الاجتماعى عند "هوبز"، و"لوك"، و"رسو".. وجوهر هذه النظرية أن المجتمع من صنع الانسان، وليس من صنع الله.. بمعنى استغناء الانسان عن قوانين السماء.. فهو قادر على صياغة قوانينه بنفسه، ومن العلمانية، والعقد الاجتماعى تأسس التنوير فى القرن الثامن عشر.. ثم تبعتهم الليبرالية فى القرن التاسع عشر.. والتى دعى لها الفيلسوف

الانجليزى "جون ستيوارت".. وهى تعنى ببساطة أن سلطة الفرد فوق سلطة المجتمع ..

عند عرض الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش لكتاب "حركات الأجرام السماوية" أكد أن كوبرنيكوس نقل هذا الكتاب بالكامل من كتاب المجسطى للخوجة نصر الدين الطوسى، وبنفس الترتيب.. وكل ما فعله كوبرنيكوس أثناء النقل الأمين أنه بدل مواضع الشمس فى الكتاب المنقول بمواضع الأرض.. وهكذا انقلب النظام.. قلبه اللص الذى يعمل فى رتبة دينية بالكنيسة..

ومن غير رجال الدين، وعلماء الجيولوجيا، والفيزياء، والميكانيكا ذوو التلقى التلقائى، والثقة فيما يقوله علماء الغرب بلا تفكير، أو مراجعة.. أو اعمال عقل- وهو سبب تأخر المسلمين رغم امتلاكم للعلم، والمال راح آخرون من غير المتخصصين يراجعون، ويمحصون، ويطرحون الأسئلة، ويضعون البراهين أن الأرض ثابتة ولا تدور حول نفسها، ولا حول الشمس بمدار اهليلجى..

صورتان توضحان طلوع الشمس وغروبها فى تاوا عاصمة كيربياتى(عن كتاب فك أسرار ذى القرنين(

ويؤكدون أن الليل، والنهار يتشكلان نتيجة دوران الشمس حول الارض، وتتشكل الفصول الأربعة نتيجة حركة الشمس اللولبية بين مدار السرطان، ومدار الجدى أثناء دوران الشمس حول الأرض ليدحضوا النظرية الحالية التى يسير عليها العالم؛ وتبنى على أساسها العلوم، والتى تدرس فى كل جامعات العالم؛ بالإضافة الى الأبحاث الفضائية القائمة، وكذلك النظرية التى جاء بها كوبرنيكوس؛ والتى تقول أن الأرض ليست ثابتة، وهى تدور حول نفسها 360 درجة خلال 23 ساعة، 56 دقيقة، 4 ثوان.. وتنتقل الأرض حول الشمس كل يوم 2450000كم خلال 3 دقائق، 56 ثانية لتكتمل ساعات اليوم 24 ساعة، ولتكتمل الدورة الاهليلجية 360 درجة خلال 365 يوماً وربع، وبهاتين الدورتين يتشكل الليل، والنهار، وتتشكل الفصول الأربعة، ويدور القمر مرة حول الأرض، ومرة حول نفسه كل 28 يوماً.. بحيث يبعد القمر عن الشمس 12 درجة يومياً، واستدل على انتقال الأرض حول الشمس بتغيير أبراج التنجيم، ثم طبع كتاباً حول النظرية دون أن يحمل اسمه خشية بطش الكنيسة؛ لأنه خالف ما درجت عليه، ودرج عليه العالم؛ ليأتى بعده الايطالى جاليليو جاليلى مؤكداً صحة نظرية كوبرنيكوس.. ثم تراجع أيضا عن نظريته لينجو من حكم الاعدام، كما وضع كبلر قوانينه فى حركة الأجسام فى الحقول المركزية، وأصبحت من المسلمات العلمية فى الوقت الحالى ..

تكررت ألفاظ العلم فى القرآن أكثر من 160 مرة، وهو قد حوى 6236 آية منها حوالى 750 آية كونية، وعلمية(12%)، والباقى آيات تشريع، وعبادات، وتوحيد، وتأمل، وأخلاق، وقصص(13).. فالذين احترموا عقولهم، وفضلوا التجريب، والتفكير.. وانطلقوا الى ملك الله فى الفضاء، وأعماق البحار.. يحثونا على أن ننطلق، ولاننام، ولانوكل تخلفنا للقدر، وأن الانبهار وحده – دون عمل – قد يؤدى الى توقف ملكات المنبهر، أويأسه..

وفيما يلى تناقضات وقع فيها علماء الفضاء.. وكذلك براهين منطقية تثبت عكس مايدعون:

-1يدعون أن جاذبية الشمس أقوى من جاذبية القمر؛ فلماذا لاتظهر تأثيرات جاذبية الشمس على الأرض؟!.. فعندما يحدث المد، والجزر عادة ما يكون القمر عمودياً على الأرض، وليس الشمس..

-2كى يفسروا حركة الأرض حول الشمس- حسب نظرية كوبرنيكوس- وكانت الأرض تدور حول نفسها(حول محورها) خلال 24 ساعة.. والأرض كرة مجموع درجاتها $^{\circ\circ}360$ فبذلك يستغرق دورانها $^{\circ}1$ زمن أربع دقائق.. والى هنا لايوجد زمن متبق للدوران حول الشمس - حسب النظرية- فعمدوا الى تقسيم اليوم قسمين: الأول تدور فيه الأرض حول نفسها $^{\circ}360$ خلال 23 ساعة، 56 دقيقة، 4 ثوان، والثانى: تنتقل الأرض فيه حول الشمس مسافة 2450000كم خلال 3 دقائق، 56 ثانية، وبذلك يقل زمن الدورة درجة واحدة الى 3.9890741 دقيقة.. مما يؤثر على حساب الزمن على الأرض بمقدار يوم تقضيه الأرض فى لهاث وراء الشمس، وهذ مالايحدث عمليا..

-3السرعة التى قدروها للأرض فى مدارها حول الشمس فى 3 دقائق، 56 ثانية هى 2450000 كم.. بما يعنى 10381.355 كم /ثانية.. فهل هذه سرعة تحتملها الكائنات الحية التى تعيش على سطح الأرض؟!.. وهل هذه السرعة مقارنة بالأعاصير ذات الرياح، وسرعتها العاتية تترك الأرض بما عليها سليمة؟!.. وهى تحدث يوميا كما يدعون، وماذا لو قارنا هذا بما تحدثة الرياح، والأعاصير كل فترة من دمار، وتشريد خاصة رياح الأعاصير من الدرجة الخامسة حيث تصل سرعتها 250 كم/ساعة؟!.. وكيف لانحس بهذه الحركة المفاجأة، وسرعتها الخاطفة؟!.. ألا

نحس بصعود الطائرة المفاجيء بسرعتها الضئيلة بالنسبة لهذه السرعة؟!.. أو صعود سيارة سريعة فوق كوبرى فجأة؟!.. وهل يتحمل غلافها الجوى هذه السرعة العظيمة.. وماهى العلاقة بين السرعة فى مجال الجاذبية، والجاذبية؟.. وعند ما تكون الطائرات على الأرض تعد قطعة منها، وعند طيرانها فى الغلاف الجوى تقوم بإزاحة الهواء من أمامها، ولو تحركت الأرض مثل الطائرة فى الغلاف- خاصة أن سرعتها أضعاف سرعة الطائرة بكثير- لأزاحت الهواء من أمامها، وتجاوزت الغلاف الجوى فى ثلاث ثوان..ولو كانت الجاذبية الأرضية قادرة على امساك، وتثبيت الغلاف الجوى أثناء دورانها حول نفسها، أو حول الشمس لمنعت حدوث الرياح.. ولكانت سرعة الرياح واحدة فى أنحاء الأرض، وفى اتجاه واحد.. حيث لا داعى لوجود رياح شرقية، أو غربية، أو شمالية، أو جنوبية فى مثل هذه الظروف، ولكن ستكون كلها فى اتجاه الدوران.. ولو كانت الجاذبية الشمسية أقوى من الجاذبية الأرضية التى تمسك الغلاف الجوى.. فلماذا لا تجذب الشمس الغلاف الجوى للأرض،

وتبخره، ولو كان الأمر كذلك فلماذا لا تجذب اليها الأقمار الصناعية بحيث تدور حول الشمس وليس حول الأرض؟ ..!

-4اذا كان القمر تابعا للأرض، ويدور حولها.. فماذا عن سير القمر أيضا بهذه السرعة حتى يتسنى له أن يظل تابعا للأرض.. وهل سرعته تساوى سرعة الأرض؟.. واذا كان مجذوبا لها.. فهل تؤثر هذه السرعة العالية على هذه الجاذبية؟.. وماذا عليه من هذا العناء ليتبع هذه الأرض اللعوب وهو القمر الوقور ..

-5يعد الغلاف الجوى قطعة من الأرض؛ وبالتالى فان الغلاف الجوى، والأرض يدوران مع بعضهما البعض حول مركز الأرض، وحول الشمس.. وأقصى سرعة لمركبة الفضاء 27000كم/ساعة، بما يعنى 7.5كم/الثانية.. ومعدل سرعة دوران الأرض حول الشمس 10381.355 كم/الثانية؛ لذا ستجد مركبة الفضاء صعوبة كبيرة عند العودة إلى الأرض، وهم يدعون أن مركبات الفضاء تخرج، وتعود إلى الأرض عبر الغلاف الجوى بسهولة.. وأن الرحلة الى القمر- كما يدعون- استغرقت ستة أيام..

-6هناك ثلاث دورات للقمر.. حول نفسه، وحول الأرض، والدورة الظاهرية - أو منازل القمر - ولو أن الشمس ثابتة، والقمر يدور حول الأرض..

فحسب قوانين انعكاس الضوء على السطوح، والمرايا يجب أن تظهر جميع منازل القمر من الهلال الى البدر ثم الهلال مرة أخرى كل يوم، وليس مرة واحدة فى الشهر..

-7تدور الأرض حول نفسها بسرعة 15° /ساعة، والقمر يدور حول الأرض بسرعة 14.5 °/ساعة.. فيكون فرق السرعة هو الزاوية بين الأرض، والقمر (0.5 °/ساعة).. وبالتالى يكون فرق الزاوية بين الأرض، والقمر 6 درجات فقط خلال 12 ساعة، وليس 180° كما هى فى الواقع ..

-8عند تحميل شمس منتصف النهار على أوراق ملليمترية بين مدار السرطان، ومدار الجدى تبين أن حركة الشمس بالنسبة إلى وقت الزوال بين المدارين خلال سنة قد رسمت الرقم الإنجليزى 8.. فلو كانت الأرض هى التى تنتقل حول الشمس بشكل اهليلجى لحدوث الفصول الأربعة كما يدعون؛ فانه حسب قوانين الميكانيكا يجب أن ترسم الشمس شكلاً اهليلجياً خلال سنة ميلادية..

-9الأقمار الصناعية التليفزيونية ثابتة البعد عن الأرض؛ فلو تحرك القمر الصناعى من مكانه بمقدار متر واحد مثلا.. فإن الجاذبية الأرضية لا تستطيع اعادته إلى مكانه، فاذا كانت الأرض تتحرك حول الشمس بسرعة 10381.355 كم/الثانية.. فكيف يمكننا استقبال ارسال القمر الصناعى على الأرض؟!.. فالصواريخ تدفع الأقمار الصناعية خارج نطاق الغلاف الجوى(لايتعدى 3000 كليو متر فوق سطح البحر) الى ارتفاع 36000 كيلو متر كى تخرج من نطاق الجاذبية الأرضية.. فتوضع الأقمار فى مدار معين، ولاتتحرك من مكانها، وكذلك لايتحرك بها المكان الذى وضعت فيه، وبين الأقمار الصناعية فى الفضاء ومحطات الاستقبال على الأرض خط مستقيم ثابت تماما، وأى زحزحة بسيطة – تنتج عن دوران الأرض مثلا - لاتمكن المحطات الأرضية، أو الأطباق الهوائية من التقاط ماتبثه الأقمار..

-10يوجد فى خزانات سيارات نقل المياه حواجز تعمل كمصدات لحركة المياه تحافظ على مركز توازنها.. فلو كانت الأرض تدور حول الشمس بمدار اهليلجى فسوف تحدث حركة مياه عنيفة فى المحيطات أعنف من تسونامى.. تخل بتوازنها..

11الغلاف الجوى المحيط بالأرض عبارة عن طبقات غازية، وينتقل عادة مع الأرض فى دورانها حول الشمس.. فيجب حينئذ أن يكون سمك هذا الغلاف أمام حركة الأرض حول الشمس أقل من سمكه خلفها.. وفى الواقع فإن سمك الغلاف الجوى متساوي، ومتجانس فى جميع الجهات، وفى جميع الأوقات..

-12تخترق الطائرة حاجز الصوت عندما تزيد سرعتها عن1200 كم/الساعة؛ فيسمع لها صوت انفجار قوى.. فلماذا لاتحدث الأرض صوت هذا الانفجار عندما تنتقل حول الشمس بسرعة تتجاوز هذه السرعة بكثير جدا ..

-13لو كانت الأرض تنتقل حول الشمس بهذه السرعة الفائقة لارتفعت درجة حرارة الأرض، وتبخر الماء، واحترقت الأرض.. كما يحدث مع الأجرام السماوية اذا دخلت الغلاف الجوى للأرض، وهم يتحدثون عن الحرارات العالية أثناء انطلاق سفن الفضاء بسرعة 27000 كم/ساعة.. فما بال سرعة دوران الأرض العالية جدا.. ولو كان الأمر كذلك لتمت مشاهدة مذنب للأرض من قبل رجال الفضاء الذين طاروا خارج الغلاف الجوى؛ ولاستطاعت الأقمار الصناعية التى طارت لمسافات بعيدة تصوير حركة انتقال الأرض حول الشمس ..

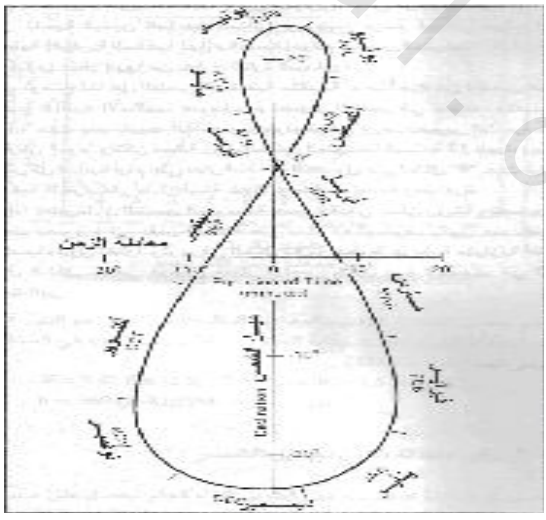

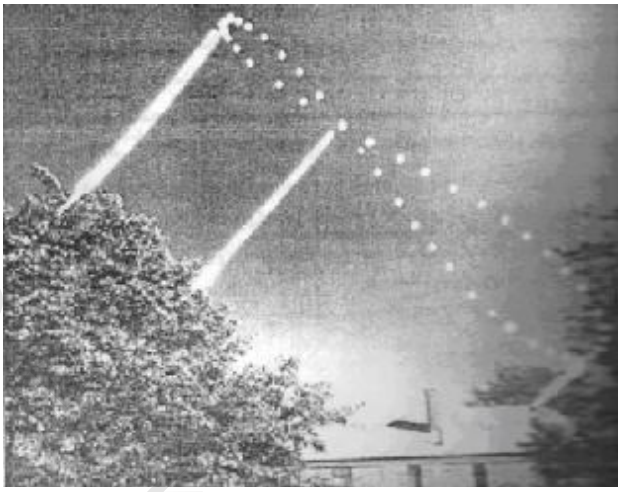

شكلان يوضحان حركة الشمس بالنسبة الى وقت الزوال بين المدارين خلال سنة ترسم شكل الرقم الانجليزى 8(عن كتاب مبادىء علم الفلك الحديث (

-14لو كانت الأرض تدور حول نفسها بسرعة 1667 كم/ساعة عند خط الاستواء فسوف يزداد الوزن فوق القطبين بسبب تناقص سرعة دوران الأرض، وتناقص القوة النابذة فى هذين الموضعين.. وفى الواقع فإن الوزن يتغير بين القطب، وخط الاستواء بمقدار جرامات قليلة فقط..

-15تنطلق الأشعة الكونية نحو الأرض بسرعة 100 مليون الكترون فولت، وهى عبارة عن جسيمات ذرية من البروتونات الطليقة فى الغالب تأتى من أماكن لايعلمها الا الله تصطدم بالغلاف الجوى، وتنهمر على الأرض من كل اتجاه لتخترق كل شىء على الأرض ليل نهار؛ وليس هذا فحسب.. فهناك قطع الصخور الصغيرة التى يعزونها الى بقايا نجوم متفجرة تنطلق أيضا صوب الأرض بسرعة 40 ميلا فى الثانية، وتنصهر وهى على هذه السرعة عند احتكاكها بالهواء الأرضى، فاذا لم تكن الأرض ثابتة، وفى مركز الكون لما أصابها هذا الوابل.. ولو كانت الشمس هى المركز الثابت- كما يدعون- لوجب الاتجاه اليها حسب القوانين الطبيعية المتعارف عليها ..

-16ولو كان للشمس مجموعة - كما يدعون - لكانت متشابهة فى كل خواصها الموجودة فى الأرض.. أما أن تكون الأرض مختلفة تماماً فى ظروفها عن باقى المجموعة.. فلماذا اقحام الأرض ضمن مجموعة الشمس التى لا تملك غلافاً جوياً، ولا حياة، ولا حتى تمهيد لحياة ولا شئ، متشابه البتة.. فلماذا لا يدخل هذا ضمن الدجل العلمى؟..!

-17اذا تحركت الأرض أى حركة سواء، حول نفسها، أو حول نقطة أخرى فستكون حركتها عنيفة جدا..

-18اذا كانت الأرض تدور فأى قذيفة تنطلق على سطحها ستقع جهة الغرب لدوران الأرض، ولاتصيب الهدف اطلاقا..

-19كيف تستطيع الأرض الامساك بما عليها وهى تتحرك بهذه السرعة الكبيرة حول نفسها، وحول الشمس.. فاذا تحركنا بسرعة من فوق حصان، أو وسيلة مكشوفة أسرع من الحصان فاننا نشعر بالريح تعصف بنا من كل جانب الى الحد الذى يمكن به ازاحتنا عن المركوب، وكذلك دورات الرياح على الأرض التى تختلف شدتها من منطقة الى أخرى.. لابد لها أن تكون شدتها واحدة اذا دارت الأرض؛ ولابد أيضا أن تكون فى اتجاه واحد هو اتجاه دوران الأرض، وبسرعة واحدة تتناسب مع سرعة دوران الأرض.. والأولى من هذا كيف تحافظ الأشياء المنفصلة عن الأرض، وتهيم فى الجو مثل السحب، والطيور، والطائرات، والصواريخ على حركتها فى الجو مع وجود حركة سريعة للأرض..

-20قام كل من نيكلسون، وفيزو بقياس سرعة الضوء.. متوقعين تأثير سرعة دوران الأرض على هذه السرعة، وبالحساب توقعوا أن تكون الزيادة فى السرعة 1.01 %، ولكن المفاجأة أن سرعة الضوء لم تختلف عندما جربوا جهاز القياس فى اتجاه دوران الأرض، وعكسه ..

وقد وضع أحد الباحثين، والمهتمين بهذا المجال رسوما هندسية توضح حركة الشمس فى عام كامل، وتكرره الشمس فى دقة متناهية فى رسم خطوط تعامدها على سطح الأرض كل يوم.. بمعنى أن عدد هذه الخطوط 182×2 (دورتين فى اليوم ذهابا وايابا بين المدارين السرطان، والجدى) = 364 خطاً.. وهو مقدار

السنة الشمسية، مضافاً اليها زمن سجود الشمس تحت العرش مقداره 2.45 دقيقة لتكون 0.62 يوم.. تضاف الى 364 لتصبح 364.62 يوما.. وليست 365.25 يوما كما هو متبع..

ملاحظات على كتاب الحوار لجاليليو ودوران الأرض:

تصدر الكتاب عنوان النظامين الرئيسيين للكون فلا يخرج الكتاب عن كونه دفوع فلسفية(غير تجريبية) لترجيح نظام دون آخر.. لكل رأيه الفلسفى، والفلسفة ليست حجة على العلم التجريبي..

نظرية الأرض الساكنة(بطليموس) تعتمد على فرضية وجود مركز مجرد للكون يؤثر على الأجسام الثقيلة فوق سطح الأرض، ويعمل على اقترابها من هذا المركز(السقوط الحر للأجسام فوق سطح الأرض دون قوة تدفعها للسقوط) أكثر مما تسمح من قابلية النفاذ اليه، ويعلل لنا هذا الوصف الشكل الكروى للأرض، وهو بدافع هذا الفرض تكون الكزاكب، والنجوم كلها كروية كما رآها بمنظاره المكبر، ولكنه يعود ليؤكد معرفته (العملية بناء على تجربة قام بها.. هل ذكر تفاصيل التجربة؟..) أن تأثير الجسم الثقيل على جسم حر ساقط اليه يتجلى من ظهور عجلة رأسية ذات قيمة ثابتة، وهو يفترض أن الحركة الرأسية تلازمها حركة أفقية غير معجلة (لماذا؟.. ومالاثبات؟..) ويبدو أنها فرضية فقط لاثبات حركة الأرض..

وقد ثبت فيما بعد من الاكتشافات الفضائية القائمة على الاختبار العلمى أن الأرض من أكثر الكواكب جاذبية للأشياء الساقطة، وان كل الأجرام التى درست جاذبيتها أقل بكثير من الأرض مما يؤكد ثبات، ومركزية الأرض، وبالتالى الأشعة الكونية، والأحجار التى تصطدم يوميا بالأرض تؤكد مركزيتها، والا لما كان اتجاهها نحو الأرض فقط، ولو أنهم يعتقدون أن الفوهات الموجودة على القمر، والكواكب الأخرى حدثت من اصطدام النيازك بهذه الكواكب، أو ربما تكون فوهات براكين حارة، وليس لديهم اثبات لشيء حتى الآن ..

ويرى "أينشتين" أن حماس "جاليليو" للأفكار الكوبرنيقية أثر على قدرته على اصدار الأحكام العلمية الصحيحة..

ويؤخذ على الكتاب عند منافشة النظامين "البطليموسى"، و"الكوبرنيقى" – كما ذكر العنوان – الميل نحو تمييز النظام الكوبرنيقى، وهو مايخرج عن الحياد اللازم، والمشروط، والمتفق عليه فى الحوار العلمى.. كما أن العنوان السابق الذى كان يقترحه المؤلف للكتاب، والذى أجبر على التخلى عنه كان حوارا حول "مد، وجزر البحار"، وهو من حسن حظ الكتاب الذى كان سيوارى فى مجاهل النسيان لما ثبت حديثا عن عدم وجود أى علاقة بين ظاهرة المد، والجزر، ودوران الأرض.. بل ثبت أن هذه الظاهرة لها علاقة بدوران القمر، والشمس حول الأرض، وليس العكس..

لم يشر جاليليو فى كتابه الى أبحاث من سبقوه رغم أهميتها، وهما "تيشو براهى"(الفلكى الدانماركى) الذى اكتشف نجما جديدا سنة 1572م، كما قام بتحسين أجهزة القياس الفلكية، ومهد لكبلر اكتشاف، ووضع قوانينه الكوكبية، والثانى "يوهانس كبلر" الذى عمل معاونا لتيشو براهى سنة 1600م فى "براغ"، وتوصل لاكتشاف القانونين الأساسيين لحركة الكواكب، وهو مايتنافى مع أبسط قواعد الكتابة العلمية، وأمانة العلم، واحترام زملاء العلم، وعدم تجاهلهم، والا ينسب له الجهل، وعدم الاحاطة، والالمام بما، وبمن حوله.. وماعدا ذلك فأى عبقرية علمية تحسب لمن يستعين "بأرسطو الفيلسوف" الذى ينتسب للمدرسة الاغريقية التى كانت تحقر التجربة، والعمل؛ حتى وصم أصحاب هذه المدرسة الفلاسفة العمليين الذين كانوا يعلمون الشباب من أجل تقلد وظائف الدولة بالسفسطائيين، والمرتزقة، ويتغافل عن علماء تجريبيين من عصره سبقوه فى الرصد ، ناهيك عن التفرغ والتخصص .. حتى يمكن القول انه كان بالنسبة لهم لم يخرج عن طور الهواية ، والمراهقة العلمية..

يقول "ستيلمان دارك" المؤرخ الانجليزى فى تقديمه للطبعة الألمانية الجديدة للكتاب:

"لقد كان من المهم لجاليليو معرفة أى الاجسام السماوية يتحرك فعلا وأيها يظل ساكنا لا يتحرك، وليس تفاصيل الحركة فى حد ذاتها.."

أما المقولة الدينية التى اعتمدت عليها الكنيسة من الكتاب المقدس فهى نص "سفر يوشع" – الاصحاح العاشر – الآية رقم 13 من العهد القديم:

"-حينئذ كلم يوشع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى اسرائيل وقال أمام عيون اسرائيل يا شمس دومى على جبعون وياقمر على وادى أيلون، فدامت الشمس، ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه".. أليس هذا مكتوبا فى سفر ياشر؟ ..

"-فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل.."

ان قرار الكنيسة بادانة الكتاب كان قائما على قراءة مستفيضة للكتاب (لكونها أراء فلسفية).. فكانت القرارات منطقية أكثر من آراء جاليليو نفسه، وكتابه الذى قام على أسس فلسفية؛ تتخللها شروح لمشاهدات جاليليو بمنظاره الفلكى البدائى.. اعتمد على اثبات صحتها أساسا على الفلسفة، وليس على قوانين علمية وضعها كما فعل أحد معاصريه على أساس أرصاده، وهو كبلر ..

جاء فى التهم الكنسية الموجهة اليه:

1- الانحياز المتكرر للتعاليم الكوبرنيقية..

2- الجدل اللاذع ضد أعداء الكوبرنيقية - وهما يحيدا بالكتاب عن مساره الذى ألف بطريق الحوار الذى ينبغى ألا يؤيد رأيا على آخر؛ أو يسخر برأى لحساب رأى آخر..

3- الزعم بأن هناك بعض الشبه بين الرؤية الالهية، والرؤية الانسانية للحقائق الرياضية، وهو مبدأ من مبادىء الكنيسة فى الحفاظ على الدين، وقيمه..

4- ارجاع ظاهرة المد والجزر الى حركة الأرض ..

وهو ماأثبت الفضائيون بعد ذلك عدم وجود علاقة بين هذا، وذاك، وأرجعوا هذه الظاهرة الى حركة القمر، وليس الأرض، وهو مارفضه البابا من قبل، وأصر على ألا يكون المد والجزر هو موضوع الكتاب، وهو ماجعل للكتاب موقعا من الاعراب يعيش به بين الكتب حتى الآن..

ويناقش الكتاب الآراء الفلسفية لنظامين احتدم فيما بينهما النقاش طيلة حياة البشرية.. وهما النظام الأرسطوطاليسى البطليموسى الذى يجعل الأرض الثابتة مركزا للكون، ومن ثم فان كل ماعداها من شمس، وقمر، وأفلاك تدور حولها وهو

مااعترف على تسميته بالنظام الأرضى للكون، والنظام الفيثاغورسى الكوبرنيقى والذى عرف بالنظام الشمسى حيث يجعل الشمس هى المركز والأرض تدور حولها.. ولم يلق هذا النظام تأييدا كبيرا من الفلاسفة فى حينه ..

والتسلسل التاريخى لهؤلاء كان بداية بأحد مفكرى عصر ماقبل الفلسفة وهو"فيثاغورس "Pythagoras" الرياضى الشهير الذى ولد فى "ساموس" حوالى 580 ق.م. والذى قال بـــأن العالم جرم كروى حى مركزه الأرض(يعنى قال أيضا بمركزية الأرض)؛ ولكنه افترض أن الأرض هى الأخرى جرم كروى يدور كما تدور الكواكب من الغرب الى الشرق.. وهو صاحب "نظرية الأعداد"، والنظرية الشهيرة "للمثلث القائم الزاوية"، ومؤسس مدرسته التى تابعه فيها فلاسفة مثل "فيلولاوس"Philolaus ، و"هيرقليدس"Heraclides ، و"اكفانتوس "Ecphantosالذين تكلموا عن حركة الأرض بطريقة غير محددة، وعلى أساس غير دقيق، ولايختلف عنهم فى ذلك سوى "أريستاخ الساموزى" الذى تحدث بجزم أكبر مما جعل تعاليمه تتهم بالذندقة..

ثم جاء أرسطو أبان عصر الفلسفة الذى ولد حوالى عام 384 ق.م. وقال أن الأجسام السماوية كلها كرات، ويؤكد ذلك بالنسبة للأرض بنوع خاص لأنه لايستطاع تفسير شكل القمر اذا خسف بسبب اعتراض الأرض بينه وبين الشمس الا اذا كانت الأرض كروية، ويعتبر أرسطو أبو العلوم الطبيعية الموثقة بكتاباته التى لابد أنه أخذها عن عدد لايحصى من الكتابات، والبحوث، والمشاهدات السابقة عليه خاصة عصر ماقبل الفلسفة حتى قال عنه "ديورانت" فى كتابه"قصة الحضارة:"

"-لم يكن من المستطاع أن ترقى العلوم الطبيعية فوق الحد الذى وصلت اليه على يديه الا بعد أن أمدتها الاختراعات بأجهزة، وآلات أوسع مدى، وأدق فى الرصد، والقياس".. وليس أدل على هذا مما ذكره جاليليو عنه، وعن أفكاره، ونظرياته الطبيعية خلال كتابه الحوار الذى خصص أحد المحاورين الثلاثة الذين اشتمل عليهم الكتاب ليتحدث عن آراء أرسطو فقط، ونظرياته الطبيعية التى تحدث فيها عن السماء، ومافيها، والأرض، وماعليها بما لايختلف كثيرا عن أى متخصص

فى أيامنا هذه التى حدثت فيها الطفرة التقنية غير المسبوقة، وهو مانشتم منه تقدير جاليليو لهذا الرجل..

أما "كلاوديوس بطليموس " Claudius Ptolemalos"الفلكى، والرياضى، والجغرافى "المصرى السكندرى" الذى ولد سنة 85 م. اهتم بدراسة مشاهدات، وعلوم أسلافه - مثلما فعل أرسطو - فمكنته بصياغة نظرية متكاملة عن "بناء الكون" تعتمد على اعتبار الأرض ساكنة فى مركزه، وتدور الكواكب السبعة - ومنهم الشمس، والقمر - حولها فى مدارات ثابتة شبه دائرية، وقد سطر أفكاره هذه فى مؤلفه الرئيسى "النظام الفلكى الأكبر Construtio mathematica"الذى ترجم الى العربية باسم "رسائل المجوسى"، أو "الماجسطى"Almagest ، وترجم من العربية الى اللاتينية فى القرن الثامن عشر..

ولد "نيكولاس كوبرنيقوس "Nikolas Coppernicus سنة 1473م. بمدينة "تورن"(ببولندا الآن) وهورياضى، وفلكى.. قام بدراسته بايطاليا حيث درس الفلك، ثم الطب، وبدأ فى صياغة آرائه حول النظام الشمسى فى مؤلفه الرئيسى عن علم الفلك.. وهو"الكتب الستة حول مسارات الأجسام السماوية" الذى صدر سنة وفاته 1543م. وظل فى متناول الدارسين حتى صدر ضده مرسوم ادارة السجلات سنة 1616م..

وقد افترض أن الكواكب تدور فى دوائر كاملة حول مركز ثابت، وهى الشمس الساكنة دائما.. ويدور القمر حول الأرض.. وكلاهما يدور حول الشمس(المركز الثابت)؛ وهى نظرة استمدت جذورها من بعض أفكار الفيثاغورسيين تحتمل الصدق، والكذب، ولاتملك مايعضدها، ويؤهلها للحديث عن الحقيقة، أو ماهو واقع فى الكون بالفعل، وهو ماجعل الكنيسة لاتعيرها أى اهتمام.. فعاشت بين أروقتها طيلة سبعين عاما دون اهتمام، كما عاش صاحبها متدرجا فى سلك الكنيسة الوظيفى بوصفه أحد رهبانها الأجلاء.. فعاش، ومات، وذكر بعد ذلك كواحد من أنصارها المكرمين دون أن يمسه، أو يذكره أحد بأذى..

ورغم هذا فقد طالت هذه الفرضية أحد معتنقيها من رواد الكنيسة؛ وهو "جيردانوا برونو " Giordano Bruno الذى حرقته سنة 1600م..

هيروغليفية شامبليون
والتاريخ المصرى القديم

استعان شامبليون بنقش عثر عليه بجزيرة فيلة فى أسوان يحتوى على خرطوشتين ملكيتين لاسمى بطليموس، وكليوباترا تشترك فى حروف.. P,O,L

استفاد من نصوص مؤلف قديم مجهول شرح بطريقة غامضة خرج منها بأن القيمة الصوتية للرموز المصرية تؤخذ من الحرف الأول لاسم الشكل الذى يمثل ذلك الحرف، فاذا ماتعرف على رمز بحث عن اسم له باللغة القبطية، وأخذ من ذلك الرمز(الشكل) الحرف الول المنطوق بالقبطية..

ملأ شامبليون الفراغات الشاغرة فى اللغة الهيروغليفية بتخمين المعنى القبطى للكلمة الاغريقية وسط الحروف التى تعرف عليها، فأمكنه بذلك حل رموز 79 اسما ملكيا مختلفا..

وردت هذه الملاحظات عن ترجمة، واكتشاف شامبليون للغة الهيروغليفية فى كتاب "معجم الحضارة المصرية القديمة" الذى كتبه 6 من مشاهير علماء الآثار فى العالم..

فقد اعتمد شامبليون على الحرف الأول للكلمة المنطوقة بالقبطية على تفسير الأبجدية.. فكثيرا ماتوجد حيوانات، وطيور لها أكثر من اسم، وهى أشكال تواجدت فى الهيروغليفية المصرية.. فنجد مثلا عندما رأى رسم الأسد فى الخرطوشتين بأسوان ترجمه على أنه حرف "اللام" نظرا لمعنى الأسد بالقبطية، وهو Laboiفكيف يؤسس باحث أصول لغة كلغة مصر القديمة(الهيروغليفية) التى تميز أصحابها بحضارة 7000 سنة على أصول لغة أحدث لايتعدى عمرها 1000 عام تقريبا..

وهذا الأسد الذى اعتبره شامبليون محور أبحاثه فى الهيروغليفية القديمة استقصى أحد الباحثين(8) رسمه على الآثار المصرية فى طول البلاد، وعرضها فوجده لم يظهر

كحرف من حروف اللغة الهيروغليفية الا فى أواخر الأسرة 25 فى الفترة من 751 الى 656 ق. م. .. بمعنى أنه لم يظهر من قبل خلال 25 أسرة حكمت مصر ضمن 30 أسرة. .

عيوب فى طريقة قراءة الخراطيش الملكية:

لايعقل أن شعبا وصل الى غايات التحضر، والرقى كسكان وادى النيل يكتب لغته بشكل همجى، وبطريقة تتنافى مع أدنى درجات التسلسل المنطقى كما صورها شامبليون.. فطريقته فى القراءة تتعارض مع الطريقة التى تقرأ بها سائر اللغات على مستوى العالم قديما، وحديثا.. فاللغات اما تقرأ من اليمين الى اليسار، والعكس، أو من أعلى الى أسفل، ولكن شامبليون خرج عن المألوف، وجافى المنطق ليقرأ اللغة الهيروغليفية تارة من أعلى الى أسفل، وتارة من أسفل الى أعلى، وتارة من المنتصف الى أسفل، ثم أعلى، ثم أسفل مرة أخرى.. طريقة غريبة، وعجيبة.. كيف تصبح أساسا علميا للترجمة؟. . !

واعتمد شامبليون فى ترجمته كلمة "رعمسيس" استنادا الى التوراة كاسم مكان بنى لفرعون، وجعل منه اسم لفرعون نفسه، وهذا غير منطقى.. ففى الاصحاح الأول(خروج 11 : (

] -فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم؛ فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم، ورعمسيس. . [

وفى الاصحاح الثانى عشر(خروج 27 : (

] -فارتحل بنوا اسرائيل من رعمسيس الى سكوت نحو ست مائة ألف ماش من الرجال؛ عدا الأولاد. . [

وكذلك الاصحاح الثالث والثلاثين(خروج 5 : (

- [فارتحل بنوا اسرائيل من رعمسيس، ونزلوا فى سكوت. .]

فرعون.. اسم علم لشخص وليس لقبا:

ترجم شامبليون اسم "فرعون" على أنه لقب، وأطلق عليه "بر-عا".. ومعروف علميا أن اللقب يسبق الاسم.. فهذا الشكل غير موجود فى آثار مصر كلها من

الأسرة الأولى سنة 3200 ق.م.، وحتى الأسرة الثلاثون سنة 341 ق.م. على أى خرطوش ملكى لقدماء المصريين، أو داخله، أو بجواره، أو حتى بالقرب من أى خرطوش ملكى؛ والذى من المفروض احتوائه على اسم الملك.. فكيف يصبح هذان الحرفان لقبا؟!.. وكيف يصبح فرعون الذى يتكون من خمسة أحرف فى ترجمته حرفان فقط هما "بر-عا.."

وعلى طول التاريخ المصرى القديم؛ والذى تأكد خلاله دخول أربعة من الأنبياء مصر هم: "ابراهيم"، و"يعقوب"، و"يوسف"، و"موسى" عليهم السلام، وهناك من الباحثين من يؤكد وجود خامس سبقهم وهو "ادريس" عليه السلام، وهم جميعا لم تذكرهم ترجمة شامبليون، ولايعرف أغلب علماء الآثار على مستوى العالم الفترة الزمنية التى عاشوا فيها فى مصر على وجه التحديد، وفى أى الأماكن عاشوا بالضبط، واذا كانت ثمة معرفة فهى ربما اعتمادا على التوراة فقط، رغم كثرة المصادر التاريخية المصرية القديمة التى عثروا عليها، وقرأوها بهذه الترجمة، وهو ماحدا بأحد الأعلام المصريين البارزين فى العصر الحديث؛ وهو "طه حسين" من انكار وجود نبى مثل ابراهيم عليه السلام لعدم ذكر الآثار التاريخية له، رغم نشأته الدينية فى الأزهر، وكأن العلم قد بلغ منتهاه فى زمنه ليصير على مكانته، وعلمه جاهلا أخذ عمن هو أجهل منه.. وماسببه ذلك له من مشاكل، وصدامات مع السلطة، ومع غيره من المثقفين الذين نشأوا فى مجتمع يسوده النظام الاقطاعى المحافظ ..

لم يجد رجال الآثار هذا الاسم، أو اللقب على أى أثر فى مصر(شكل 1)، ولكنهم افترضوا خطأ أن كلمة فرعون مشتقة من اللفظ(بر- عا) أقرب الألفاظ لاسم فرعون.. فثبتوا على ذلك، واستراحوا، ولكن الحضارة الغربية التى تدعى المادية البحتة فى كل شئونها، وأبحاثها، والتى اكتشفت تاريخنا الضارب فى عمق الزمن، وقرأته اعتمدت الدين فى تفسير غوامض التاريخ، فنقلت كلمة فرعون عن لفظ حقيقى رسمى فى التوراة.. بل ان الأمر قد وصل الى أن "سجلات مصر"، و"العراق" قد حرفت على ضوء "النصوص التوراتية"، وأن كثيرا من المقولات، والمفاهيم أصبحت مسلمات لفترة زمنية طويلة بتأثير التوراة.. رغم وضوح الخطأ سواء أكان تاريخيا، أو منطقيا، أو جغرافيا.. فتقول التوراة على سبيل المثال فى الاصحاح السادس(خروج 10، 11: (

- [ثم كلم الرب موسى قائلا ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق سراح بنى اسرائيل من أرضه..]

حتى التوراة - التى استعانوا بها فى تفسير القرآن- ذكرت فرعون منكرا كاسم لملك مصر.. وبالخروج من اطار التوراة، والروايات الاسرائيلية التى بلى بها المسلمون أيضا طوال عصورهم - حتى الزاهية منها - وبالرجوع الى القرآن الكريم - أصدق الحديث – وقراءته بذهن خال، وصاف.. دافعين عنه أوهام الموروثات التوراتية، والروايات المزعومة، وقد احتوى بين دفتيه صحيح اللغة العربية التى تجزم بأن فرعون "اسما"، وليس "لقبا" بهذه الأدلة اللغوية من اللسان العربى الذى نزل به القرآن، والتى لم يقف عندها جهابذة التفسير قديما، وحديثا.. حيث استسهلوا النقل عن التوراة، والنقل عن بعضهم البعض:

-1 لم يجمع الاسم على نحو "فراعين" أبدا فى القرآن.. فأسماء الأعلام لاتجمع فى اللغة..

-2 ورد الاسم ملازما لاسمين لشخصين من الأعلام قبلهما، وبينهما؛ مما تؤكده القاعدة اللغوية عن كون اللفظ بين اسمين اسما بالضرورة:

"-ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون" غافر 23..

"-وقارون وفرعون وهامان وقد جاءهم موسى بالبينات" العنكبوت 39..

-3جاء الاسم مصحوبا بياء النداء، وهى من صفات الأسماء فى اللغة العربية كما فى الآية:

"-وقال موسى يافرعون" الأعراف 104..

ولو كان لقبا لجاء بالصيغة: "يأيها الفرعون" مقترنا بالألف، واللام كما فى الآية:

"-قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر" يوسف 88..

بل رصد القرآن حوارا بين موسى عليه السلام، وفرعون ينادى كل منهما الآخر باسمه المجرد كما فى الآية:

"-فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا" الاسراء 101 . .

ويجيبه موسى عليه السلام:

"-وانى لأظنك يافرعون مثبورا" الاسراء 102. .

-1 يذكر فرعون فى القرآن مقترنا بموسى فقط، ولم يذكر مع نبى آخر ممن وطئت أقدامهم وادى النيل، مثلما ورد الملك كلقب دون ذكر اسمه فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام، مما يدل على أنه اسم مقترن بالنبى موسى عليه السلام، والذى ذكر فى القرآن مايقرب من 140 مرة، بينما ذكر فرعون فى المقابل باسمه 74 مرة، أى بمقدار النصف تقريبا. .

-2 لم يأت الاسم معرفا قط فى القرآن مثل: الملك، والعزيز. .

-3 ذكرنا من قبل فرعون فى التوراة على أنه اسما مقرونا بصفته التى هى ملك مصر ممثلا بأحد النصوص فى سفر الخروج، ولاغرابة أن تذكر توراة بنى اسرائيل الملك الذى سامهم سوء العذاب باسمه، ولقبه.. فضلا عن أعماله. .

فرعون .. من الهكسوس الأعراب:

الهكسوس – كما يسميهم اليونانيون- أو العمالقة، أو العماليق- كما يسميهم الاخباريين العرب فى القرون الوسطى - أو دولة البدو فى مصر، أو العرب – كما أشار اليهم المؤرخ اليهودى "يوسفوس -"Flavious Josephus الذى عاش خلال القرن الأول الميلادى ؛ والتى نقلها بدوره عن الكاهن المؤرخ السكندرى المصرى "مانيتون" المتوفى فى أواسط القرن الثالث قبل الميلاد . .

وكان غرض يوسفوس الرفع من شأن قومه اليهود – الذين كان يحتقرهم كتاب الإغريق – والربط العنصرى بينهم؛ وبين الهكسوس. .

وكلمة عماليق مشتقة من جزءين:

"عم".. بمعنى بدوى، وجمعها "عمو".. بمعنى "البدو. ."

"ليق".. مصطلح آرامى بمعنى "الجنود. ."

فيكون المعنى الكلى لكلمة العماليق: "الجنود البدو" والذين كان يتم تجنيدهم للعمل كفريق من الجنود المرتزقة..

وقد اختص القرآن بكلمة "الجنود" كل من فرعون، وثمود :

"-هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود" البروج 17..

فكلا الجند من العماليق الأعراب؛ وكانوا فى دائرة مكانية واحدة؛ وإن أخذوا حيزا زمنيا طويل نسبيا:

"-فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً" يونس 19..

"-واستكبر هو وجنوده فى الأرض" القصص 39..

"-فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم" طـــه 78..

ويبدو أنهم كانوا كأمراء المماليك الذين أحاط كل منهم نفسه بجيش من المماليك ليكون مركز قوة مستقلاً بنفسه، فكما أن هناك فرعون.. هناك هامان.. ولكل منهما جند ربما كان مستقلاً عن الآخر:

"-ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" القصص 6..

" -إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين" القصص 8..

والأرجح أنهم كانوا لايتوارثون الحكم بمصر؛ وانما كانوا يتناهبونه على غير نظام.. فربما اقتسمت طوائفهم المختلفة تلك السيادة.. فكثيراً ما أوردت كتب التاريخ حكم ثلاثة من ملوك الهكسوس فى وقت واحد، وأماكن متفرقة.. فالفينيقيون – وهم من أهل الحضر – أقاموا منازلهم بجوار "المتزلة".. أما العماليق – وهم البدو – فأقاموا على "أطراف الدلتا".. فما هم الا اتحاد من ثلاث قبائل متحالفة، وأبناء عمومة، وأقارب ذو منشأ واحد، وأصل مشترك وهم:

*العماليق :

أعراب من بقايا قوم عاد الذين كفروا بالنبى هود، ويقول عنهم الهمدانى فى كتابه مختصر تاريخ البلدان أن منازلهم كانت فى موضع صنعاء اليوم، ثم خرجوا فنزلوا مكة، ولحقت منهم طائفة بالشام، ومصر، وحكمهم فرعون، وجنوده..

***بنى يهودا :**

أعراب من بقايا قوم عاد الذين آمنوا بالنبى هود واتبعوه، وحكمهم هامان، وجنوده..

***بنى اسرائيل :**

أهم القبائل العبرية التى جاءت متعلقة بأذيال العماليق، ونعرف مدى ترحيب الهكسوس بهذه القبيلة حتى وصل أحد أفرادها؛ وهو يوسف ليكون الرجل الثانى فى دولة الهكسوس قبل الانقلاب عليهم، وحكمهم قارون..

ولم تكن كلمة هكسوس معروفة فى عهد "مانيتون" – فهو أول من استعملها – ومما ذكره :

-أول عهدهم أيام "تحتمس " Tutimaeus بدون نشوب حرب .

-1 أول ملك منهم "سلاتيس" فى مدينة "منف"، حكم 19 سنة ..

-مقاطعة Sethroite مقامة على الجهة الشرقية من فرع "بوبسطة" كحصن فيه حامية قوامها 240.000 رجل مسلحين..

-2حكم بعده "بنون" 44 سنة..

-3حكم بعده "أباخناس" 36 سنة؛ وسبعة أشهر ..

-4حكم بعده "أبو فيس" 61 سنة ..

-5حكم بعده "يناس" 50 سنة؛ وشهراً ..

-6حكم بعده "أسيس" 49 سنة؛ وشهرين..

وكلمة هكسوس تعنى كلمة الملوك الرعاة؛ فكلمة "هك" فى اللغة المقدسة تعنى "ملك"؛ أما "سوس" فتعنى "راعى"، أو رعاة فى اللغة الدراجة.. وكلمة "حقا" معناها "حاكم"، وكلمة "شاسو" معناها "بدوى" فى اللغة المصرية، ومن الجائز أن شاسو كتبت بالإغريقية "سوس"، وبالقبطية "شوس"، والرأى المتفق عليه الآن فى تفسير كلمة "هكسوس" هو أنها مركبة من كلمتى "حقاو"، و "خاسوت" ومعناهما معاً هو "حكام الأقاليم الأجنبية"، ومما تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفاً

فى المصادر المصرية فى عهد مبكر يرجع للأسرة السادسة، وظل مستعملاً حتى عهد البطالمة، وهذه فترة أطول بداهة من العصر الذى احتل فيه الهكسوس البلاد المصرية؛ وليس لدينا من البراهين القاطعة الآن ما يثبت أن هذه العبارة كانت تطلق على الهكسوس فحسب؛ غير أننا من جهة أخرى نلحظ أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار، أو على الجعارين "حقاو خاسوت" أى "حاكم البلاد الأجنبية".. مثل الملك "خيان" ؛ "سمقن"، و"عنات هر" فقد لقب كل منهم بهذا اللقب، وذلك فى النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد الهكسوس من مصر، والظاهر أنهم كانوا يسمون "عامو" أى الآسيويين فى عهد الهكسوس أنفسهم ..

يعدد المؤرخون المعاصرون ثلاث أسرات للهكسوس فى مصر هم :

-الأسرة الخامسة عشرة: ست ملوك مذكورين قبل ذلك ..

-الأسرة السادسة عشرة: 32 ملكاً ..

-الأسرة السابعة عشرة: 43 ملكاً.. ومثلهم من الطيبيين فى الجنوب جنبا لجنب فى نفس مدة الحكم ..

ورغم عدم وجود تسلسل تاريخى لهم يمكن الإعتماد عليه، مع وجود أحداث رابطة فيما بينهم، إلا أننا نلحظ على بعض منهم عن طريق جعارين فقط وجدت بأسمائهم فكرة الألوهية لبعضهم مثل :

-الإله الطيب رب الأرضين – ابن الشمس – أبو فيس ..

ومع التأليه فقط دون بنوته للشمس مثل :

-1الإله الطيب "عا حتب رع .."

-2الإله الطيب "سرو سر رع.."

-3الإله الطيب "وازرد .."

-4الإله الطيب "خع وسر رع .."

-5الإله الطيب "سخع ف رع .."

-6الإله الطيب "ماع اب رع.."

-7الإله الطيب "نب تاوى رع .."

-8الإله الطيب "خع مو رع . ."

ومن هذه الألقاب نلحظ صفة "الألوهية" التى اتخذها هؤلاء الملوك، والذى كان فرعون آخرهم. .

وهناك طائفة أخرى تلقب بابن الشمس، ونلحظ من بينها اسم "يعقوب هر" ونرى من الاسم "يعقوب :"

-ما ان صاحبه كان على الإسلام، وقد تسمى باسم أحد أنبيائه.. خاصة بعد دخول سيدنا يعقوب عليه السلام مصر زمن الهكسوس . .

-أو أسلم أبوه من قبل، وسماه يعقوب . .

-أو أن هذا الاسم لصلة القرابة الشديدة بينهم كقبائل من أصل واحد. .

ومن استعراض موضوع الهكسوس يتضح أن أبناء يعقوب(اسرائيل) كانوا على أصح الاحتمالات التاريخية عربا تابعين لامبراطورية الهكسوس؛ وكذلك حسب نظرية يوسفوس اليهودى أيضا القائلة بأن بنى اسرائيل قوم من الهكسوس، ولايبعد أن يكون وجود هؤلاء الأعراب بينهم سببا

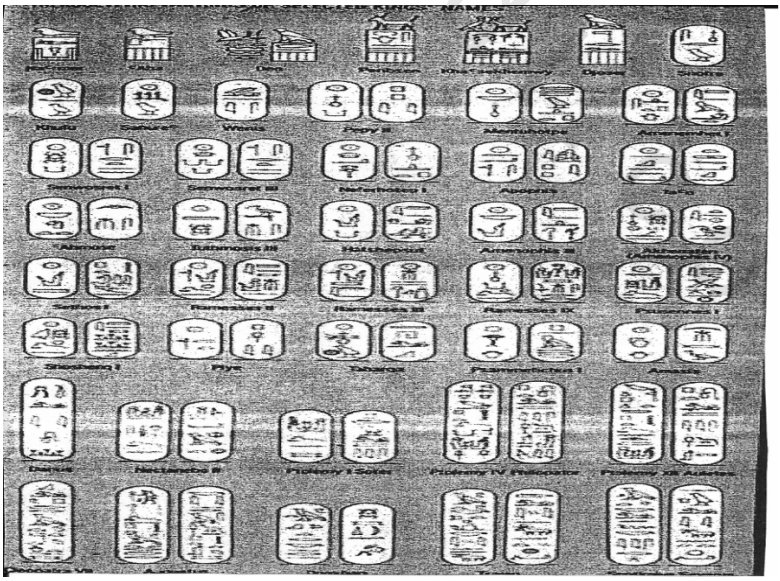

شكل يوضح نماذج من الخراطيش التي كان يكتب فيها اسم الملك، حيث لا نجد كلمة فرعون داخل أي خرطوش طوال الأسر التي حكمت وادي النيل(عن كتاب فرعون موسى من قوم موسى.. (

فى تلقيب تلك الامبراطورية بدولة الرعاة، ويثبت أيضا القرآن الكريم – وهو أوثق الأقوال - كونهم بدوا؛ جاءوا من الصحراء من خلال خطاب يوسف عليه السلام لأبيه بعد دخوله، وعائلته الى مصر فى سورة يوسف التى أوردت سيرتهم بشيء من التفصيل لايخل بالغرض الأسمى للقرآن كمنهج فى التربية القائمة على القدوة الحسنة، والمثل الأعلى:

"-وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين(99) ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو(100.."(

فتذكر الآية الكريمة أصلهم البدوى الذى جاءوا منه، فلم يكن الهكسوس شعبا واحدا كما بينا.. بل أحلاف من جماعات، وقبائل شتى من العماليق الأعراب، والعبرانيين من بنى يهوذا، وبنى اسرائيل؛ التى هى من أهم القبائل التى جاءت متعلقة بأذيال العماليق، ومنهم كل الأنبياء الذين أرسلوا لأحلاف الهكسوس، ونعرف مدى ترحيب الهكسوس بهذه القبيلة، وكيف أكرموها، وأعطوها أفضل الأراضى الزراعية(مع أنهم كانوا بدوا، ولم يكونوا أهل زراعة).. كما وصل أحد أبنائها وهو يوسف عليه السلام ليكون رجلهم الثانى فى البلاد بعد الملك كما ذكرنا، وذلك قبل أن ينقلبوا عليهم بعد ذلك، ويحاربوهم.. ويكشف القرآن الكريم عن هذا الاتصال التاريخى، والعرقى للقوم:

"-واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا" المائدة 20 ..

ومن القرآن أيضا يؤكد مؤمن آل فرعون هويتهم المتصلة بالهكسوس فيقول:

"-ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب" غافر 34..

ويلاحظ أن جميع المؤرخين المسلمين يؤكدون أن ملوك العماليق، والهكسوس هم فقط الذين يحملون لقب فرعون، ولسبب ما.. ربما طغيان الغرب، والأفكار الاستعمارية، والاستسهال؛ لم يهتم أحد بما قاله هؤلاء المؤرخون عن فرعون خاصة.. بل واتهموهم بالتهويل، والمبالغة (مع أن ماكتشفه الغرب من تاريخنا القديم كأدلة مكتشفة من الندرة التى جعلتهم يبنون حول هذه الاكتشافات الألاف المؤلفة من صفحات المراجع التى ماأراها الا تقع تحت بند الارهاصات التى قد تصح، وتخطىء.. فضلا عن التهويل فى الصحيح، والخاطىء.. (

وقد ذكر القرآن الحاكم في وجود النبي يوسف عليه السلام فترة حكم الهكسوس بالملك:

"-وقال الملك إني أري سبع بقرات سمان" يوسف 43..

"-وقال الملك ائتوني به" يوسف 50..

"-قالوا نفقد صواع الملك" يوسف 72 ..

"-ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك" يوسف 76..

لماذا اعتبر المصريون الهكسوس العرب محتلين؟!.. رغم احترام الهكسوس لهم، ولدينهم.. هل لأنهم سمحوا لليهود بدخول مصر أيام سيدنا يوسف عليه السلام؟.. بل وسمحوا لهم بتوليهم بعض المناصب، مثلما كان سيدنا يوسف عزيزا لمصر فى أيامهم.. يذكر كتاب "معجم الحضارة المصرية القديمة" أن كلمة "مصر" وردت فى التوراة 680 مرة، وفى مادة "الخروج" من الكتاب أن علم الآثار المصرية يلقى مزيدا من الضوء على ماضى نكبة الاسرائيليين.. بيد أن الآمال ضعيفة جدا فى العثور فى مصر على دليل استيطانهم، حتى النصوص الهيروغليفية لم تذكر شيئا عن ذلك، ولاعن موسى عليه السلام.. وهذا دليل على أنهم عاشوا على هامش الدولة المصرية القديمة.. التى عاشت مشاكلها، وأحداثها دون النظر كثيرا الى الحدود، وماهو خارجها خاصة فى عصرى أسرات الدولة القديمة، والوسطى.. حيث لم يبدأ الاهتمام كثيرا بالخارج الا فى عصر الدولة الحديثة..

فقد تقمصوا اذن نظام الحكم المصرى، واتخذوا رموزه، وألقابه، وتقاليده، ومعتقداته.. وعندما جاء موسي عليه السلام جعل يذكر قومه بكافة طوائفهم بما أنعم الله عليهم من الملك، والنبوة:

"-وإذ قال موسي لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين" المائدة 20..

"-واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى" الصف 5..

فقد جاء أصلا لينقذ بنى اسرائيل الذين هم جزء من الهكسوس من قوم فرعون الطغاة.. البغاة، الذين لايأبهون لدين، ولالرسالة.. فان كان قومه بنى اسرائيل فقط لما اتهمهم باذائه.. ولكن الايذاء كان يأتيه هو، وبنى اسرائيل من فرعون، وملائه.. حيث يبدو هذا الايذاء من عتابهم لموسى عليه السلام:

"-قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا" الأعراف 129..

وكان الايذاء شاملا، ومستمرا حتى خاف بنو اسرائيل من الجهر باتباع موسى؛ الا الشباب الذى كان من الممكن تحمل هذا الايذاء :

"-فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم" يونس 83..

كما نلمح من القرآن وحدة القوانين، والتشريعات عندما أعلن مساعدوا يوسف عليه السلام عن سرقة في البلاط الحاكم بين من جاءوا من البدو:

"-ثم أذن مؤذن أيتها العير أنكم لسارقون(70)قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون(71)قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم(72)قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سرقين(73)قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين(74) قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين(75)" يوسف..

فالاحكام متداولة لديهم في حد السرقة..وهو استرقاق من يسرق فيؤخذ بسرقته؛ فالمسروق صواع الملك، والجائزة حمل بعير– وهو ما لم يكن معروفا لدي

المصريين سكان وادي النيل- والجزاء لم يستغربوه كحكام تسري احكامهم علي المحكومين، والمتعاملين معهم، وقد ارتضوه عندما حكموا هم علي أنفسهم..

ومن سياق القرآن في حديث يوسف عليه السلام عن دين هؤلاء القوم:

"-أني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون" يوسف 37..

وهو ما تعجب له يوسف عندما عاش بينهم.. شرك بالله الأحد.. وليس شريكا واحدا بل شركاء، ومتفرقون ثم يسمونه دين فخرج من هذا الى الدين الحق:

"-واتبعت ملة أباءي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلي الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون(38)ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خيرا أم الله الواحد القهار(39)ما تعبدون من دونه ألا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدواإلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون(40)"يوسف..

ونستشف هذه القرابة ايضا من التاريخ حيث أورد د. سليم حسن في كتابه مصر القديمة – الجزء السابع: -

"-قد أوضحت وأكدت بكل صراحة اعتقادي بأن القصة: "قصة خروج بني إسرائيل من مصر" في مجموعها تعكس لنا صورة حادثة تاريخية معينة؛ وهي طرد الهكسوس من مصر، ويجب أن أضيف هنا بأن هذه النظرية ليست جديدة فقد وضحها الدكتور هول في كتابه: "تاريخ الشرق الأدني القديم.."

وهناك أدلة قرآنية أخرى دامغة تدلل على أن فرعون من قوم موسى عليه السلام.. فالقاعدة القرآنية:

"-ومأأرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم" ابراهيم 4 ..

"-أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس" يونس 2..

ولم يستثن من ذلك الا خاتم النبيين جميعا محمد صلى الله عليه وسلم، الذى جاء لقومه، وللناس أجمعين:

"-وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا" سبأ 28..

"-اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم" آل عمران 14 ..

ولموسى، وقومه خاصة:

"-ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور" ابراهيم 5..

والقوم هم بنو اسرائيل خاصة، وقبائل الأعراب عامة، والتداخل بينهم كان واضحا من العلاقة الوثيقة بين قارون الرأسمالى الكبير الذى كان من بنى اسرائيل وبين فرعون، وملائه دون حواجز، أوحدود.. ونلمح من هذه العلاقة الحرية الاقتصادية التى كان يمنحها فرعون لبنى اسرائيل فى الاتجار، والاثراء، واستغلال مناجم سيناء مادام هو المستفيد من هذا الزواج بين السلطة، ورأس المال:

"-ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم" القصص 76..

والبغى على قومه لايكون الا بالتنكر لهم، والتودد لأعدائهم.. فرعون وملائه، والمنتسبين له.. فقد كان عونا لفرعون على قومه من بنى اسرائيل..

وقد جمع القرآن بينهم فى الفساد، والافساد:

"-ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين(23) الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب(24)" غافر..

"-وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات" العنكبوت 38..

وكما ذكرنا.. دخل الفساد، والافساد الى بنى اسرائيل أنفسهم من هؤلاء الأعراب الذين طغوا، وضلوا حتى طال آذاهم موسى نفسه عندما جاءهم:

"-واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين" الصف 5 ..

ولكل قوم ملأ.. وهم هنا شيوخ الأعراب، وشيوخ بنو اسرائيل الذين كانوا يمنعون القوم من الايمان، واتباع موسى.. فقد كان جل الاسرائيليين على هوى فرعون، وملائه.. بل كان منهم من يلتف حول فرعون، ومن بطانته مثل

قارون الذى يقال انه كان ابن عم موسى نفسه، وكان من دعائم ملكه، وسطوته حتى على قومه.. اذا.. فهم خليط عجيب، وقريب من الأمم ذات الطبائع المتباينة، والتى لايتبادلون فيما بينهم الا الذميم منها..

ذكرنا أن فرعون تولى أمر الهكسوس بمختلف طوائفهم، وكان فرعون قد رأى كهانته، ونجومه أنه يجرى هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين؛ فمنعهم من المناكحة ثلاث سنين التى رأى أن ذلك المولود يولد فيها.. فناصب بنى اسرائيل العداء، وبدأت المواجهة:

"-ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين" القصص 4..

ثم جاءت الحادثة الكبرى التى أظهرت مدى تحرش ملأ فرعون الذين اتخذوا مظاهر السيادة، والاستعلاء بقوم موسى من بنى اسرائيل:

"-ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها" القصص 15..

ان فرعون قد أصدر أمرا بعدم دخول موسى، وشيعته المدينة، وهو من مظاهر التفريق بين الهكسوس باستعلاء طائفة على أخرى.. بل واضطهادها، ومن هنا وجد موسى عليه السلام نفسه أمام مشكلة، وهى أن هناك من يتشاجر مع أحد شيعته بسبب دخوله المدينة.. وربما كان دخوله خلسة أيضا كما دخل موسى:

"-فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه" القصص 14..

ومن هنا:

"-فأصبح فى المدينة خائفا يترقب" القصص 18 ..

فالملأ يأتمرون بموسى ليقتلوه بمقتل أحد الأفراد الذى يبدو أنه على صلة قرابة منهم.. والذى وشى به واحد من شيعة موسى.. أما وأنه من نفس القوم(الهكسوس).. فوجب القصاص الداخلى.. أى المطالبة برأس موسى.. والذى حكم بذلك الملأ من الطوائف المختلفة، وتشى التوراة بهذه القرابة؛ فتقول فى سفر الخروج(13/2:)

]-ثم خرج موسى فى اليوم التالى واذا رجلان عبرانيان يتخاصمان ..]

وكانت النتيجة:

"-وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج" القصص 20..

اذا.. فعامة الناس تعيش فى وسط المدينة؛ أما الخاصة، والملأ فيعيشون على الأطراف(فى أقصى المدينة)، وهذا الناصح الأمين - المحب لموسى – جاء من هناك من ناحية الملأ المؤتمرين.. ومن المحتمل أن الملأ بعثوا بهذا الرجل ليقترح على موسى الخروج من المدينة سالما دون قتل؛ فيستريحوا منه، ومن دعوته، وكأنها مؤامرة فرعونية..

وربما كان هذا الرجل هو مؤمن آل فرعون، واسمه سمعان بن اسحاق، أو حزقيل بن صبورا حسب الروايات التى تقول انه كان اسرائيليا من قوم موسى، وفى نفس الوقت ابن عم فرعون، وعندما حذر قومه، وضرب لهم الأمثال.. ذكر لهم أقوام من العماليق قبلهم مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، وهم منهم ليسوا ببعيد.. زمانا، ومكانا، وعندما يعظهم موسى يذكر لهم أيضا نفس الأقوام:

"-وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم" غافر 30..

ويقول موسى لقومه:

"-ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم" ابراهيم 9..

ويصرح القرآن بالذين من بعدهم فى موضع آخر:

"-وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود(42) وقوم ابراهيم وقوم لوط(43) وأصحاب مدين(44)" الحج ..

والأسماء: هامان.. قارون.. هارون.. فرعون؛ من السهل ردهم لأصل مشترك واحد، ولصلة قرابة تجمع بينها، فكلهم ينتمون للغة واحدة بمخارج، وألفاظ متقاربة، وموزونة.. وهى من اللغات العروبية..

الأصل والنشأة فى التاريخ الحديث:

كانت الفكرة الراسخة فى أذهان بعض المؤرخين إلى وقت قريب أن هؤلاء الغزاة قد انقضوا على الديار المصرية فجأة من بلادهم الأصلية، واستولوا عليها عنوة فى فترة كانت مصر قد بلغت فيها من الضعف، والوهن حداً بعيداً بسبب الحروب الداخلية، ولكن اتضح أن هذا زعما خاطئا من أساسه، بل الواقع كما تؤكد المصادر التاريخية الحديثة(3) أنه توجد أسباب عدة تدل على أن هؤلاء الغزاة كانوا قوة ثقافية فى وادى النيل منذ عهد الملك سنوسرت الثانى 1906-1887 ق.م.، أى منذ عهد الدولة الوسطى.. عندما كانت مصر فى أوج عظمتها أبان عصرها الذهبى، وتدل الشواهد على أنه لا توجد أسباب تدعو للشك فى أن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام 1730 ق.م.، ولكن من الطبيعى أن المؤثرات الثقافية التى كانت موجودة قبل ذلك التاريخ فى الأقطار الآسيوية المجاورة قد تركت أثرها إلى حد ما فى مصر، ومن المحتمل أن المصريين أنفسهم قد نقلوها إلى بلادهم ..

والحقيقة الوحيدة هى أن الهكسوس لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة، بل وفدوا اليها جماعات صغيرة متفرقة، ظلت تزداد فى عددها إلى أن اصبح لها سلطان عظيم فى البلاد مثلهم فى ذلك كمثل الكاسيين الذين استولوا على بابل بهذه الطريقة، حتى أن هذه العناصر المختلفة الجنسية أصبحت فيما بعد عاملا سياسيا قويا أدى الى جعل البلاد تحت سلطانهم، وعلى هذا الأساس ظهرت أول أسرهم فى مصر، وهى الأسرة الخامسة عشرة فى بلدة "أواريس.."

وعلى الرغم من القليل الذى يعرفه المؤرخون المعاصرون عن موضوع أصل الهكسوس المعقد فإنه مع ذلك يحتمل أن عددا من السلالات قد اشتركت فى تنشئة الهكسوس؛ وأن هذه السلالات تحتوى على عنصر سامى واضح قد اختلط فيما يطلق عليه هجرة الهكسوس، ويشمل ذلك "العاموريين"، و"الكنعانيين" فى "فلسطين"، و"سوريا" حوالى 2000 ق.م... وقد اعتمدت المصادر التاريخية الحديثة على عدة مصادر متباينة لأصل الهكسوس، ومن أين أتوا.. وذلك بتتبع كل أثر عن الهكسوس من أشكال معدنية معينة، وأسلحة، وكذلك العربة، والحصان فكانت هناك مصادر تنتمى الى "سومر"، و"بلاد الرافدين"، ومصادر تنتمى إلى أقوام آرية "هندوأوروبية" ولكنه احتمال بعيد.. وقد ساعد هذا الغموض أنهم على ما

يظهر عندما انتهى بهم المطاف فى مصر اتخذوا اللغة المصرية لغة لهم، واتخذ ملوكهم الألقاب المصرية، وفى بعض الحالات كانوا يحملون الأسماء المصرية الأمر الذى غطى على سمات أصولهم اللغوية..

والظاهر أن "الحورانيين" كانوا ضمن تكوين العناصر الهكسوسية نتيجة البحوث الحديثة من تشابه الصناعات التى كانت قائمة فى شمال بلاد الرافدين التى سادت فيها اللغة الحورانية فى عهد الهكسوس المتأخر، والتى جاءت عن طريق هجرة واسعة النطاق يحتمل أنها بدأت من "أرمينيا"، وهو ما صبغ مدنية فلسطين، وسوريا بثقافة حورانية شديدة فى عهد الهكسوس المتأخر؛ وهو ما نلحظه من العلاقة بين القوانين الحورانية، وما جاء به الرسل العبرانيون..

وقد يكون "للخيتا" نسبة فى الهكسوس لنفس السبب الذى من أجله نسب اليهم الحورانيين، وهو الجوار؛ والذين تلاقوا معهم فى غارات قاموا بها على سوريا، وبلاد الرافدين مما تؤكده متون ملوكهم؛ بيد أن موقع هؤلاء القوم من الغموض فى وثائقهم الا بالترجيح أنهم سكنوا شمال سوريا.. وكذلك لدينا عنصرا آخر يحتمل عده من الهكسوس وهم "الخبيرو"، أو "الخابيرو"، والذين كان أول ظهورهم فى التاريخ فى "وادى الرافدين" حوالى نهاية "الألف الثالثة ق.م."؛ وكان لهم اتصال بالحورانيين فيما بعد، وهم يتألفون من سلالات مختلفة، ويحمل معظمهم أسماء سامية..

ورغم هذا فهم يمكن أن يكونوا "طائفة لا جنسا" ؛ له طابعه الخاص، وذلك بعد تطورهم فيما بعد الى "طائفة اليهود" التى وجد لهم بعض الآثريين تعابير خاصة فى بعض المتون تنطبق عليهم وهى: "أغراب" – "عبيد مغيرون" – "جوالون" – "أعداء" – "أجانب" – "مخاطرون".. وفى حين أن غالبيتهم "ساميون" فإنهم كانوا فى العادة على اتصال وثيق بالعنصر الحورانى المنتسب الى الهكسوس، ولما لم يكن هناك وحدة "جنسية"، أو "لغوية" بين "الخبيرو" القدامى، فإنه من المحتمل عدم وجود "وحدة ثقافية" بينهم (وهو ما يميز العرب عنهم فيما بعد.. الذين كانت لهم وحدتهم اللغوية، والثقافية رغم تعدد اللهجات، واتساع الرقعة التى نشأوا عليها فى الجزيرة العربية.. (

ويمكن البرهنة على وجود علاقة بين الحقائق التى لاحظها المؤرخون المعاصرون، وبين قصص الأنبياء، فمن المحتمل أن إبراهام هو "ها عبرى"، أى "البدوى".. قد صور يزور مصر فى رحلة سلمية، وقد تم المقارنة بين رحلته، ورحلة "ابشا" الذى سار على رأس قافلة لزيارة مصر فى عهد "سنوسرت الأول"، ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو الذى لاحظ فيه هؤلاء المؤرخون المعاصرون لأول مرة أدلة على وجود الهكسوس فى مصر، وبعد فترة من الزمن دخلت كل من أسرة "يعقوب عليه السلام" مصر، واتخذوها موطنا لهم، ولا نزاع فى أن قصص الأنبياء تحفظ لنا بين ثناياها ذكريات فى حوادثها لها "قيمتها التاريخية"، وقد أماط عن بعضها الكشوف الأثرية الحديثة.. من ذلك القصص التى تحتوى عناصر من القانون الحورانى، وتدل شواهد الأحوال على أن "يوسف" عليه السلام كان "وزيرا" لأحد ملوك الهكسوس فى مصر، وكذلك الآراميون يجوز أنهم كانوا ضمن هجرة الهكسوس، وقد وصف "يعقوب" بأنه "آرامى جوّال"؛ فى وقت كان يميز فيه العبرانيون بينهم وبين الآراميين بوضوح جلى، وكذلك يمكننا أن نشير الى أن "اسحاق"، و"يعقوب" قد تزوجا من "آراميات.."

وتذكر المعاجم التاريخية الحديثة أن الهكسوس ((Hyksosهم "أمراء الأراضى الأجنبية" الذين حكموا مصر نهاية القرن الثامن عشر ق.م.. أى فى المدة بين الدولتين الوسطى، والحديثة؛ وقد سماهم "مانيتون" الرعاة، أو "ملوك الرعاة" اذ أساء فهم الاسم "هكسوس"، وقد بدأ هذا الغزو بتسلل البدو إلى شرق الدلتا، وزادت الهجرات حتى أقاموا سيادتهم على الحدود الشرقية للدلتا، واتخذوا "مدينة أفاريس(حوت وعرة)" عاصمة لهم، ثم بسطوا نفوذهم على الدلتا بالتدريج حتى سيطروا على المملكة كلها، ويبدو أن مصر السفلى كانت فى مهادنة معهم..

وقد صورت التقاليد المصرية الوطنية الهكسوس كبرابرة قساة.. لا يعرفون الدين، ويحرقون المدن، ويهدمون المعابد، ويعبدون الههم "ست" فقط.. والأخبار، والأدلة المعاصرة قليلة، وتؤكد رواية طيبة(المصريين القدماء) عن الأحداث، ويجب على المؤرخ أن يتشكك فى هذه الصورة، ويلتمس الأدلة العلمية التى قد لا تصور هؤلاء البرابرة الآسيويين وحوشا مفرطين فى القسوة..

ولايفوتنا هنا ذكر ماكتبه أحد المهتمين بتاريخ العرب قبل الاسلام عن الهكسوس، ولعل فيه اقتراب من آثارهم فى القرآن الذى لم يذكرهم صراحة، ولكنه جاء على شيء من تقاليدهم، وقوانينهم، واحتكاكهم بالرسالات السماوية فى "سورة يوسف".. فيذكر المؤرخ أصولهم السامية فى البادية بين "وادى النيل"، و"دجلة"، و"الفرات"، وتدرجهم من التسرب، الى الفتح، والاستيلاء فى "بابل"، و"فلسطين"، و"الشام.. "

دخل الساميون مصر من الشرق عن طريق "برزخ السويس"، أو "البحر الأحمر".. فما برح المصريون منذ القدم يسمون بلاد العرب "بالأرض المقدسة"، أو"أرض الآلهة"، وعرفوا عددا من الشعوب السامية بأسمائهم؛ مثل "خار"، أو "خال" ويريدون بها "الفينيقيين".. بيد أنهم أطلقوا عليهم جميعا لفظ "عامو".. بمعنى"الشعب"، أو "الأمة"، أو "العامة"، وقد نزلوا بأطراف "الدلتا" من ناحية الشرق؛ بجوار "بحيرة المنزلة".. ولاتزال هذه المنطقة تحتوى على أسماء سامية.. كما أن هناك أدلة على بعض الأصول السامية فى هيليوبوليس(عين شمس.. (

وقد اعتاد المصريون تواجدهم فيما بين "النيل، والبحر الأحمر" عموما كسكان للبادية.. فسموهم "البدو".. وهم "العرب"، أو "شاسو" بلغتهم، وسموا الأرض التى يعيشون عليها هذه "تشر"، أو "الأرض الحمراء"، تمييزا لها عن أرض وادى النيل "كيمى".. أو "الأرض السوداء".. وقد ألمح القرآن الكريم الى هذا الفرق.. عندما كان يوسف عليه السلام يعيش فى وادى النيل بمصر :

"-وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو" يوسف 100..

وكان للعرب فى "جزيرة سيناء"، ومايليها سيادة، وحكومة من أقدم أزمنة التاريخ، وكانوا يعملون غالبا فى نقل التجارة برا الى "بابل" حوالى سنة 2500 ق.م. .. ويبدو أن الشاسو قبل نزولهم مصر قد عاشوا فى أرض "مديان" وراء جزيرة سيناء.. لأن لفظ الشاسو يطلق أيضا على هذه الأرض، وهى قديمة تاريخيا حيث جاء ذكرها فى الآثار البابلية سنة 3750 ق.م. .. ونجد أيضا أن القرآن

ذكرها "عشر مرات"، خاصة عندما هرب اليها "موسى عليه السلام" خوفا من انتقام فرعون، وشيعته عندما قتل أحدهم عن طريق الخطأ:

"-ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل" القصص 22..

ويلمح القرآن الى قسوة هؤلاء القوم الذين سكنوا هذه الديار، ورحلوا منها نحو مصر.. وحفيدهم فرعون، وشيعته عندما التقى موسى عليه السلام بالعبد الصالح الذى يبدو أنه كان يعرف تاريخهم، وغلظ أكبادهم:

"-فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين" القصص 25..

فكانوا كثيرا مايسطون على المصريين فى مدنهم للغزو، والنهب منذ عهد "مينا" أول ملوكهم، فكان من الطبيعي أن يحتقرهم المصريون ويعدونهم من الأشقياء، وأهل الدعارة، والسلب.. وكثيرا ماكان الأمراء فى مصر يستعينون بهم فى أوقات الفوضى، وتحلل الدولة المصرية فى الحروب الداخلية ضد بعضهم البعض لما كانوا يعرفون به من الشدة، والشجاعة مثل سائر أهل البادية..

والرأى المتفق عليه حديثا فى تفسير كلمة "هكسوس" هو أنها مركبة من كلمتى "حقاو"، و "خاسوت" ومعناهما معاً هو "حكام الأقاليم الأجنبية"، ومما تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفاً فى المصادر المصرية فى عهد مبكر يرجع للأسرة "السادسة"، وظل مستعملاً حتى عهد "البطالمة"، وهذه فترة أطول بداهة من العصر الذى احتل فيه الهكسوس البلاد المصرية؛ وليس هناك من البراهين القاطعة ما يثبت أن هذه العبارة كانت تطلق على الهكسوس فحسب؛ غير أنه من جهة أخرى نلحظ أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار، أو على الجعارين "حقاو خاسوت" أى "حاكم البلاد الأجنبية".. مثل الملك "خيان" ؛ "سمقن"، و"عنات هر" فقد لقب كل منهم بهذا اللقب، وذلك فى النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد الهكسوس من مصر، والظاهر أنهم كانوا يسمون "عامو" أى "الآسيويين" فى عهد الهكسوس أنفسهم عندما كانوا فى مصر ..

وقد وثبوا على مصر ابان ضعف حكامها أواخر الأسرة الرابعة عشرة من عصر الدولة الوسطى، ففتحوا الوجه القبلى الى "منف"، وتقهقر أمراء المصرين الى "الصعيد" أوائل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، وظلوا يحكمونها الى أوائل القرن الثامن عشر..

والهكسوس هم البدو الذين كانوا يتنقلون فى "الصحراء الشرقية".. أى "العرب"، ولم يعثروا على اسم هذه الدولة فى الآثار المصرية، ولاوقفوا الا على النذر اليسير من آثارها التى جاء فيها أن أقواما غرباء تسلطوا على مصر السفلى حتى أخرجهم ملوك طيبة.. والظاهر أن تلك الدولة كانت مؤلفة من "الشاسو"، و"الفينيقيين"، وغيرهم من أهل الشام، وكلهم "ساميون".. وربما كان فيهم فرقة من "عمالقة العراق".. وخلاف أنهم تكاثروا بمصر على عهد الشاسو من اليهود، وغيرهم، ولكن سلطتهم انحصرت فى "الوجه البحرى .."

احتل الهكسوس سيناء التى تفصل بين آسيا، ووادى النيل، ثم قاموا بتحويل "حصن القنطرة شرق" بالقرب من حدود سيناء إلى مدينة محصنة وجعلوها عاصمة لهم، وأسموها بلغتهم "هوارة" وهو اسم عروبى صميم جاء به الهكسوس من بلادهم، وقد أطلقنا عليها قديماً "حـــ ت - وع رت" وتعنى بلغتنا المستمرة "الحتة الوعرة" أى المنطقة الصحراوية الصعبة، ونطقت هوارة باليونانية "هواريس"، وأحياناً "أواريس" فالهاء العربية تقلب فى اليونانية همزة، والسين زائدة يونانية معروفة..

وهوارة، أو حوارة، أو حارة من كلمة حور (بفتح الحاء والواو والراء) فى اللهجات الأعرابية بمعنى الاحاطة، والالتفاف، فأى تجمع يحاط بسور يصبح "مدينة"، وهو نفس المعنى الذى جاء به القرآن عن ذلك المكان رغم اطلاقه اسم قرية، أو قرى عموماً على الدول، والمدن حول مكة، ولكنها خصوصية مكان أحداث موسى، وفرعون:

"-وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى" القصص 20..

"-ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها" القصص 15..

"-إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها" الاعراف 123..

وكذلك ثمود من قبلهم:

"-وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولايصلحون" النمل 48..

وقد ميز القرآن قوم "قرعون"، و"ثمود" بخاصتين لم ينسبهما للأقوام الآخرين، وهما "المدينة"، و"الجنود".. وهما يرمزان الى الاحاطة بأسوار المدن، والحماية بالجنود المدججين ..

وهناك هوارة فى "قلب الصعيد" حتى اليوم تشى بأصل قاطنيها من البدوالعرب، والذين يحملون كثيراً من صفاتهم، وعاداتهم، وطريقة معيشتهم حتى اليوم..

هيمنة الهكسوس على وادى النيل:

وهناك مايبرهن على أن ملوك الهكسوس كان لهم سلطان على طول البلاد حتى الجنوب، ومن جهة أخرى تدل الأحوال على أنه من الجائز أن تكون البلاد كلها منذ بداية حكم الهكسوس فى الدلتا(ويحتمل كذلك معظم مدة حكمهم) كانت تحكم نفسها بنفسها بموافقة الغزاة، وكل ما يمكن زعمه فى هذا الصدد هو أن بلاد الجنوب كانت تدفع جزية فادحة للهكسوس أصحاب السيادة فى الدلتا ..

وليس أدل على جو التحرش بأمراء الجنوب من تلك الرسالة التى بعث بها "أبو فيس" ملك الهكسوس يدعى فيها وهو فى "أواريس" الواقعة شمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التى تعيش فى "بحيرة طيبة" فى الجنوب تزعجه، وتقض مضجعه لقوتها، على الرغم من أن المسافة بين "طيبة" و "أواريس" تبلغ نحو 500 ميل، وأنه لذلك يأمر ملك طيبة أن يبيد فرس البحر الذى يسكن تلك البحيرة إن أراد أن يبقى على إرضائه..

حصون وصروح الهكسوس:

أسهب المؤرخون المعاصرون فى ذكر ما تميز به الهكسوس من بناء الصروح، وتشييد الحصون، ما يجعلهم غرباء جداً عن وادى النيل الذى كان فيه ما يفى بالغرض من ذلك مثل الأهرامات مثلا، وهو ما يشي ببعدهم عن مجال وادي النيل بالداخل..

"-فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين" القصص 38..

"-وقال فرعون ياهامان ابنى صرحا لعلى أبلغ الأسباب(36) أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا(37)" غافر..

وبعد أن دخلت الطائفة اليهودية منهم الأرض المقدسة بعد وفاة موسى عليه السلام:

"-وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض" الاسراء..

ثم أقاموا الدولة فى عهد نبيهم، وملكهم سليمان عليه السلام.. الذى أقام الصروح أيضا:

"-قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير" النمل 44 ..

ويبين المؤرخون طراز التحصينات الخاص بالهكسوس فى المدن حيث كانت من أعظم تخصصات الهكسوس يتألف من طراز منحدر؛ أو استحكام يبنى فوقه جدار البلدة نفسها، وكان يستعمل فى إقامة هذه التحصينات المواد الموجودة فى البيئة التى أقيم فيها هذا المبنى مثل: الرمل، والطين، واللبن، والأحجار، والجص، ومن خصائص تحصينات الهكسوس أنها تميل إلى الشكل المستطيل، أو المربع، وقد لفت نظر الباحثين أن جوانب هذه المبانى، أو أركانها كانت تقام بمواجهة الجهات الأربع الأصلية ..

ويظهر على قدر ما وصلت إليه الاكتشافات أن "الإستحكام المربع" كان فكرة خاصة بالهكسوس، وعندما يوجد هذا الشكل من البناء فى "سوريا"، أو فى "فلسطين"، أو فى "مصر" يستدل أنها كانت أقاليم خاضعة لنفوذ الهكسوس، ويستدل أيضا من أشكال هذه الصروح أنهم شعب محارب.. خاصة وأنهم من جلب الخيل، والعربات الحربية إلى مصر فيعزى نجاحهم إلى أسلحتهم المتفوقة، وحصونهم الممتازة كما يعزى اليهم – منذ زمن بعيد – جلب هذه العناصر الجديدة الهامة من المدنية إلى مصر.. سيما وأن الحصان فى دراسته التاريخية يعد حيواناً خاصاً بالهكسوس، وكان ينحصر دوره فى جر العربات فقط، ولا توجد إلا أمثلة قليلة نسبياً تدل على امتطاء صهوة ظهور الخيل..

حضارة الهكسوس:

يتضح من الآثار المكتشفة حديثاً، وما عثر عليه فى مقابرهم أنهم قوم على جانب عظيم من المدنية، بل كانوا أكثر تقدماً فى بعض النواحى من جيرانهم فى وادى النيل الذين يعتبرون أقدم منهم، فصفاتهم الحربية، وعيشهم المنظم بالمعنى الإجتماعى الصحيح رغم كونهم قبائل، وتخطيطهم للبلدان المنظمة التى راجت فيها التجارة، فكان صانع الفخار، والحداد، وصائغ المجوهرات ينتج فى صناعته بمهارة فائقة مما لم يكن ميسوراً قبل تقدم عمل السبائك، والتفنن فيها من قبل الهكسوس فى السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ..

ان حياة الهكسوس كان لها شأن، ومكانة واضحة لم يعترف بها كل المؤرخين، ولا نزاع فى أن كل ما أتى به الهكسوس من جليل الأعمال لا يمكن أن يتم فى جو كله حروب مستديمة، بل تعزى تلك الأعمال إلى قوم على جانب عظيم من المهارة، وقد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التى تحيط بهم أينما حطوا رحالهم، واستقر بهم المكان ..

عبادة وآلهة الهكسوس:

"-وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك" الأعراف 127..

من الآية ندرك أن فرعون - كملك من ملوك الهكسوس - كان يؤمن بآلهة رغم ادعائه الألوهية، وهى بلاشك آلهة قومه من الهكسوس ومنهم "ست" إله هذه المنطقة الواقعة فى "الشمال الشرقى من الدلتا"، وقد علل البعض اختيارهم لهذا الاله حاميا لدولتهم بما وجد بين "ست" هذا والههم "بعل"، أو الاله "تشب" من تشابه فى الصفات، ولكن هذا الزعم غير مفهوم عندما نعلم أنهم كانوا خليطا من أجناس متباينة نجهل كل شئ عن آلهتهم، وأن توحيد ست، وبعل، وتشب قد حدث فى عصور متأخرة من مدة حكم الهكسوس، كما نلحظ تقديس هؤلاء الفاتحين لآلهة أخرى مما نجده قد ركب تركيبا مزجيا فى أسماء بعض ملوكهم مثل "عنات هر" و"هر" هذا هو اله خارجى، واتخذ بعضهم لقب "ابن الشمس" مما يدل على عبادتهم للإله "رع.."

ويعتقد بعض المؤرخين أن صورة "ست" قريبة الشبه من آلهة الأعاصير الكبرى فى آسيا؛ وهم.. "تشوب"، و"انليل"، و"اشكور"، و"بعل"، وست هو "سيد العاصفة" الذى قدسته مصر بأسرها فى الحقبة الثانية لعصر "ماقبل الأسرات"، وكذلك بعض الشعوب الآسيوية.. حيث أصبح أكثر شهرة من "حورس" الذى كان فى صراع معه حسب الأسطورة المعروفة بعد أن قتل من قبل "أوزوريس أبو حورس"، ومزق جسده أشلاء.. وهو ماحدا بالشعوب الآسيوية بدءا بالهكسوس اتخاذه الاها بعد أن نقلت مقر اقامتها الى مصر، فتولد لدى المصريين شعور بالعداء تجاه هذا الاله "الأجنبى" فجعلوه الاله الشرير فى أسطورة "ازيس، وأوزوريس . . "

الخروج.. والأخطاء التاريخية:

ومن قصيدة عن انتصار "مرنبتاح" - ابن رمسيس الثاني - منقوشة علي لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود سماها المؤرخون الغربيون "لوحة إسرائيل" أقيمت في "معبد الملك الجنائزي"، وكذلك علي لوحة في "معبد الكرنك".. سميت بذلك نظرا لاحتوائها علي ذكر بني اسرائيل لأول، وآخر مرة في المتون المصرية، كما قالوا عن مرنبتاح انه "فرعون موسي" الذي جاء ذكره في القرآن، والتوراة.. غير أنها حسب رأي د.سليم حسن لا ترتكز علي حقائق تاريخية، بينما يؤكد الباحث عاطف عزت خطأ ترجمة عالم الآثار"بتري فلندرز" للكلمة التي جاءت في اللوحة:

"-واسرائيل خربت وليس لها بذر . . "

فالكلمة المترجمة لم تكن "اسرائيل" التي حشرها في الترجمة دون سبب مفهوم بل هي كلمة "أساري" التي تعني أهل "جبل الكرمل" الممتد من "حيفا" حتي "وادي الأردن" كما يعرفها العلماء اليوم، وتقننت كلمة بتري - للأسف - وأصبحت حقيقة واقعة.. قامت عليها كل الدراسات اللاحقة لاقحام اسرائيل في أصل وادي النيل كما تحكي التوراة، وكذلك اضفاء اسم فرعون علي كل ملك من ملوك وادي النيل، وهو ما ثبت خطأه . .

وإن كان مرنبتاح قد تحدث في لوحته عن انتصاراته علي شعوب معينة خارج الوادي فلابد أن اسرائيل كانت دولة، وشعب يعيش خارج الحدود أيضا.. وبالتالي تكون اللوحة بداهة قد كتبت بعد الخروج.. فاللوحة سجلت في العام

الخامس من حكمه، وقبل موته الطبيعي بخمس سنوات.. فلو كان فرعون الخروج كما يدعون لانتهي حكمه بالغرق في السنة الخامسة من حكمه، وليس في السنة العاشرة، ومرنبتاح الابن البكر "لرمسيس الثاني" الذي ورث حكم أبيه بعد أن شاركه الحكم في حياته.. لم يصب "بالضربة العاشرة" التي ذكرت "التوراة" أنها أماتت كل الأبكار، فكيف أعتبره الآثريون الغربيون "فرعون الخروج" رغم أنهم أقحموا التوراة، وبني إسرائيل - دون سبب - في تاريخ وادي النيل لأغراض بينهم، وبين اليهود.. وليذهب العلم، والحياد العلمي التاريخي إلي الجحيم.. وللأسف جري مجراهم المؤرخون المسلمون المعاصرون دون تفكير، أو تمحيص.. وكأن همهم فقط النسخ، والنقل، وليس العلم، والنقد.. فقد اعتبروا أنفسهم – للأسف - موظفين، وسكرتارية لعلماء أوروبا، وأمريكا..

ولا يمكن تحديد تاريخ الخروج مما سبق ذكره بصفة قاطعة، فجاء الخلاف في وضع تاريخ هذه الحادثة في أزمان متفاوتة، فقد وضعه البعض في عهد "أمنحتب الثالث"، ووضعه آخرون في عهد "رمسيس الثاني"، واتفق آخرون علي أنه في عهد "مرنبتاح".. وكلها تحوم حول روايات التوراة لتأكيدها، وتميل بالاحتمالات نحو عهد "الرعامسة في الأسرة 19" وذلك لتحقيق رواية التوراة عن تسخير الاسرائيلين في بناء بلدة "برعمسيس" – "قنتير الحالية" - والتي سمتها التوراة "رعمسيس".. وقد خاض أفذاذ الآثريين الغربيين - يتبعهم المسلمون طبعا - في هذا الخطأ المشين حتي النخاع، بما لا يليق بمثلهم.. فأغفلوا حقيقة البلدة، وأصلها الذي كان "المدينة"، أو "صُوعَن" في التوراة، وسماها الهكسوس عن احتلالهم لأرض مصر"هوارة"، ونطقها اليونانيون "هواريس" أو "أواريس" وبالهيروغليفية القديمة "ح ت – و ع ر ت" وتقع جنوب "بيلوز(الفرما)"، والتي أعاد رمسيس الثاني بناءها بعد ذلك في عهده، وسماها باسمه بعد أن قرر نقل العاصمة من "جنوب الوادي، إلي شماله" في أحتفال عظيم، وعندما بدأ تدوين، ونسخ التوراة ذكر المدونون المدن القديمة بأسمائها الجديدة، وربما ذكروا الأسمين معا..

اليم فى القرآن :

" اليم" من الألفاظ السامية التى عرفت بمصر منذ الأسرة الثامنة عشرة المعاصرة لزمن الخروج، وقد لفت هذا المصطلح انتباه د. أحمد عبد الحميد يوسف

فى كتابه "مصر فى القرآن والسنة" وأنه لم يأت الا فيما يخص مصر فقط لا غير، وفيما يخص هذه القصة، وقد ورد ثمانى مرات فى هذا الشأن على النحو الآتى :

"-أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم" طــه 39..

"-فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له" طــه 39 ..

"-فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم" القصص 7..

"-لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا" طــه 97..

"-فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم" الذاريات 40..

"-فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم" الأعراف 136..

"-فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم" طــه 78..

وقد خلط المفسرون المصطلح فيما يعنى "النيل" مرة، و"البحر" مرة أخرى؛ رغم أن القرآن ذكر "النهر" باللفظ فى 53 موضعاً، و"البحر" باللفظ فى 40 موضعاً، ولكن العذر كان بسبب التفسير التوراتى المعد سلفاً، والجاهز بلا تفكير، ويحدد القرآن مكاناً واحداً اسمه "اليم" ولد بجواره موسى، وفيه ألقى، ومنه التقط، وانقذ، ثم تربى بجواره، وعاش مع قومه، ومع ملكهم فرعون الذى انتهى أمره غرقا فيه.. أما اليم فهو ليس بحراً، ولا نهراً.. بل هو خليج واسع ضحل به مياه مالحة تأتيه من جهة البحر، ومياه عذبة تأتيه من احدى قنوات نهر النيل التى تتصل بالفرع البوبسطى منه (أنظر الخريطة الأثرية..(

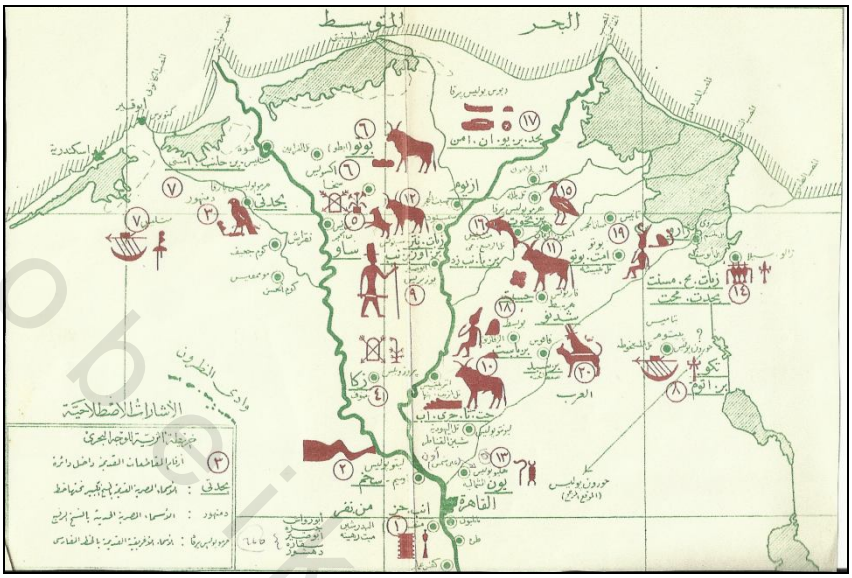

خريطة أثرية للوجه البحرى تبين مصبات النيل السبعة(عن كتاب مصر تحت ظلال الفراعنة(

وقد استخدمت التوراة العبرانية المصطلح (هــ - يم) والتى تعنى "اليم" ولكن الترجمة العربية المعتمدة للتوراة ترجمتها على أنها "بحر"، كما وردت فى التوراة "السامرية" بمعنى "الخليج"، وكان يسمى "يم سوف".. بمعنى "خليج البوص"، وكلمة "سوف" وهى البوص**"Reed"** ، أو "نبات مائى" فكتبت بالإنجليزية **"The Reed Sea"**لكنهم تشككوا فى الأمر "جهلاً"، وأجزموا بوجود خطأ، وتبرعوا غباء بتصحيحه فحولوا **"Reed"** إلى **" "Red** فأصبحت **"The Red Sea"** أو "البحر الأحمر"، وتقنن الوضع، واختفى "خليج البوص" مع "مدينة الهكسوس"، وظهر "البحر الأحمر" مع "مصر.."

مشكلة الأرض:

"-يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون" الشعراء 35 ..

"-قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم" طــه 63..

"-قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى" طــه 57..

"-يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون" الأعراف 110..

"-إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها" الأعراف 123..

"-قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين(128) قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون(129)" الأعراف ..

"-قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين" يونس 78 ..

"-وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين" يونس 87 ..

"-فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً" الاسراء 103..

كانت هناك مشكلة كبرى عند قراءة هذه الآيات حين ينبه فرعون من حوله بخطورة خروج بنى اسرائيل حتى انه لم يستثن السحرة من ذلك التنبيه مشيراً بذلك بألفاظ:

"أرضنا" – "أرضكم" – "الأرض.."

فيبدر السؤال:

إذا كانت هذه أرضه، وأرض أجداده، وأرض من حوله بمن فيهم السحرة الذين جلبهم من "وادى النيل" للوقوف معه ضد موسى.. فلماذا يحذرهم من الخروج منها؟!.. أو حتى من خروج بنى اسرائيل؟!.. مع أنه كان الأولى أن يفرح بخروج هذه "الشرذمة" التى هى صداع فى رأسه، ورأس أتباعه بدلاً من رفض خروجهم :

"-ان هؤلاء لشرزمة قليلون(54) وانهم لنا لغائظون(55) وانا لجميع حاذرون(56)" الشعراء..

وإذا قال قائل: انه يستعبدهم، ويستخدمهم.. ينشأ سؤال آخر كيف ذلك وهو يقتل الرجال ويستحى النساء؟!.. والسخرة تحتاج إلى الرجال فى المركز

الأول.. فقتل النساء دون الرجال يقوض الأمة، واستحياءهن دون الرجال يذل الأمة، ويذيب عنصرها، ودمها فى القبائل؛ وهو ما كان يفعله فرعون، فقد كان يقتل رجالهم، ويستحى نساءهم، ويبدو أنها كانت عادة عند قبائل العرب عامة، والعبرانيين خاصة..

والآية 90 من سورة يونس:

"-وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا.."

تؤكد أن ادراك فرعون لموسي كان لاحقا وسريعا ما يدل علي أن الحيز المكاني الذي كان يجمعهم محدودا جدا: "موسي" – "اليم" – "فرعون.."

الآيات التسع :

"-فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فأستكبروا وكانوا قوماً مجرمين" الأعراف 133..

والآيات التسع هى:

1. الطوفان..
2. الجراد..
3. القمل ..
4. الضفادع ..
5. الدم ..
6. نقص الثمرات ..
7. سنوات القحط ..
8. اليد البيضاء..
9. معجزة العصا..

وهى الآيات التى ذكرها القرآن، وأسهبت التوراة فى تفصيل ما حدث بدأ من "الاصحاح التاسع" من "سفر الخروج"، وبينما يقرر القرآن أن هذه الآيات حدثت لفرعون، وقومه فى "المدينة"؛ تقرر التوراة أنها حدثت فى "أرض مصر".. فهذا صحيح، أما ما لا يصدق أن يكون المقصود بأرض مصر أرض "بلاد وادى النيل" الكبيرة الواسعة..

هذه آيات لا شك فيها، لم تصب وادى النيل كله بالمفهوم الجغرافى - وهو مالايصدقه عقل - بل حدثت فى جزء صغير، محتل اسمه (المدينة) على حدود مصر الشرقية بالقرب من "البحيرات المرة"، جزء لا سلطان لمصر عليه فى ذلك الوقت، ولا تتبع أخباره، ولا تسجلها، ولا تهتم بها، وقد أصابت الأعراب، والعبرانيين من غير أتباع موسى عليه السلام.. وليس أدل على ذلك من هذه الآية الواضحة الصريحة:

"-ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون" الأعراف 137..

ويفهم من الآية الدمار الشامل الذى لحق بفرعون، وقومه، وجنوده، ومدينته، وملكه، ولم يبق الله تعالى منه الا جسده ليؤكد لبنى اسرائيل موته، والقضاء عليه:

"-فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" يونس92..

ولكن ألا يتنافى هذا الدمار لجزء صغير على الحدود المصرية الشرقية مع حال مظاهر تواجد الحضارة المصرية ككل حتى يومنا هذا فى أنحاء مصر من الاسكندرية، وحتى أسوان؟!.. بل على العكس فهى من أكثر الحضارات آثارا باقية، وبرديات مازال يكشف عنها.. كما كشف عن أسرار لغتها القديمة، ويهتم بها، وبآثارها كل العالم، حتى ليقال أن آثارها قد تبلغ ثلثى آثار العالم القديم ..

السحر والسحرة فى مصر القديمة :

"-فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم" الأعراف 116 ..

يبدو أن السحر قديما كان عاما فى البشر؛ بيد أنه أصبح علما مقترنا بالدين، والمعابد فى مصر تخصص فيه الكهنة أولا.. ثم جعلوه علما قائما بذاته له مدارسه فى

المعابد، وله متخصصيه من السحرة الذين تتلمذوا على يد الكهنة، وتركوا لهم هذه المهنة.. وقد أفرد د. سليم حسن فصلاً فى كتابه "مصر القديمة" فى آخر الجزء السابع عن السحر فى الحياة المصرية يشير فيه إلى إختلاط الدين، والسحر فى عقائدهم إختلاطاً كبيراً حتى أصبح من الصعب الفصل بينهما فى حياة المصرى القديم، فقد إعترف الإنسان بأنه محاط بقوى خفية خارجة عن نطاق فهمه فى كل زمان، ومكان؛ ولم يكن فى إستطاعته أن يقاومها بما فى متناوله من وسائل، وقد حاول أن يستميل هذه القوى بالتضرع تارة، وبالفن تارة أخرى.. فالإنسان حال بؤسه يلجأ غالباً إما إلى السحر، أو إلى الدين تضرعاً، أو خفية.. رغبة، أو رهبة.. وعلى هذا فإنه من العبث البحث فى كون الدين سابق على السحر، أو العكس.. وقد عرفنا أن الأساطير الإلهية كانت مفعمة بمشاهد سحرية ..

وينطوى السحر على الإعتقاد فى قوة خارقة للطبيعة قد تتركز فى أشخاص معينين، أو أشياء خاصة، ودور الساحر هو السيطرة على هذه القوة، وبعد ذلك يستعملها لفائدته، أو لفائدة االآخرين، والسحر فى الواقع علم تجريبى قد إنتظم فى عدد معين من الرقى، والرقى الموغلة فى القدم هى التى كانت تعد أكثر تأثيراً نظراً لكثرة تجربتها أكثر من غيرها على وجه العموم، وكان الساحر يقوى مفعول الصيغ السحرية باستعمال أشياء خاصة مثل العصا السحرية، والتماثيل الصغيرة المصنوعة من الشمع خاصة تلك التعاويذ التى تقدمت تقدماً عظيماً فى الوصول إلى الغاية المنشودة ..

وقد كان المصريون يلجأون إلى السحرة الذين كانوا يعدون علماء على أية حال، فقد مارس صناعة السحر الكاهن المرتل، وكذا الطبيب، أى علماء مدربون على كتب قديمة كانت كافيه لتقمص هذا العلم دون أن تكون للساحر قوة خارقة للعادة يعتقد المصريون وجودها لديهم، ومن هنا كان الساحر مميز عن غيره من الناس لا بطبيعته فقط بل بعلمه أيضاً، وكان الإنسان يستعين بالسحر فى مختلف أحوال الحياة مثل المحافظة على الجسم من المرض باستخدام التعاويذ التى كانت من أهم الصناعات الرائجة فى مصر القديمة، وكانت تصنع من الخشب، والبرنز، والفخار المطلى، واليشب، وغيره من أحجار نصف كريمة خشنة الصنع للفقراء، وقطع فنية دقيقة الصنع للأغنياء، وعلية القوم وهى مفعمة بقوة سحرية فى ظن

القوم، وتدل على صفات معنوية كالحياة، والقوة، والسعادة، والبقاء، والثبات، والجمال .. الخ، وكان بعضها تماثيل إلهية تملك قوة سحرية بالغة، وكانت توضع كتعاويذ فى القلائد، والأساور، وغيرها ..

وكثيراً ما كان السحر يختلط بالطب؛ فلم يكن يعدو الدواء بعض أوصاف سحرية، وتكاد تكون كتب الطب عبارة عن مجموعة وصفات سحرية، وكان المرض غالباً ما ينسب إلى تأثير أشباح مؤذية كان الساحر يخاطبها، ويعمل على طردها بالرجاء تارة، وبالتهديد مرة أخرى، وكثيراً ما كان الإنسان يخاف إنتقام الموتى بدليل تلك الخطابات الغريبة التى كانت تكتب للموتى فى عهد الدولة الوسطى وتوضع معهم فى القبور ..

وكان السحر يبذل أيضاً للحب، وأحلام العشق بوجود عدد عظيم من جرعات شراب الحب، وكان الخيال يلعب دوراً كبيراً فى تركيب الجرعات التى يتناولها المحب، أو المحبوب فمما يصعب فهمه مثلاً، لماذا كان لدم بنصر اليد اليسرى، أو دم القراد المأخوذ من كلب أسود تأثير حسن جداً على المرأة التى يريد الإنسان أن يستميل قلبها؟!.. فإذا كانت هذه المرأة تحب رجلاً آخر ويريد إنتزاعها ممن تحب أولاً فيستعمل الساحر تماثيل الشمع بشكل المنافس ويجرى عليها أعمالاً سحرية لحدوث الشقاق، والإنفصال بين العاشقين، ثم تكتب الصيغ السحرية التى تحدث عند المرأة أحلاماً غرامية يظهر فيها العاشق فى صورة خلابة تخضع المحبوبة لسلطانة، وتجعلها تهيم به، وكانت هذه الحيل عظيمة الإنتشار، عريقة فى القدم فى المتون المعروفة باسم "كتاب الطريقين" الذى ذكر أن مجرد تلاوة صيغة بسيطة كان كافياً لكى تقع المرأة فى هوى قارئها ..

واستخدم السحر كذلك فى الأطماع الشخصية من مناصب، وإشباع المطامع للوصول إلى مركز مرموق فى المجتمع، والحفاظ عليه.. عندما يناله الشخص لتحقيق العيش فى رغد رغم كونه لا يستحق هذا المنصب، وهذه الحياة، وذلك عن طريق عمل تمثال من الشمع، وهذه الطريقة السحرية تعتمد على قانون الإتصال النفسى (SYMPATHY) بين الإنسان، وصورته الممثلة فى التمثال، وكان دور الساحر عمل تمثالاً خشناً من الشمع، أو من الطين للعدو يتلو عليه بعض تعاويذ تجعله فى حالة خضوع تام، وقد يكتب اسمه على التمثال، واسم والديه حتى

لايكون هناك خطأ فى الشخص المقصود، حتى الملك نفسه لم يكن ليترفع عن إستخدام السحر، والسحرة ضد أعدائه، وقد يقوم الساحر بعمل السحر على أى صورة لتدفن، أو تعلق وفق شعيرة خاصة . .

وعن السحر يقول معجم الحضارة المصرية القديمة :

"يوجد السحر فى كافة المجتمعات كعنصر اجتماعى، ومن الخطأ أن نتكلم عنه فيما يختص بمصر وحدها، ولكنه لعب دوراً هاماً فى الحياة اليومية المصرية القديمة، وكان دفاعياً بصفة عامة، وعدائياً فى حالات نادرة، واستخداما لمصلحة الدولة، والمعابد، ولفائدة المرضى، ومن كانوا يخافوا الاصابة بالمرض، وكان وقاية ضد الأشباح، وضد الحوادث، ويقى الموتى من شر الشياطين فى العالم السفلى، وفى بعض الأحيان كان يضمن النصر فى المواقع الحربية، والحظ الحسن، وكانوا يزودون تاج الملك بالسحر، وكان الناس عموماً فى أماكن متناثرة يعبدون إلهاً يسمى "السحر" هو تمثيل قوة الحركة التى جعلها الإله الأول تعمل عند بدء الخليقة. ."

وانعقدت للسحر، والسحرة مباراة فى مصر القديمة بين موسى عليه السلام، والسحرة الذين جلبهم فرعون جعلت مصر القديمة دولة السحر، وليست الأسطورة التى أسكنت وادى النيل بالسحرة خطأ، فتدل القصص الشعبية، والتمائم، والتعاويذ المكتوبة التى تملأ خزائن المتاحف على أن السحر قد جاء واستقر فى أرض السحرة. .

كان السحر أولاً ايماناً مطلقاً بالقوة الخلاقة للصوت، فمجرد النطق باسم كان يخلق ذلك المخلوق، أو الشئ بما يحاكى قصص الخليقة التى تنص على أنه ما على الخالق سوى النطق باسم كل عنصر من مكونات الخلق حتى يبادر ذلك العنصر فى الحال بأن يأخذ مكانه المعين له، ومن هنا تدخل جميع الطقوس السحرية التى استخدمت التعاويذ، والصيغ، والمبدأ الثانى فى السحر هو القوة الخلاقة للتمثال الذى يمثل رجل، أو شئ ما، ينقل إلى ذلك التمثال، أو الصورة جزءاً من الشخصية الروحية لذلك الرجل، أو الشئ تمد الساحر بوسيلة للسيطرة على ذلك الرجل، أو الشئ. .

واقترن السحر بالطب أيضاً فبينما يصف الطبيب العقاقير المسكنة للألم، يهاجم الساحر سبب المرض بالنقل حيث يضع حيواناً قرب المريض فتخرج الروح الشريرة من جسم المريض لتدخل جسم الحيوان عند تلاوة بعض التعاويذ.. وبالتقمص عندما يدعى الساحر أنه إله ما يأمر الروح الشريرة بما يريد، أو ينذرها بأنه لا سلطان لها على المريض..

وكانت التماثيل، أو الصورة التى تمثل العدو تثقب بالسهام، أو السكاكين مع تلاوة تعويذة كى تصيب هذا العدو، ومن ثم اتقاء شره، أو يصب قليل من الماء فوق التمثال، أو يشرب سائل مشبع بالتعاويذ السحرية لتقى من الخطر، أو تشفى جرحاً سبق أن أصيب به الشخص، وقد تكتب التعاويذ على قطعة من الفخار، أو البردى وتوضع فى سائل يشرب لنفس الغرض..

وفى القرآن جاء حديث السحرة كالآتى :

"-قالوا لاخير إنا إلى ربنا منقلبون" الشعراء 50 ..

يتحدثون عن عالم آخر غير الذى هم فيه :

"-ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين" الأعراف 125 ..

يعرفون قيمة الصبر.. وهو قيمة دينية.. كما يعرفون الإسلام ..

"-قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا" طه 72 ..

من أين جاءهم البينات؟ ..!

لا شك أن دعوة موسى عليه السلام قد إنتشرت بينهم وسمع بها القاصى، والدانى.. ودعوة موسى هى الأقرب من أى دعوة أتتهم من قبل، فالدعوات عادة ما تندثر، ويتفرق أتباعها، ولا تحيا إلا بنبى يرسله الله مجدداً أمر الدعوة، فليس من المعقول إسلامهم، وسجودهم فجأة دون سابق علم، وبينات.. ثم هم يعرفون الله الواحد الأحد "الذى فطرنا"، ويعلمون تفاهة الحياة الدنيا بالنسبة لحياة أخرى يؤمنون بخلودها.. وهى الحياة الآخرة، ولا شك أن سكان وادى النيل كان لهم رصيد ما من التوحيد يحتفظون به رغم تعدد آلهتهم، كما كانوا يؤمنوا بالحساب فى

القبر، وما بعده ، فلم تكن دعوة موسى غريبة عليهم بحال من الأحوال.. ثم هم يندمون على منازلة موسى النبى بالسحر الذى أوهمهم به فرعون، وهو ليس بساحر بل نبى منذر، ومبشر، فضلا عن تحريم الدين المنزل للسحر لما فيه من ايهام الناس بغير الحقيقة فيقولون :

"-إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى" طه 73..

والسحرة كانوا من سكان وادى النيل.. بل كانوا من صفوة السكان.. فقد كانوا ذو مكانة، وعلم - كما أوضحنا من قبل– ومنه ندرك مدى سيطرة الهكسوس على مقدرات وادى النيل لدرجة أن فرعون يستطيع جمع هؤلاء بسهولة، ليجعل منهم بطانة له من أولى العلم الذى يناؤه به موسى :

"- فأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم" الأعراف 111 ..

كما يستطيع عقابهم هذا العقاب البشع دون أى إعتراض من الأسرة الحاكمة فى الجنوب.. فانظر إلى أى مدى كانوا متمكنين فى الوادى حتى يتحكم ملكهم فرعون فى مصير رعايا الوادى كله بهذا الشكل المهين ، فلم يكن هناك دولة أصلاً فى الوادى تدافع عن رعاياها :

"-فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم فى جذوع النخل" طه 71 ..

وقد تحدثنا عن دور السحر، والسحرة فى حضارة وادى النيل القديمة، وذكرنا أنهم كانوا صفوة علماء المصريين؛ والمسموح لهم بالإتصال بالعامة من دون الكهنة ساكنى المعابد، وكانوا يرتزقون من هذه المهنة، ويجيدونها بعد أن يتربون عليها فى مدارس خاصة ملحقة بالمعابد.. حتى أن موسى نبى الله نفسه أوجف فى نفسه خيفة من سحرهم :

"-فأوجس فى نفسه خيفة موسى" طه 67..

"-قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى" طه 68..

ويصف القرآن قومهم فى سحرهم :

" -فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم" الأعراف 116 ..

ونستشف هنا الفرق بين نظام الدولة فى الحفاظ على القيم رغم تحريفها، ونظام البداوة فى تبديد القيم رغم تجديدها.. فهؤلاء البدو تكررت فيهم الدعوة بإبراهيم، ثم يوسف، ثم موسى، وهارون عليهم السلام جميعاً ومع هذا يردون عليهم:

"-ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين" القصص 36 ..

ويصفهم موسى عليه السلام :

"-إن هؤلاء ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى ومانحن بمنشرين" الدخان 35 ..

"-إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب" غافر 27 ..

كما وصف يوسف عليه السلام ملتهم من قبله :

"-إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون" يوسف 37 ..

ويبدو من سياق الآيات التى يتحدث فيها السحرة عن سر سجودهم المفاجىء لله، والإيمان به دون إستشارة فرعون الذى جلبهم، ووعدهم بالأجر الجزيل، وأنهم سيكونون من بطانته المقربة :

"-قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين" الأعراف 113 ..

ندرك من الحوار مدى تشربهم دعوة موسى عليه السلام، ومدى إتصالهم الوثيق به.. فيبدو أنه كان مسموحاً بهذا الإتصال من قبل فرعون، ولا عضاضة فيه، وهو مااحتج به عندما فاجأوه بالسجود :

"-أآمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر" طه 71..

يقصد موسى عليه السلام فيما كان يأتيه من آيات تنذر فرعون، وآله من جراد، وقمل، ودم، وخلافه، ويشتم أيضاً رائحة المؤامرة كعادة الطاغية فى كل

مكان، وزمان يتوقع المؤامرة باستمرار من أى ممن يحيطون به حتى أقرب الناس إليه :

"-إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها" الأعراف 123..

وتثبت الآيات مبلغ دعوة موسى فيهم، ومدى صلتهم الوثيقة به حتى أنهم استهانوا بمهنتهم، واستحرموا خداعهم للناس بها لتحصيل الرزق، ورغم أن فرعون جلبهم للوقوف معه ضد موسى، وسحره – من وجة نظره - إلا أنهم رفضوا مجابهة موسى فى مهنة، وعلم يعرفون سر خداعه للناس مسبقاً؛ وأن موسى سيكشفه أمام الناس المخدوعين بهم، وبسحرهم وقد هزهم تحذير موسى لهم :

"-ماجئتم به السحر ان الله سيبطله" يونس 81..

يعنى هناك علم فعلاً قائماً بذاته، وله أصوله وهو السحر، ولكن من فى زمان ما، أو مكان ما استطاع أن يبطل سحراً إلا بإزالة أسبابه.. ولكن موسى مؤيداً من إلهه يستطيع إبطال سحرهم حيث يهيب به :

"-وألق مافى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى" طه 69 ..

فأى سحر يستطيع تحويل العصا إلى ثعبان.. أما أن يكون ثعباناً، أو حية بهذه الضخامة، ثم تلتهم ما أمامها من حيات، وثعابين صغيرة فهذا خارج نطاق السحر، وهو ما أدركه السحرة المخضرمين فى مهنتهم، ولا يصنع مثل هذا إلا من هو مؤيد من قوة أعلى مطلقة تهيمن على الأشياء. وأن فرعون هذا ليس إلا بشراً محدود القدرة لايجيد سوى الصلب، والتعذيب كباقى الطغاة فى كل زمان، ومكان.. فاستهانوا به؛ وهم العلماء صفوة حضارة وادى النيل ..

الأهرامات.. وعاد ارم

يثور لغط شديد، وجدل عميق حول بناة الأهرام، وكيفية بناءها ..

هل بناها ملوك مصر القدماء خوفو، وخفرع، ومنكورع كما هو شائع؟!.. وماهذه الحجارة الضخمة التى استخدمت فى البناء؟ ..!

وهل تم نقلها بالطرق المألوفة؟ ..!

واذا كان الغرض من بناءها هو الدفن.. فأولى أن يعيش هؤلاء البناة فى قصور تتناسب وفخامة مقابرهم.. فالعادة أن يعيش الملوك فى القصور الشاهقة، ويدفنون فى مقابر عادية.. بل ان كثيرا من الملوك المشهورين فى التاريخ بأعمالهم الفذة لاتعرف لهم مقابر بالمرة مثل الاسكندر الأكبر مثلا ..

فأين مساكنهم التى هى بهذا الوصف؟!.. والتى تضاهى الأهرام، أو هى أضخم..

واذا كان هذا حال ملوك الدولة القديمة.. فلماذا اتخذ ملوك الدولة الحديثة المغارات، والكهوف المنقورة فى تلال البر الغربى من النيل مقابر لهم؟!.. أم اتخذوا من الجبل الذى نقروا فيه قبورهم هرما مشتركا غرب النيل فى الأقصر، واكتفوا بذلك؟..!

أليس مبكرا جدا زمن هذا البناء الهندسى المتقن الذى عاش كل هذه الآلاف من السنين دون أن ينهدم منه الا الطلاء الذى كسى به.. بل بقى جزء منه بالنسبة لحياة الانسان على الأرض، وتطوره الحضارى، والمعمارى خاصة أنه الوحيد من عجائب الدنيا السبع الذى ظل قائما بعد سقوط باقى العجائب منذ زمن بعيد؟..!

ان تطور بناء الأهرام من الهرم المدرج – أول الأهرامات تاريخيا كما يذكر المؤرخون – الى بناء الهرم الأكبر بهذا الاعجاز المعمارى الباقى عبر السنين يعتبر تطورا مفاجئا، وليس سريعا على حضارة بشرية كانت لاتزال فى مهدها، ولايمكن أن يبلغ بها الطموح نحو هذا البناء بهذه القوة مهما كانت قوة بقاء الدار الآخرة فى عقيدتهم.. والتى تجاوزت حدود الممكن بالنسبة لقوة انسان هذا العصر الذى يمكنه حمل آلاف.. بل ملايين الأحجار التى يستطيع حملها بمفرده(مثل حجارة المساجد فى مصر الاسلامية) ، وليس حجرا يزن عشرون طنا، ولماذا؟!.. وهو لايطيق هذا،

وليس مجبرا عليه.. خاصة أن الهرم الأكبر بالجيزة ليس هرما مصمتا كباقى الأهرامات.. بل تتخلله حجرتى دفن تقعا فى منتصف الهرم تقريبا، مع مايوصل اليهما من ممرات ضخمة، وممرات ضيقة كما يبدو فى الشكل (1، 2 ..(

فى تسعينيات القرن العشرين أشار "روبير بوفال"، و"أدريان جلبرت" فى كتابيهما "سر كوكبة الجبار(الجوزاء)" الى أن أهرامات الجيزة الثلاثة تطابق نمط النجوم الرئيسية الثلاثة فى حزام كوكبة الجبار.. وعند رصد هذه النجوم وجد أن لمعان أحدهم(دلتا الجبار) يقل لمعانه عن النجمين الآخرين، وينحرف أيضا عن مستواهما.. فاذا تأمانا هرم منكاورع من الجو(شكلى 4،5) نجده أقل حجما من الهرمين الآخرين لانحرافه عن مستواهما، وهى صورة مطابقة لما فى السماء، وليس مصادفة أيضا أن تقع الأهرامات الثلاثة غرب النيل.. فنجوم النطاق تقع غرب نهر المجرة(الحزام المجرى) وهى الحزمة الضبابية التى تقطع السماء من الشمال الى الجنوب تماما(شكلى 3،4..(

مخطط لحجرات وممرات الهرم الأكبر بالجيزة، وهو الهرم الوحيد فى ذلك..

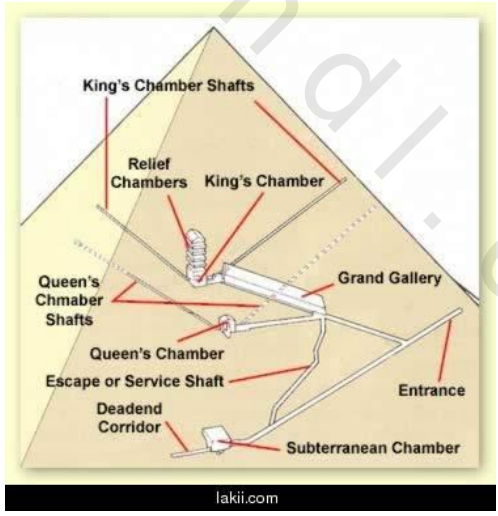

أحد الممرات الضخمة بالهرم الأكبر..

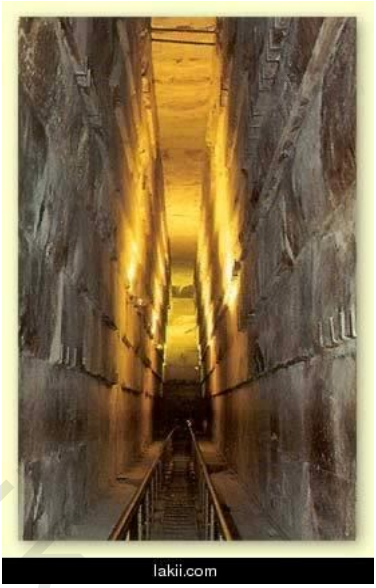

زار هيرودت مصر فى القرن الرابع قبل الميلاد.. أى بعد 2000 سنة تقريبا من بناء أهرامات الجيزة الثلاثة.. ونقل كل ماقاله الكهنة، والرواة عن هذه الأهرامات، واستقى منه علماء المصريات الأجانب كل ماهو معروف من معلومات عن أهرامات الجيزة، وظلت هذه المعلومات هى كل مانعرفه عن هذه الأهرامات حتى وقتنا الحالى..

زالت كسوة الهرم الأكبر التى شيدت من الحجر الجيرى الأبيض المقطوع من محاجر طرة، ويبلغ طول قاعدته 227.5مترا، وارتفاعه الحالى 137 مترا.. فيكون حجمه 2.5 مليون من الأمتار المكعبة، أما عدد أحجاره فيبلغ نحو 2.3 مليون.. حيث يزن الحجر 2.5 طنا، وبذلك يكون وزن الهرم نحو ستة ملايين طنا، واذا ماعلمنا أن سنى حكم الملك "خوفو" الذى يعتقد أنه بانى هذا الهرم لم تتجاوز العشرين عاما أدهشنا هذا المجهود الضخم الذى بذل فى تشييد هذا الهرم، وراعنا بحسبة بسيطة استحالة ذلك على من هم على شاكلتنا فى الحجم، والمجهود.. فعشرين سنة تبلغ 7300 يوما، ولو قسمنا عدد الأحجار على أيام البناء.. لكان لزاما عليهم أن يقوموا يوميا بقطع، وشطف، وتشذيب، ونقل، ورفع، وتثبيت 315 حجرا بما يزن حوالى 788 طنا بواقع 13 حجرا فى الساعة الواحدة بما يزن 33 طنا.. يعنى قطع، وشطف، وتشذيب، ونقل، ورفع، وتثبيت حجرا واحدا كل

22 دقيقة، على زعم أن العمل استمر طوال أيام السنين العشرين لمدة 24 ساعة فى اليوم بلا توقف.. فاذا ماقيل ان العمل كان فى شهور الفيضان فقط لاحتاج العمل بالمعدلات المذكورة الى 60 عاما من البناء، وليس 20 اذا ما اعتبرنا أن شهور الفيضان أربعة.. أما اذا كان عشرين سنة كما ذكر فيحتاج العمل 945 حجرا يوميا بما يزن 2363 طنا بواقع 39 حجرا فى الساعة بما يزن 98 طنا.. بمعنى رفع حجر كل 7 دقائق تقريبا.. فهل هذا من الممكن قبوله فى هذا الزمن البدائى لأى انسان كان، وبأى عدد؟..!

كل هذا ولم يدخل العامل الاقتصادى فى الحساب.. حيث نجد مسجد "السلطان حسن" فى العصور الوسطى من أكبر آثار مصر الاسلامية، والذى يعتبر المؤرخون أنه يضاهى الهرم الأكبر من آثار مصر القديمة، وتم بناءه خلال عشرين عاما تماما مثل الهرم الأكبر مع الفارق بسبب تكاليف البناء التى كانت تستنفذ خزانة مصر فى ذلك الوقت، وكذلك مسجد محمد على بالقلعة فى العصر الحديث الذى شيده خلال أكثر من عشرين عاما لنفس السبب.. فما بـــال الهرم الأكبر فى بلد ناشىء، محدود الموارد، مفتوح من الجهات الأربع لأى غزو، وقد لايخلو من الأجانب عند أطرافه الشرقية، والغربية، والجنوبية، والتى قد تعوق سيطرته على موارده من الأحجار، والرمال، والمعادن، ومايترتب على ذلك من ادارة قوية، وحازمة، ومالية ضخمة، ومنظمة، واعداد الجيوش، ورعايتها، وتسليحها، وتدريبها، والدفع السريع بها وقت اللزوم الى الشرق، والغرب، والجنوب حيث الأعماق الاستراتيجية لهذا البلد فى ذلك الوقت الذى تقلص الى عمقى الشرق، والغرب فقط فى العصور الوسطى بعد دخول الاسلام، والى عمقى الشمال، والشرق فى العصر الحديث ..

من النظريات التى وضعت لتفسير بناء الهرم الأكبر نظرية المصاطب الرملية التى تجر فوقها الحجارة حيث حدد العلماء ارتفاعات الرمل بما لايزيد عن 10 أمتار ثم تنهار الجوانب بعد هذا الارتفاع.. فلكل مادة جافة متناثرة زاوية انسياب ..Angle of reposeوهو لاتتجاوز 34° بالنسبة للرمل الجاف حيث لايمكن رفع الرمال لاتفاع الهرم بدون جوانب أسمنتية، أو حوائل حجرية.. واذا ماتم ذلك فسوف تردم منطقة بمساحة كبيرة جدا بالكامل بالرمال، ثم ازالته من جديد، وهو

مستحيل الانجاز خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار سريان مياه النيل، و تتكرار هذه العملية مرارا ..

نجوم كوكبة الجبار، وتظهر نجوم الحزام الثلاثة فى الوسط..

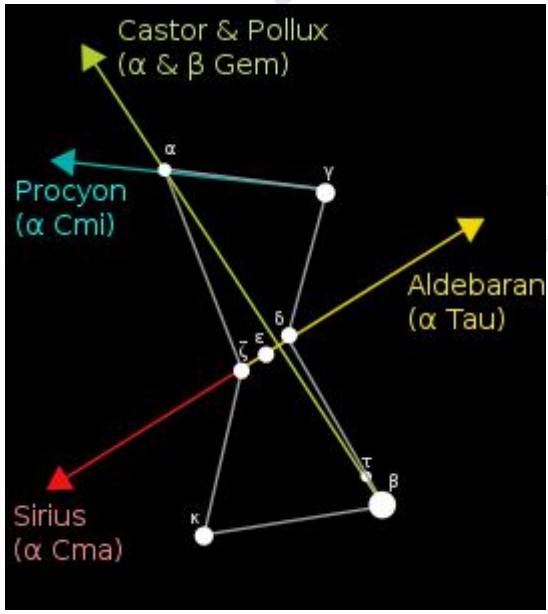

فهل نستطيع أن نجزم بوجود حضارة سبقت الحضارة المصرية القديمة تميز مقيموها بالأجسام الضخمة، والبنية القوية، والهمة الخلاقة، والعقول الجبارة.. ولم يهتموا كثيرا بالتسجيل عندما غرقت حضارتهم فى المادية المغرورة بغشم القوة، والنظر الى الخلق نظرة دونية كما استشعرهم الكاتب مصطفى محمود فى شطحاته الفكرية التى شبه فيها أمريكا الحديثة، ورعاة البقر الذين أقاموها بعاد، ولكنه أطلق عليهم عاد الثانية لما لهم من قرابة فى الأفكار المتطرفة، وغشم القوة.. ففى القرآن:

"-وأنه أهلك عادا الأولى" النجم 50..

ومن أجل ذلك ستأتى عاد الثانية فى آخر الزمان..فالنظام الأمريكى ينفرد بالعالم، ويحاول تشكيله على هواه، ويتحكم فى البشر بلا منافس، ويسخر كل شيء من أجل مصالحه، ومعه اسرائيل.. ويغزون الدول الضعيفة بآلاتهم العسكرية الجبارة المتمثلة فى راجمات الصواريخ، والقنابل الفوسفورية، والعنقودية، والذرية الصغيرة التى تولد درجات من الحرارة تهلك الحرث، والنسل، وتكفى لصهر البشر، ومعداتهم التى يدافعون بها عن أنفسهم.. تماما كما كانت عاد الأولى تقهر الناس بأجسامهم الفارعة، وقوتهم الغاشمة:

"-واذا بطشتم بطشتم جبارين" الشعراء 130..

وقبل ذلك بنى النظام الأمريكى ناطحات السحاب الضخمة، والمصانع العملاقة.. كما يمكن أن نعزو كل المبانى الضخمة فى العالم القديم بين أعالى دجلة، والفرات، وأعالى النيل من أهرامات، وثمائيل، ومعابد الى هذا النوع من الخلق البشرى الذى لم يظهر له مثيل:

"-ألم تر كيف فعل ربك بعاد(6) ارم ذات العماد(7) التى لم يخلق مثلها فى البلاد(8)" الفجر..

واسم السورة الفجر.. فجر التاريخ البشرى على الأرض بعد الطوفان.. والتعبير عن الماضى بالفعل المضارع المبنى للمجهول"يُخلق" فى اللغة القرآنية تقطع بأن الله لم يخلق بشرا بهذه الكيفية العملاقة على الأرض، وهو ينعى عليهم تبديد جهودهم الجبارة، وأموالهم الغزيرة:

"-أتبنون بكل ريع آية تعبثون(128) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون(129)" الشعراء ..

وقد أعطى الله النظام الأمريكى الحديث أرضا بكرا بخيراتها، وأنهارها، وثرواتها.. كما أعطى عادا من قبل:

"-واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون(132) أمدكم بأنعام وبنين(133) وجنات وعيون(134)" الشعراء..

ان احدى المسلات تزن 323 طنا.. وهى مسلة حتشبسوت التى تعد من أضخم المسلات ..

"-ألم تر كيف فعل ربك بعاد (6) إرم ذات العماد (7) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (8) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (9) وفرعون ذى الأوتاد (10) الذين طغوا فى البلاد (11) فأكثروا فيها الفساد (12)" الفجر..

وسياق الآيات هنا فى سورة الفجر إذا أخذت كلها نستطيع أن نلحظ أن ثمود، وفرعون رغم إفرادهما قد اتبعتهم الآيات بكلمة "الذين" التى تدل على الجماعة التى تتبعهما ، بينما اتبعت "عاد" بكلمة "التى" وهى تدل على المفرد.. إذا فكلمة "التى" حسب سياق الآيات لا تعود إلى "عاد" بل إلى "إرم" وهى مدينتهم – كما يقولون – والتى ذكر القرآن أنها بالأحقاف، والتى يجمعون على أنها بين عمان، وحضرموت، أو الربع الخالى الذى لا يصلح لأى حياة، ويعتقدون أن مدينة "إرم" هذه مدفونة، وهو ما لا يتوافق مع صريح القرآن الذى يقرر وجود مساكنهم:

"-وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم" العنكبوت 38..

أهرام الجيزة الثلاثة من الجو بنظام ترتيب كواكب حزام كوكبة الجبار..

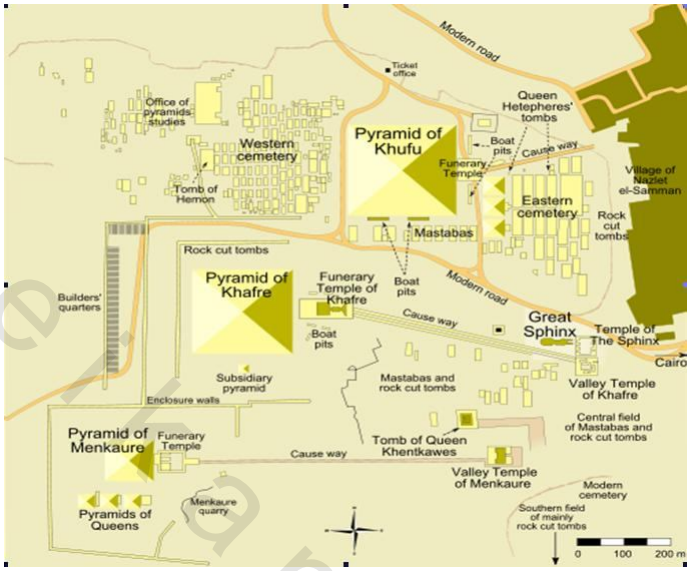

بمعنى أنها موجودة، ومرئية، ومنظورة.. ومدائن صالح (قوم ثمود) موجودة، وقد أكد وجودها على الطبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث المعروف.. يقول الامام الطبرى:"ان من يظن أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون عادا، أو ثمودا فانه على وهم وخطأ .."

"-أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون" السجدة 26..

"-وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال" ابراهيم 45..

أما بخصوص "فرعون والاوتاد" التى يقولون عنها إنها أهرام ملوك الأسرة المصرية الرابعة.. فسياق الآيات بعدها يتحدث عن الطغيان، والفساد وهو ما يتفق بداهة مع طريقته فى التعذيب التى كان يشد فيها الضحية بالأوتاد على الأرض، أو كما توعد السحرة الذين آمنوا مع موسى، وهارون عليهما السلام بصلبهم فى

جذوع النخل، وحرف الجر المستخدم "فى"، وليس "على".. بمعنى أن يكون الجذع، والضحية شئ واحد بطول الضحية فيبدو كالوتد المغروس فى الأرض ..

"-أتبنون بكل ريع آية تعبثون(128) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (129)" الشعراء..

بناء كالجبل ليس له فائدة.. وقد شيدت كل الأهرام المبنية فى مصر فوق تلال.. وكانوا يبنون فى كل مكان بناءا ضخما ليكون آية، وشاهدا على قوتهم.. وليس عن احتياج له.. بل لاظهار مالديهم من ثراء، وقوة، وكذلك اتخذوا المصانع، وهى البروج المشيدة، أو مآخذ المياه، ويبالغون فى ضخامة كل مايقيمونه من مبان من أجل الخلود فى الحياة الدنيا، نظرا لقوة أجسامهم، ومبانيهم، ولكنهم لم يسجلوا شيئا لاعتقادهم فى استحالة زوالهم من الدنيا كغيرهم من الخلق ذات الأجسام العادية، وأن هذه الآثار، والمساكن لابد أنها دالة عليهم دون غيرهم ..

"-وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم وكنا نحن الوارثين".. القصص 58..

"-أولم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى" طه 128..

"-فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد" الحج 45..

"-كأنهم أعجاز نخل منقعر" القمر 20..

"-كأنهم أعجاز نخل خاوية" الحاقة 7..

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح وزادكم فى الخلق بسطة" الأعراف 69..

"-واذا بطشتم بطشتم جبارين" الشعراء 130..

-تم اكتشاف104 - 110 هرما مابين الجيزة، والنوبة جنوب مصر حتى الآن.. وهناك 65 هرما مدفونة فى الرمال.. يرجح أنه تم وقف العمل فيها فجأة؛ رغم عدم اختفاء الحضارة المصرية فجأة، وقد يرجع هذا الى ماوقع لقوم عاد من

عذاب.. فاختفت هذه الأهرام، وطمست بسبب الريح التى سخرها الله عليهم، ولم يصب بها أتباع نبيهم هود عليه السلام:

"-وأما عاد هأهلكوا بريح صرصر عاتية(6) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما(7)" الحاقة ..

رأس أبو الهول عبارة عن قطعة حجرية واحدة يقدر وزنها بألف طن(مليون كيلو جرام) تحتاج 7 طائرات جامبو لتحريكها، ورفعها.. وثارت ضجة بين علماء الآثار بعد ازالة الرمال عنه بسبب خلو أكثر التماثيل من أى نقوش، أو كتابة.. فى الوقت الذى لم يترك فيه قدماء المصريين تمثالا، أو معبد، أو مقبرة بدون كتابة، أو نقوش، والتمثال عبارة عن رأس انسان على جسم أسد.. يعنى رمزا للقوة العقلية، والجسمانية التى تميزوا بها:

"-وقالوا من أشد منا قوة" فصلت 15 ..

والغريب أن قدماء المصريين لم يقلدوه فى مكان آخر، ولم يدونوا شيئا عليه، ولم يدع أحد ملوكهم بناءه، ولانقش اسمه عليه ولو بالزور.. الا أن علماء الآثار، والمؤرخون درجوا على أن ينسبوا أبو الهول – وهو اسم لايمت بأى صلة للغة الحضارة المصرية القديمة.. بل هو اسم سامى آسيوى أتى من خارج مصر – الى الملك خفرع، ويقع هذا التمثال فى الجهة الشمالية من نهاية الطريق الطويل الممتد بين المعبد الجنائزى(بجانب هرم خفرع)، ومعبد الوادى الذى كان يقام جهة النهر، وهو محفور فى قطعة واحدة نحتت من صخرة محلية، ولكن الناظر اليه الآن لايصدق ذلك، والسبب أنه تم ترميمه فى عصور مختلفة، ويبلغ طوله 46 مترا، وارتفاعه من الأرض الى قمته 21 مترا..

أما تاريخ نحته فقد اختلف فيه المصريون أنفسهم، فهناك نقوش متأخرة تدل على أنه نحت فى عهد الملك خوفو، ولكن البحث العلمى برهن على أنها نقوش دخيلة من عصر الدولة الحديثة، ومابعدها، وقد غالى بعض المؤرخين فقال ان هذا التمثال قد نحت فى عصر ماقبل الأسرات، ولم يعثر على تاريخ، أو نقش معاصر له يدل على زمن نحته بالضبط، ولهذا يعده الأثريون لغزا من ألغاز التاريخ المصرى.. وقد بثت قناة الجزيرة الوثائقية حديثا فيلما سجله الباحث الفرنسى دكتور "فاسيل

دوبريف(14)" بالمعهد الفرنسى للتنقيب عن الآثار بالقاهرة بعنوان "من بنى أبو الهول؟".. ينفى فيه بالبحث طيلة عشرين عاما نسبة أبى الهول الى الملك خفرع بملاحظة أن الطريق الواصل بين المعبد الجنائزى لهرم الملك خفرع، ومعبد الوادى قد انحرف عن مساره خلف أبى الهول(شكل5).. مما يدل على وجود أبى الهول أثناء بناء هرم الملك خفرع، ويعزى بناء أبى الهول الى ابن الملك خوفو المدعو "ددف رع" الذى تولى الحكم بعده مباشرة، وقبل الملك خفرع، وقد نحت التمثال بملامح أبيه الملك خوفو الذى قارنها بتمثاله الوحيد الموجود فى المتحف المصرى تخليدا للملك فى الدنيا، وتدعيما له فى العالم الآخر.. حيث ورث مملكة قد أصابها الاعياء من بناء الهرم الأكبر الذى استهلك موارد الدولة، وقوتها الجسدية.. ولكن هل بعد هذا يقرر خفرع بناء هرمه أيضا بمزيد من الاستنزاف فى القوة، والموارد؟ ..!

ويعتقد أن أبا الهول استمد اسمه كما ذكرنا من قوم من الكنعانيين(الساميين الآسيويين) سكنوا هذه المنطقة أواخر الأسرة الثامنة عشرة(عصر الدولة الحديثة)، وقد نقلوا معهم عبادة الههم "حورون"، أو "حورونا"، أو "حول" من سورية، وكانوا يمثلونه بشكل صقر.. فأطلقوا على المكان الذى فيه التمثال "بر - حول"، أو "بيت – حول"، ثم جاء التحريف الى ابى الهول، وهو مايقدح فى نسبته كليا لقدماء المصريين مع الأخذ فى الاعتبار قدم التمثال لما قبل عصر الأسرات المصرية كما ذكرنا سلفا استنادا الى آراء بعض المؤرخين.. ومن ناحية أخرى فقد درج قدماء المصريين على تمثيل آلهتهم بجسم بشرى، ورأس حيوان، وليس العكس كما هو الحال فى تمثال أبى الهول الذى يرجح المؤرخون أنه كان الها يعبد، وقد بنى له معبدا خاصا أمامه ..

ومن هنا يمكننا تقسيم التاريخ المصرى الى تاريخ صامت، وتاريخ مكتوب.. فالأهرام، وأبو الهول المنسوبين لعصر الأسرة الرابعة عن طريق التلفيق من هيرودت الذى وثق كلاما سمعه، واعتمده علماء المصريات الأجانب قد خلا تماما من النقوش حتى تاريخ هذه الأسرة(الرابعة) التى ظهرت آثارها التى نسبت لها ملساء من الكتابة، والتسجيل ..

"-وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم" العنكبوت 38..

"-فأصبحوا لايرى الا مساكنهم" الأحقاف 25..

فأين هى مبانى قوم عاد التى تركها الله عبرة لنا، ودليلا على قوتهم، وعلى قدرته سبحانه، وتعالى على خلق طائفة من البشر ببسطة فى الجسم، والعلم ليذكرنا بخلق أبينا آدم عليه السلام على هذه الهيئة من قبل اذ لابد أن تكون آثارهم على قدر قوتهم، وعلمهم:

"-ألم تر كيف فعل ربك بعاد(6) ارم ذات العماد(7) التى لم يخلق مثلها فى البلاد(8)" الفجر ..

الطريق بين المعبد الجنائزى، ومعبد الوادى لهرم خفرع وقد انحرف عن مساره خلف أبى الهول، ويظهر المعبد الخاص بأبى الهول أمامه مباشرة بجوار معبد الوادى لهرم خفرع..

openkandil.com

فقد ذهب المفسرون مذاهب شتى نحو عاد "ارم" الذى ادعى بعضهم أنها مدينتهم التى تسمى "ارم" واختلفوا أين تقع(شكل6)، وهو جد قبيلتهم، ونسوا كيف يخلق الله بشرا بهذه البسطة فى الجسم، والعلم، ولايكونوا جوابين سائحين فى الأرض بامكانيات أجسامهم القوية، وعقولهم الفذة.. فكيف تكون لهم مدينة تحدهم.. يستقرون فيها، فلم يدرج البشر العاديين على ذلك.. بل ان منهم من جابوا البحار، والقفار، ومنهم من استقر فى أكثر من مكان، واتخذوا أكثر من مستعمرة.. مع أن سياق الآية فى غاية الوضوح، فالله تعالى قد ميزهم عن باقى البشر مثلهم على الأرض، وهم ذات الأصل الواحد، أو الأب الواحد، والأم الواحدة.. فهى طلاقة قدرته تعالى.. فيصفهم بالعماد.. فلهم قامات كالنخل تميزوا بها عن سائر البشر العاديين الذين لاشك أنهم كانوا موجودين معهم، وليست مدينتهم ذات العماد.. حيث وجدت المدن ذات العماد فى أماكن شتى على الأرض.. فأى منها مدينتهم، وكيف لاتكون كل هذه المدن قد أقاموا فيها المبانى الضخمة التى تتشابه أعمدتها، وارتفاعاتها، وطرزها المعمارية.. ويؤكد سبحانه، وتعالى أنه بما ميزهم بأجسام كالعماد التى أقاموها فى كل مكان ذهبوا فيه.. فانه تعالى لم، ولن يخلق مثيلا لهم فى سائر بلاد الأرض، وهو مالم يرد فى السير، والآثار من أقوام بقاماتهم على مر الزمان.. وكلمة "يخلق" من الخلق، وهو للبشر فقط، وليس للمدن التى يقيمها العباد فى العادة، ولاخيار بينها.. فالمدن لاتقارن؛ لأن كل مدينة لها مايميزها عن غيرها سواء من حيث المساحة، والسكان، والمعالم، والموقع، وغير ذلك..

فى ابن كثير، والقرطبى:

-ذات العماد.. الأبنية المرفوعة على العمد، وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور.. وفى لسان العرب.. الأبنية الرفيعة ذات الطول ..

-الإرم.. العلم(مفرد أعلام).. وفى لسان العرب.. حجارة تنصب علما فى المفازة(الصحراء)، والجمع آرام، وآروم.. مثل ضلع، وأضلاع، وضلوع..

-الأحقاف.. فى اللسان جمع حقف وهو الجبل من الرمل، وهو مااستطال من الرمل كالجبل، واعوج، ولم يبلغ أن يكون جبلا، ولها معنيين فى اللغة:

*مااستطال من الرمل، ولم يبلغ أن يكون جبلا.. وليس بالضرورة اطلاق الاسم على المنطقة المعروفة جنوب شرق الجزيرة العربية تحديدا.. بل من الممكن أن يطلق اسم الأحقاف على أى مكان به رمل عظيم..

*تدل على الماء.. ففى بلاد الشام كانت مصر تسمى حقفة.. أى بلاد الماء نظرا لأوديتها(وادى النيل..(

"-فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم" الأحقاف 24..

لماذا لاتكون كلمة أحقاف وصفا لمكان، وليس اسما لمكان.. فلم يهتم القرآن عادة بتحديد أماكن من نزل بهم العذاب.. حتى لاينصرف الذهن عن العبرة، والموعظة الى البحث فى الزمان، والمكان اللذين لم يذكرا تحديدا، الا بالاستنباط، والدلائل، ومقارنة الحوادث، والآثار قديما، وحديثا، وقد استقر الأمر لدينا أنهم كانوا جوابين كباقى العرب، وانتشروا فى الزمان، والمكان، ويبدو من الآيات القرآنية أن هودا عليه السلام لم يكن النبى الوحيد الذى ارسل اليهم، أو فى وجودهم:

"-واذكر أخا عاد ان أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله" الأحقاف 21..

فيتضح من الآية أن هودا كان آخر من أنذرهم، وهو لكى ينذرهم فلابد أن يكون ذلك فى مكان معين استقروا فيه بعد الانتشار، والترحال، ولتكن الأحقاف هى المكان المحدد بهذا الاسم الآن، أو غيره كما أسلفنا.. وقد يكون هؤلاء الجوابون قد صادفوا رسلا فى البلاد التى ارتادوها.. كما يقول القرآن عنهم، وعن ثمود:

"-فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود(13) اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم(14)" فصلت..

يعنى جاؤهم لأنفسهم خاصة، أو لغيرهم.. فرأوهم، وعاشروهم فى ترحالهم..

بينما يقترح أحد المحققين حلا بالجمع بين المكانين يلجأ اليه المدققين حين تختلط الآثار لأحد الأقوام فى أكثر من مكان فيرى أن المسافة بين شمال العراق حيث

عاش سام، وآرام وبين شرقى سيناء، أو شرقى خليج العقبة – كم سنذكر فيما بعد - تبلغ حوالى 1000 كيلو متر، وهو المكان المقترح لقوم عاد بعد قوم نوح، والذين خلفهم قوم ثمود فى نفس الدائرة تقريبا كما بين الترتيب القرآنى فى الزمان، والذى يمكن أن يمتد فى المكان أيضا.. أما المسافة من شمال العراق الى حضرموت، وهو المعتقد الوهمى لمكان تواجد عاد تصل الى 3500 كليو متر.. فطبيعة ارتحال القبائل يجعل عادا تعيش فى شمال الحجاز شرقى خليج العقبة، وتطلق اسم جدها آرام بن سام على هذه الأماكن، ومرت أربعة أجيال أخرى ليولد فيها "الخلود"، ثم "رباح"، ثم "ناحور"، ثم "عبد الله"، ثم "هود" ليؤدى هذا التكاثر الى التدافع نحو الجنوب بحذاء الساحل حتى وصلت الى اليمن السعيد، ومن المؤكد أن عدن كانت مكتظة بأهلها لخصوبتها.. فآثر القادمون السكنى شرقى عدن فى الأحقاف العروفة بهذا الاسم حاليا شمال حضرموت، وان ظلوا يسمون أنفسهم "عادا" على اسم جدهم الأول(9).. كما هو مخطط فى الخريطة(شكل 6 ..(

وقد عثر فى شمال حضرموت على آثار عليها كتابة بالخط المسمارى، وهو مايدل على قوم قدموا من الشمال الذى تميز تاريخيا بهذا الخط ..

وقوم عاد من الأمم الآرامية.. فسميت "عاد ارم"، واختلط على المفسرين، والمؤرخين لفظ "ارم" الذى ظنوا أنه مدينة فى"تيه آبين" بين عدن، وحضرموت، أو اليمن، وذهب بعضهم انها "الاسكندرية"، وقال آخرون انها "دمشق"، لأن ارم من أسماء دمشق بالعبرانية، وكانت مركزا للارميين(الآراميين)، وعاصمة من عواصمهم، ولعلها الفكرة التى أوحت الى النسابين جعل عادا من نسل "عوص بن ارم"، وأصبحت عاد من الآراميين.. وأما الاسكندرية فقد ظنوها ارم القديمة من أثر قصص الاسكندر فى الأساطير اليمنية التى ذكرها كتاب "التيجان" لوهب بن منبه.. ففى الرواية حاول الاسكندر احتلال اليمن.. فغدا "شداد بن عاد" بانيا للاسكندرية، والاسكندر مكتشفا لها.. وقد بالغوا فى فخامة المدينة، وعظمتها عندما رأوا أبنية الروم فى الشام، وأبنية قدماء المصريين، ومعابد الأقصر، وأسوان مثلا فى الضخامة، والأبهة.. فاعتقدوا أن مدينة عاد ستكون أضخم، وأفخم، وأعظم.. والصحيح أن ارم اسم القبيلة.. فقالوا "عاد ارم"، مثلما قالوا "ثمود ارم".. والقبائل البائدة كلها عند العرب من نسل ارم، ويعرفون "بالأرمان".. وعاد، وثمود اللذان

جاء ذكرهما فى القرآن من أحفاد "ارم بن سام بن نوح".. ويبدو كما ذكرنا فى الفصل السابق أن "العماليق" أحفاد قوم عاد الذين عاشوا فى مصر، وماحولها من جهة الشرق ردحا من الزمن قد خلفوا أجدادهم الذين سبقوهم الى مصر منذ عدة قرون.. كما تذكر الكتب، والمراجع العربية، ومصادر التراث، والتاريخ الاسلامى أن العماليق قد حكموا مصر، وعدهم ابن خلدون من العرب القدماء؛ فيقول:

"-عاد، وثمود، والعماليق، وأميم، وجاسم، وعبيل، وجديس، وطسم هم العرب.."

وقد ذكر اليونانيون ضمن جملة قبائل اليمن حوالى تاريخ الميلاد قبيلة يكتبونها بلسانهمAdramitai ويريدون بها العادرميون، أو العاديون على حد قول أحد المؤرخين(7).. بينما ذكر آخر(8) أن قوم عاد من الأعراب الذين سماهم بطليموسOaditae على أنهم كانوا يقيمون فى الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب.. لعلها موضع "بئر ارم" من الآبار القديمة فى منطقة "حسمى" على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم فى "ديار جُذام" بين "أيلة"، و"تيه بنى اسرائيل".. وهو موضع لايبعد كثيرا عن أماكن تواجد ثمود الذين ارتبط اسمهم بعاد فى القرآن، وهو من أقرب الآراء الى الصواب باتفاق جماعة من المستشرقين..

وقد أجريت حفريات قامت بها دائرة الآثار فى المملكة الأردنية الهاشمية سنة 1932 عند موضع "جبل رم" الذى يقع على بعد 25 ميلا شرق العقبة عند واد على مقربة من عين ماء أكدت أن المكان هو موضع ارم الوارد ذكره فى القرآن؛ والذى حل بها الخراب قبل الاسلام، ولم يتبق منها بعد الاسلام غير عين ماء كان ينزل عليها التجار، وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام - مصر – الحجاز.. وتمتلأ الكتب العربية بأسماء محلات أخرى قديمة.. عثر فيها على نقوش، وتماثيل وصفت بأنها من مساكن قوم عاد..

وكلمة "الأحقاف" التى ذكرت فى القرآن مقرونة بقوم عاد، ولم يقتصر الأمر على الكلمة.. بل ارتفع رصيد الكلمة من التصديق لتكون اسما لسورة من سور القرآن الكريم جعل الاخباريون يلتمسون مواضعهم التى حددوها لقوم عاد فى الصحارى، فوضعوا القصص، واختلقوا الروايات، وأدلى المفسرون بدلوهم فى تعيين

المكان الذى لم يعينه القرآن، ولايحتم تفسيرهم اختصاص الأحقاف بهذا المكان.. حيث جعلوا رمال "وبار" فى جملة المناطق التى كانت لعاد، وموضع Aramauaالذى ذكره بطليموس، وهو ارم، ويقال له الآن "رم" أظهرت الحفريات التى قام بها المعهد الفرنسى فى القدس صحة هذا الرأى، فقد ورد فى الكتابات النبطية التى عثر عليها فى خرائب معبد اكتشف فى رم أن اسم الموضع هو ارم، وهو مايوضح أن هذا الموضع حافظ على اسمه القديم، ولكنه فقد حرفا من حروفه على مر السنين، والأجيال ليصبح رم بدلا من ارم..

وارم هو "آرام" فى التوراة عند الاخباريين العرب.. الذين قسموا العرب الى بائدة، وعاربة، ومستعربة، وقد يقسمونهم أحيانا الى عاربة، ومستعربة، وهم يدخلون عادا، وثمودا فى العرب العاربة، أو البائدة.. فأما عاد فانهم من نسل "عاد بن عوص بن ارم"، وثمود من نسل "ثمود بن غائر بن ارم"، وارم هو شقيق "لاود"، أو "لواد"، أو "لوذ" فى التوراة، وأبوهما "سام بن نوح"، وقد شك كثير من المستشرقين فى وجود هذه الطبقة.. فعدوهم من الأقوام الخرافية التى ابتدعتها مخيلة الرواة حينما عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها، أو قريبة منها فى اللغات القديمة، أو الكتب الكلاسيكية، ولكن مع الوقت بدأ الحصول على معلومات، وحل لرموز بعض الكتابات مثل الخط الثمودى.. حيث اتضح أيضا أن البعض قد عاشوا بعد ميلاد المسيح عليه السلام..

وقد قدم الاخباريون عادا، وثمودا على غيرهم من قبائل العرب البائدة اقتفاء بالقرآن الكريم الذى أورد ذكرهم بالترتيب بعد قوم نوح عليه السلام، حيث ورد الترتيب فى سورة الأعراف.. فيخاطب هود قومه عادا فى الآية 69:

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قود نوح .."

ثم يخاطب صالح قومه ثمودا فى الآية 74 من نفس السورة:

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد.."

وقد لاحظ الطبرى عدم ذكرهم فى التوراة، ولا ذكر هودا، وصالحا.. خاصة عندما استفسر عنهم المسلمون أهل الكتاب من اليهود الذين أخبروهم بعدم ذكرهم فى التوراة التى تتبعت كل آثار اليهود، ومن عاشرهم، ولم يهتموا بأخبار

العرب.. خاصة تلك الطبقة البائدة منهم.. أو ربما عاش من هذه الطبقة البائدة من جاء بعد تدوين التوراة فلم يرد ذكرهم.. ورغم ذلك فقد ذهب بعض الاخباريين أن عادا هى "هدورام" فى التوراة، ودليلهم اقتران عاد بارم فى الكتب العربية.. بالرغم من كونه من نسل "يقطان".. أى قحطان فى الكتب العربية.. فقد يكون ذكرهم على سبيل بيان القبائل التى سكنت اليمن من أولاد قحطان.. فرأوا عاد ارم من جملتها ..

وذهب الاخباريون الى وجود طبقتين لقوم عاد.. هما.. عاد الأولى، وعاد الثانية، وزعموا أن الأولى من أعظم الأمم بطشا، وقوة، وتألفت من عدة بطون تزيد على الألف، والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد أخذوها من الآية القرآنية:

"-وأنه أهلك عادا الأولى(50)وثمود فما أبقى(51)وقوم نوح من قبل(52)" النجم..

ومن هنا تصوروا وجود عاد ثانية ظهرت بعد هلاك عاد الأولى، ولكن أليس من الممكن أن تكون كلمة "الأولى" تشير الى قدمهم فى القرون الأولى التى ذكرها القرآن فى مواضع أخرى ..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ماأهلكنا القرون الأولى" القصص 43..

خريطة توضح مواطن قوم عاد(عن كتاب قصص الأنبياء والتاريخ..(

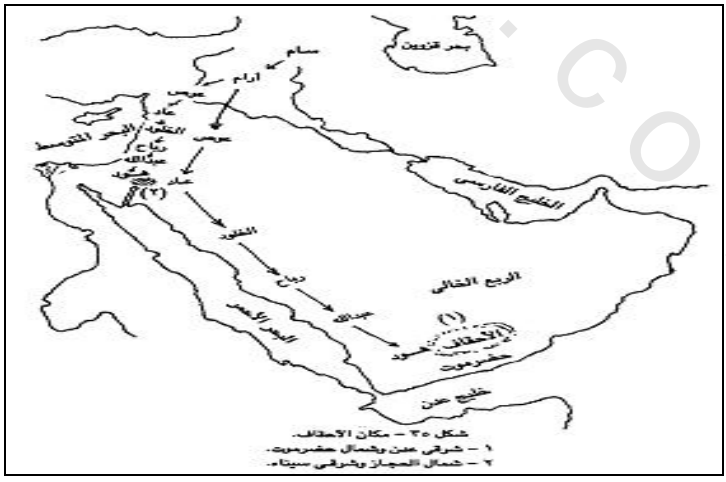

حتى فرعون سأل موسى عن أمرها:

"-قال فما بال القرون الأولى" طه 51..

كما نلاحظ نفس الترتيب فى آيات سورة النجم المذكورة.. نوح.. عاد.. ثمود.. وفى كثير من الآيات ..

وقد أصاب القوم القحط ثلاث سنوات فى مكانهم الذى استقروا فيه، أعقبته زوابع، وأعاصير نزلت بهم.. فأهلكتهم..

"-سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما" الحاقة 7..

فاقتلعت الناس، وصارت ترميهم من شدتها..

"-تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر" القمر20..

"-فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية" الحاقة 7..

فخلت ديارهم منهم، وصارت أماكنهم أثرا..

ولم يبق بعد هلاك عاد الأولى الا هود عليه السلام، ونفر من الذين آمنوا معه.. فارتحلوا الى سبأ.. حيث عرفوا بعاد الثانية، ويزعمون أنهم الذين بنوا "سد العرم" قرب مأرب، واستمر حكمهم ألف سنة حتى غلبهم القحطانية، فلجأوا الى حضرموت حتى انقرضوا..

ويقولون ان هودا تسمية عربية مشتقة من الجذر العربى هاد.. فهو هائد.. أى تائب، وراجع الى الله، أو من هدى فهو المهدى، والهادى ..

ولما مات هود عليه السلام دفن بأرض حضرموت، ويدعون أن قبره فى "وادى برهوت" غير بعيد عن "بئر برهوت".. التى تقع فى الوادى الرئيسى للسبعة أودية، وهى الآبار القديمة التى اشتهرت فى الجاهلية بكونها شر آبار الأرض، وحديثا ومن دراسة المكان تبين أنه موضع بركان قديم انفجر فأهلك من كان حوله، وهو ماجعلهم يتوهمون أن هذا مكان عاد، وماحدث فيه من عذاب لها، ولازال القبر يزوره الناس خاصة فى الحادى عشر من شعبان من كل عام ..

واقترنت عاد دائما فى القرآن بثمود.. بل ربطهم ببعض.. فيقول على لسان نبيهم صالح:

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا" الأعراف ..

والمشهور فى كتب العرب أن ثمودا كانت تقيم فى الحجر المعروفة بمدائن صالح فى وادى القرى(شكل7)، وكان اليهود يسكنونها قبل الاسلام، واقترانها بعاد يقتضى تقاربهما فى المكان، وجاء ذكرها فى كتب اليونان نحو تاريخ البلاد، وبعده، وعينوا مكانها فى الحجر التى يسمونهاThamudeni ، والحجر Agra ، وربما ملأوا الأرض بين بصرى، وعدن(*) كما كان أخوانهم العاديون من قبلهم..

والثابت من الآثار أن مدائن صالح(الحجر) دخلت حوزة النبطيين سكان بطرا قبيل تاريخ الميلاد، والنبط فى التوراة هم "بنيوت" نسبة الى الابن الأكبر من أولاد "اسماعيل" عليه السلام المسمى"نابت" عند الاخباريين العرب.. بدليل ماعلى أطلال تلك المدائن المنقوشة فى الصخر من "الكتابة النبطية"، ومن أهم الأنقاض "قصر البنت"، و"قبر الباشا"، و"القلعة"، و"البرج.."

"-وثمود الذين جابوا الصخر بالواد" الفجر..

أى يقطعون صخور الأودية، ينحتونها، ويخرقونها.. من اجتاب الثوب اذ فتحه، وعمل جيبا فيه.. ولم يعين القرآن أيضا موضع منازل ثمود.. ولكن من وصف الآية يتبين أن مواضعهم كانت جبلية، أو هضاب ذات صخور، وأن الوادى هو "وادى القرى"، وقد عينوا "الحجر" الذى هو قرية بوادى القرى، وفيها بئر تسمى "بئر ثمود" وهى التى نزل بها "الرسول" صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى "غزوة تبوك"، ويذكر البعض أنهم "بقية عاد"، أو "عاد الثانية .."

وتظهر جغرافية بطليموس أن ديار ثمود كانت غير بعيدة عن ديار عاد، وكلاهما فى أعالى الحجاز فى المنطقة الجبلية التى تخترقها الطرق التجارية التى تصل الشام، ومصر بالحجاز، واليمن، وهو ماأكدته أيضا الروايات العربية.. فاذا كانت "الحجر" هى "موطن ثمود".. فوجب أن تكون ديار عاد على مقربة من هذه المواضع..

" الحجر" غير "مدائن صالح" التى هى "حجر النبط"، وعاصمتهم، وبينها وبين الحجر مسافة عشرة أميال، وقد عثر على نقوش ثمودية فى أماكن مختلفة شمال

الجزيرة العربية، وفى طور سيناء، ومصر، والطائف، واليمن، وشمال غرب تدمر، غير أن هناك من المستشرقين من يشكك فى أصل هذه النقوش، ويرون أنها لغير الثموديين نظرا لغياب الدليل العلمى على صحة هذا النسب.. كما عثر أيضا على نصوص مزجية من الثمودية، والنبطية ..

وقد نميل الى شك المستشرقين من حيث نظرنا الى التاريخ العربى القديم الذى بدا خاليا من النقوش فى كثير من بقاع الدائرة التى عاش فيها عاد، وثمود، وان وجدت النقوش فلابد أن يكون لمن اتخذوا من هذه الآثار أماكن للعيش، أو العبادة، أو الدفن، وتأمين الحياة بعد الموت التى كان القدماء يحرصون عليها.. فقوم عاد، وثمود كانوا عربا فى الأساس، والعرب رحل فى العادة.. فان خلفوا أبنية فهى تمثل الخلود بالنسبة لهم، ولاداعى للكتابه عليها.. فقوة أجسامهم، وأبنيتهم لاتوحى لهم بالفناء، وبالتالى فلا حاجة للكتابة، والتسجيل.. وظل هذا المنحى هو ديدن حياة العرب حتى وقت البعثة النبوية الأخيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى عرفوا فى التصنيف الديني "بالأميين".. رغم أشعارهم، ومعلقاتهم، وماعرف عن أنهم أمة كلام، ونظم.. حتى تاريخهم، وأنسابهم تداولوها بألسنتهم، وحفظوها فى أذهانهم وهم يقطعون البادية ذهابا، وايابا فوق ظهور الخيول، والجمال، ولاوقت، ولامجال للكتابة، والتسجيل، ولايوجد أى أثر لهم سجلوا عليه أى كتابات، ومن هنا جاء الغموض العويص فى تاريخهم، ونشأتهم، والأماكن التى حلوا بها، والجهد الجهيد الذى يصادف من تعرض لتاريخهم المبهم من المؤرخين، والاخباريين.. فبدا تاريخهم ضرب من الطلاسم، والاحتمالات، ودلائل تتأرجح بين الشك، واليقين ..

والكتابة الثمودية عموما نوعان.. قديم، وحديث متطور؛ وله صلة بقلم طور سيناء، وصلة بالقلم المسند باليمن، وكان الثموديون كعاد أهل حضر، ولهم مستوطنات، ومعابد، وزراعات، وماشية.. كما اشتغلوا بالتجارة..

ويشبه مصير عاد، وثمود مصير سدوم **Sodom** ، وعمورة(جمورة، وكمورة**Gomorrah** (، وبقية مدن الدائرة فى عمق السديم جنوب البحر الميت كما يرى علماء التوراة، وهى خمس على سهل دائرة الأردن.. وقد أطلق الله تعالى فى القرآن على ثمود، ولوط، وأصحاب الأيكة الأحزاب..

"-وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب" ص 13..

وفى رواية محمد بن كعب القرظى فى تاريخ الطبرى ذكر للقرى الخمس الواقعة حول سهل دائرة الأردن، وقد دعاها بالمؤتفكات على لفظ القرآن:

"-والمؤتفكة أهوى" النجم 53..

وهى صبعة، وصعرة، وعمرة، ودوما، وسدوم، ويقابلها فى التوراة سدوم، وعمورة، وأدمةAdmah ، وصبوبيمZeboim ، وبالعBela ، وتسمى أيضا صُوغر ..Zoar

مدينة البتراء الأثرية بالأردن، أو مساكن قوم ثمود، والتى سكنها النبط من بعدهم..

المصادر

obeikandl.com

-1القرآن الكريم..

-2 محمد فؤاد عبد الباقى.. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.. المكتبة الاسلامية.. استانبول.. تركيا 1982

-3 د. خزعل الماجدى.. المعتقدات الكنعانية.. دار الشروق للنشر والتوزيع.. 2001 م

-4 الشهرستانى.. الملل والنحل.. تحقيق محمد سيد كيلانى.. مكتبة مصطفى البابى الحلبى بمصر 1976م.

-5 د.سليم حسن.. موسوعة مصر القديمة.. مكتبة الأسرة.. هيئة الكتاب 2000م .

-6 سامى المغلوث.. أطلس الأديان.. مكتبة العبيكان.. الرياض.. 2007م..

- 7 الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة.. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.. الرياض..

-8محمد صابر.. مصر تحت ظلال الفراعنة.. مكتبة الانجلو المصرية..

-9عباس محمود العقاد.."الله".. كتاب فى نشأة العقيدة الالهية.. الطبعة الخامسة.. دار المعارف..

-10عبد الحميد جودة السحار.. محمد رسول الله والذين معه(الجزءان 5،12).. مكتبة مصر.. 1977..

-11سيجموند فرويد.. موسى والتوحيد.. ترجمة دكتور عبد المنعم الحفنى..

-12الدكتور جمال عبد الهادى، والدكتورة وفاء محمد.. "تاريخ الأمة المسلمة الواحدة من أقدم عصورها.."

-13أحمد سعيد.. لا للفقر فى ظل القرآن.. كتاب الهلال.. 1987..

-14د.محمد فتحى صقر.. تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى فى اطار الاقتصاد الاسلامى.. المصرف الاسلامى الدولى للاستثمار والتنمية.. 1988..

-15الشيبانى.. الاكتساب فى الرزق المستطاب.. مكتبة الأسرة.. 2008..

-16محمد عيسى داود.. الخيوط الخفية بين المسيح الدجال وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة.. دار البشير.. القاهرة.. 1994..
-17د.عبد المنعم الحفني.. الموسوعة الفلسفية.. مكتبة مدبولي..
-18الموقع العربى الرسمى للجماعة الاسلامية الأحمدية(2005).. الشبكة الدولية للمعلومات..
-19محمد فؤاد عبد الباقى.. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم.. دار الحديث 2005 ..
-20 ويكيبيديا(الموسوعة الحرة).. الحكماء السبعة.. شبكة المعلومات الدولية.. 2009/6/26..
-21 ماريو توسى وكارلو ريو ردا.. ترجمة ابتسام عبد المجيد.. معجم آلهة مصر القديمة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة.. 2008..
-22عاطف عزت.. فرعون موسى من قوم موسى.. نفرتارى للدراسات والنشر..
-23 د.رشدى البدراوى.. قصص الأنبياء والتاريخ.. مطابع الجزيرة انترناشيونال.. 2004 ..
-24 جورج بوزنر وآخران.. ترجمة أمين سلامة.. معجم الحضارة المصرية القديمة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة.. 2003..
-25كمال الصليبى.. خفايا التوراة وأسرار شعب اسرائيل.. دار المسافر..
-26جودت السعد.. أوهام التاريخ اليهودى.. الأهلية للنشر..
-27موقع الباحث "طارق عبد المعطى" على شبكة المعلومات الدولية..
-28ابن كثير.. تفسير القرآن العظيم.. دار التراث العربى..
-29محمد فريد وجدى.. المصحف المفسر(المقدمة).. مؤسسة دار الشعب..
-30المعجم الوجيز.. مجمع اللغة العربية..
-31الرازى.. مختار الصحاح.. طبعة دار المعارف..
-32الزمخشرى.. أساس البلاغة.. طبعة دار الشعب ..

-33جودة محمد على.. أسلمة العلوم والتعليم.. سلسلة اقرأ.. دار المعارف..
-34وحيد الدين خان.. تجديد علوم الدين.. ترجمة د. ظفر الدين خان.. دار الصحوة للنشر.. القاهرة.. 1986..
-35عبد الرزاق نوفل.. القرآن والعلم الحديث.. دار الشعب.. 1981..
-36جاليليو جاليليه.. ترجمة وتحقيق: أ.د. محمد أسعد عبد الرؤوف.. حوار حول النظامين الرئيسيين للكون(النظام البطليموسى، والنظام الكوبرنيقى).. مشروع الألف كتاب الثانى.. الهيئة العامة للكتاب ..
-37مصطفى محمود.. علم نفس قرآنى جديد.. كتاب اليوم.. 1998..
-38ول ديورانت.. قصة الحضارة.. المجلد الثالث – 5/6 – ترجمة محمد بدران – مكتبة الأسرة ..
-39نفس المصدر – المجلد الرابع – 7/8..
-40حمد بن صالح العثيمين.. فتاوى أركان الاسلام..
-41دكتور "مراد وهبة" فى ندوة "الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير" بالاشتراك مع مؤسسة "كونراد أديناور".. بعنوان "دور التنوير فى دعم التحول الديمقراطى فى مصر".. مايو 2006..
-42الطيار السورى كابتن "نادر جنيد".. دمشق.. من خلال عمله فى الملاحة الجوية.. اقترح 19 برهانا، ودلل بعدد 11 آية قرآنية.. الشبكة العنكبوتية.. موقع الموسوعةwww.georgraphy.com ..
-43م.عبد المحسن بركات.. جريدة الأسبوع فى 12 من مارس 2007..
-44أ.جلال السيد.. قضية علمية عن أفكار م.عبد المحسن بركات.. يوميات الأخبار فى 16 من مارس 2009 ..
-45أ.عيد وردانى.. قصة الخلق من العرش الى الفرش .S.R ..للطباعة والتجليد.. الاسكندرية 2000.. الطبعة السابعة..
-46أ.حمدى بن حمزة الصريصرى الجهنى.. "فك أسرار ذى القرنين(أخناتون) ويأجوج ومأجوج(الطبعة المنقحة)".. الرياض 1428هـ/2007م..

-47رحلات "ثور هايردال".. سلسلة "اقرأ"- دار المعارف..

-48د.عبد العزيز بكرى أحمد.. مبادىء علم الفلك الحديث.. مكتبة الأسرة 2010.. الهيئة المصرية العامة للكتاب..

-49الدكتور محمد بيومى مهران.. دراسات تاريخية من القرآن الكريم.. المعرفة الجامعية.. الاسكندرية.. 1995..

-50دائرة الترجمة والنشر.. كل شيء عن الأهرام.. مكتبة لبنان ناشرون.. 2011..

-51هيرودت يتحدث عن مصر..

-52عباس محمود العقاد.. ابليس.. كتاب اليوم.. 2006..

-53دكتور حسين مؤنس.. تنقية أصول الدين الاسلامى..

-54ابن منظور.. تحقيق: د.أحمد سالم الكيلانى، ود.حسن عادل النعيمى.. لسان العرب.. مركز الشرق الأوسط الثقافى.. الطبعة الأولى.. 2011..

-55محمد سمير عطا.. عمالقة قوم عاد كانوا مصريين.. عطا للاعلام العربى..

-56تاريخ ابن خلدون.. الجزء الثانى..

(*) -57أبو اسماعيل.. فتوح الشام ..

-58جرجى زيدان.. تحقيق د. حسين مؤنس.. العرب قبل الاسلام.. دار الهلال..

-59د.جواد على.. المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام.. الطبعة الثانية.. 1413هـ -1993م..

-60رشدى البدراوى.. قصص الأنبياء والتاريخ.. مطابع الجزيرة انترناشيونال.. 1996..

-61سامى عبد الله المغلوث.. أطلس تاريخ الأنبياء.. مكتبة العبيكان.. الطبعة السادسة.. 1426هـ-2005م ..

-62ريتشارد هـ ولكنسون.. ترجمة: حسن حسين شكرى.. دليل الفن المصرى القديم.. مكتبة الأسرة..(2010).. الهيئة المصرية العامة للكتاب..

-63د.محمد سيد طنطاوى.. المعاملات فى الاسلام.. دار المعارف.. سلسلة "اقرأ"..(2000 ..)

-64عباس محمود العقاد.. داعى السماء(بلال بن رباح - مؤذن الرسول).. المكتبة العصرية.. بيروت..

-65دكتور أحمد ابراهيم مهنا.. تبويب آيات القرآن الكريم من الناحية الموضوعية.. عن كتاب المستشرق الفرنسى "جول لابوم"، وترجمة محمد فؤاد عبد الباقى.. دار الشعب..

-66د.كامل زكى حميد.. مراجعة د.أحمد مستجير.. الاستنساخ قنبلة بيولوجية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 2007..

-67د.شوقى الفنجرى.. المدخل للاقتصاد الاسلامى.. دار النهضة العربية.. 1972..

-68د.خلاف عبد الجابر خلاف.. مدخل للدراسات الاقتصادية الاسلامية.. المعهد العالى للدراسات الاسلامية.. 1999..

-69فاضل سليمان.. تقديم وتذييل:د.محمد عمارة.. أقباط مسلمون قبل محمد.. النور للانتاج الاعلامى والتوزيع.. 2010 ..

-70عبد الباسط الجمل.. حكاية الاستنساخ..

-71محمد أبو رحمة.. الاسلام والديانة المصرية القديمة.. مكتبة مدبولى.. 2005..

-72ابن كثير.. البداية والنهاية(قصص الأنبياء..(

-73الكتاب المقدس.. التوراة(العهد القديم..(

-74غطاس عبد الملك الخشبة.. رحلة بنى اسرائيل الى مصر الفرعونية والخروج.. دار الهلال.. الطبعة الثانية.. 1999 ..

-75المسعودى.. مروج الذهب ومعادن الجوهر.. المكتبة العصرية- بيروت..2005..

-76اسماعيل حامد.. هرمس الحكيم وعلاقته بالنبى ادريس بين الأساطير والحقائق.. دار مشارق.. 2009..

-77جيمس هنرى برستيد.. ترجمة د.سليم حسن.. فجر الضمير.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 2000..

-78أدولف ارمان.. ترجمة د.عبد المنعم أبو بكر، د.محمد أنور شكرى.. ديانة مصر القديمة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 1997..

-79دانييل كيفلس وليروى هود.. ترجمة د.أحمد مستجير.. الجينوم البشرى.. القضايا العلمية والاجتماعية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 2002..

-80د.محمد فتحى.. التحكم الوراثى فى الانسان(الجينوم..(

-81د.على محمد على عبد الله.. التلوث البيئى والهندسة الوراثية..

-82د.عبد الحليم منتصر.. الوراثة والجنس..

-83ويليام بيتر.. ترجمة د.أحمد مستجير.. الهندسة الوراثية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. 2000..

-84د.أحمد الشرقاوى و د.أحمد العبيرى.. الهندسة الوراثية وتطبيقاتها فى الانتاج النباتى..

-85د.ابراهيم حامد الأنصارى.. النظام المالى فى الاسلام.. مطبعة دار البيان.. 1980..

-86عباس محمود العقاد.. الانسان فى القرآن.. دار نهضة مصر للطبع والنشر..

-87ابن تيمية.. السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية.. دار الشعب.. 1971..

-88عباس محمود العقاد.. عبقرية عمر.. دار التعاون للطبع والنشر.. 1980..

-89السيوطى.. تاريخ الخلفاء.. المكتبة التجارية الكبرى.. الطبعة الرابعة.. 1969..

-90 ابن خلدون.. المقدمة.. مكتبة دار الشعب..

-91السيد سابق.. فقه السنة.. مكتبة دار التراث ..

-93ابن خلدون.. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر..

-94ويكيبيديا.. الموسوعة الحرة.. مادة هكسوس.. شبكة المعلومات العنكبوتية..

openkandil.com

-95عمر محمد أبو العطا.. بنى اسرائيل بين الفراعنة والهكسوس.. شبكة ابن مريم الاسلامية.. شبكة المعلومات العنكبوتية..

-96الحقيقة الغائبة.. فرعون وقومه كانوا هكسوس من فلسطين وبادية الشام وليسوا مصريين.. شبكة فلسطين للحوار.. شبكة المعلومات العنكبوتية ..

-97د. سعيد ثابت.. فرعون موسى..

-98سعيد أبو العينين.. الفرعون الذى يطارده اليهود.. كتاب اليوم(1997..(

-99د. مؤمن محمد سالم الباحث فى علم الأجناس البشرية(الأنثربولوجيا) وعلم الأعراق(الأنثولوجيا).. فرعون موسى..

-100موريس بوكاى.. القرآن والتوراة والانجيل والعلم..

-101كريستين نوبكلور.. حياة الملك رمسيس..

-102ماكس موللر.. أصل الدين وارتقاؤه(1889..(

-103تفسير الطبرى..

-104الطبرى.. تاريخ الأمم والملوك..

-105د. ندى اسماعيل.. أصول اللغة العربية وقواعدها.. مركز الشرق الأوسط الثقافى-106..

www.Aljazeera.com.who.built.the.sphinx.By.priNcE HiTcH

107-Hall.. The Ancient History of the Near East.. 1st Edition, pp.: 408 – 409.

108-Stem Cells Arabia, Dr.A.A.Hakim, M.D., ph.D.| 001.239.292.3730

109-Safia M. Salem.. An introduction to optics.. Dar Al-Ma`aref.. Cairo(1970)..

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

-طريق الاسلام 7

-الاسلام دعوة الرسل 19

-أصل الاسلام فى الأزل 28

-وكان الناس أمة واحدة31

-الكتاب 33

-القرآن37

-اختلاف أهل الكتاب 42

-هذا بيان للناس55

تقسيم الناس بالنسبة للعقيدة 57

-1المؤمنون 57

-2الكفر والكافرون 62

-3الشرك والمشركون 67

-4الفسوق والفاسقون 71

-5النفاق والمنافقون 75

-6الذين فى قلوبهم مرض 76

-7المنكرون لليوم الآخر والدهريون 77

-مفهوم الدين80

-الأديان 84

*فارس 104

*الهند 106

*الصين 108

obeikandl.com

*اليابان 109
*اليونان 110
*الرومان 111
*العرب 111
*استراليا وأفريقيا وأوروبا 112
-علم الله تعالى وعلم البشر114
-المعاملات فى الاسلام(الأموال والثروات) 117
-الفتن.. وأشراط يوم الدين150
-الوحى.. وفجر الفلسفة162
-تقنية الاستنساخ175
-نهاية بنى اسرائيل فى القرآن181
-الأرض ثابتة ولاتدور183
-هيروغليفية شامبليون.. والتاريخ المصرى القديم204
-الأهرامات.. وعاد ارم232
-المصادر250

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com